دليل الطالب
إلى علوم
البلاغة والعروض

الشيخ ناصيف اليازجي

دليل الطالب إلى علوم البلاغة والعروض

مراجعة
لبيب جريدني

مكتبة لبنان ناشرون

مكتبة لبنان ناشرون ش.م.ل
زقاق البلاط - ص.ب: ٩٢٣٢-١١
بيروت - لبنان
web site address:
www. librairie-du-liban.com.lb
وكلاء وموزعون في جميع أنحاء العالم

الطبعة الأولى ١٩٩٩
رقم الكتاب 01R160658
طبع في لبنان

مُقَدِّمَة

إِعْلم أنّهُ لمّا وُضِعَ الصَّرف للنَّظر في أبنيَة الألفاظ والنَّحو للنَّظَر في إعراب ما تَركَّبَ منها وُضِعَ البَيان للنَّظَر في أمر هذا التركيب وهو ثلاثة فُنون:

الأوَّل عِلْم المَعاني ويُحتَرَز به عن الخطإِ في إيصال المَعنى الذي يُريدُه المُتكلِّم إلى ذِهْن السامع بِطَريق الصَّواب.

الثّاني عِلْم البَيان ويُحْتَرَز به عن التعقيد المَعنوِيّ أي عن أن يَكون الكلام غير واضِح الدَّلالة على المَعنى المُراد.

والثّالث عِلْم البَديع ويُراد به تَحْسين الكلام.

وفي الإجمال يُطلَق على الأوَّلَيْن عِلْم البَلاغة وعلى الثّلاثة عِلْم البَيان والأوّل يَتعلَّق بالأُمور اللَّفظِيّة أي الأُمور العارِضة لِلَّفظ تَطبيقًا لِمقْتَضى الحال كالذِّكْر والحَذْف والتَّقديم والتَّأخير ونحو ذلك.

والثّاني يَتعلَّق بالأُمور المَعنوِيّة أي الطُّرُق المُختلِفة التي تُورَد بها المَعاني كالتَّشبيه والاستِعارة ونَحْوهما.

والثّالث يَشترِك بين الأُمور اللَّفظِيّة والأُمور المَعنوِيّة فيَكون بعضُه مَعنوِيًّا (ويُسمّى البَديع المَعنوِيّ) وبعضُه لَفظِيًّا (ويُسمّى البَديع اللَّفظِيّ).

وباعتِبار المَعاني والبَيان يُقال إنّ الكلام فَصيح من حيث اللَّفْظ لأنّ النَّظَر في الفَصاحة إلى مُجرَّد اللَّفظ دون المَعنى. ويُقال إنّهُ بَليغ من حيث اللَّفظ والمَعنى جميعًا لأنّ البَلاغة يُنظَر فيها إلى الجانبَيْن. وأمّا باعتِبار البَديع فلا يُقال إنّهُ فَصيح ولا بَليغ لأنّ البَديع أمرٌ خارجيٌّ يُراد بهِ تَحسين الكلام لا غير.

[**العلم** مَجموع مسائل وأُصول كُلِّية مُتعلِّقة بموضوع ما مُرتَّبة على نِظام مَخصوص أو هو المَعرفة المُنظَّمة. كعِلْم النَّحو وعِلْم الحِساب وعِلْم الهَنْدسة.

والفَنّ مَجموع قواعد تُؤَدّي إلى المَهارة أو الحَذْق في القِيام بنوع من أنواع العَمَل العقليّ أو الصِّناعيّ أو هو المَعرفة العَمَلِيّة كفنّ التصوير وفنّ الموسيقى والشِّعْر وغيرها.

وعلى هذا فكُلّ من فُروع البَيان يُمكِن اعتِبارُه عِلْمًا أو فَنًّا. فهو عِلْم من حيث إنّه يبحث في الأصول أو المَبادئ المُتعلِّقة بالفَصاحة والبَلاغة. وهو فنٌّ من حيث إنّه يُبيّن للكاتب القَواعد التي يجب أن يَتّبعها لِتَكون كتابته فَصيحة وبَليغة].

الفَصَاحَة وَالبَلَاغَة

الفصاحة

الفَصاحة - كما يُفهَم ممّا سَبق - هي سَلامة الكلام من العُيوب اللَّفظيّة في المُفرَد وفي المُركَّب. ويُراد بالمُفرَد اللَّفظ المُفرَد باعتبارِه في نَفْسِه غَيْر مَنظور إلى ما يَقترِن به من الألفاظ. ويُراد بالمُركَّب الكلام المُؤَلَّف من ألفاظ مُتعدِّدة.

الفَصاحة في المُفرَد هي:

١- سَلامتُه من تنافُر الحُروف (أي ثِقل اجتِماعها على اللِّسان بحيث يَتعسَّر النُّطق بها) كلَفظة «مُسْتشْزَرات» في البيت الآتي لامرئ القيس.

غَدائرُه مُسْتَشْزَراتٌ إلى العُلى ... تَضِلُّ العِقاصُ في مُثَنًّى ومُرْسَلِ[1]

٢- سَلامَتُه من غَرابة الاستِعمال كلفظة «مُسرَّجا» في قوله:

أزْمانَ أبْدَت واضحًا مُفَلَّجا ... ومُقلةً وحاجِبًا مُزَجَّجا

وفاحِمًا ومَرسِنًا مُسرَّجا[2]

اختُلف في المُسرَّج فقيل هو من قولهم سَرَّج الله وجهُه أي بَهَّجهُ وحَسَّنهُ. وقيل إنّ المُراد أنّه كالسيف السُّرَيجيّ في الدِّقّة والاستِواء. وقيل كالسِّراج في البريق واللَّمَعان. وكُلّ ذلك غريبٌ غير مأنوس في الاستِعمال ولا سِيّما في صِفة الأنف الذي عَبّر عنه بالمَرسِن. [ومن هذا القَبيل استعمال الألفاظ المَهجورة ممّا كان مألوفًا في عَصْر الجاهليّة أو كان لُغة لبعض قبائل العَرَب دون سِواها ومنه أيضًا استِعمال الألفاظ الحُوشيّة والعامِّيّة والألفاظ الدَّخيلة أي المَنقولة عن اللُّغات الأجنبيّة على رَغم وجود ألفاظ عربيّة فَصيحة تؤَدّي مَعناها].

---

(١) الغدائر: خُصَل الشَّعْر. مُستشزَرات: (بفتح الزاي) مَفتولات أو (بكسرها) مُرتفِعات. العِقاص: الضّفائر.

(٢) واضح يُراد بِهِ الثَّغر. مُفلَّج: فيهِ فَلَج أي تَباعُد ما بين الأسنان. مُزَجَّج: مُرَقَّق. فاحم أسْوَد.

٣- سَلامتُه من مُخالَفة القِياس اللُّغويّ كالأَجْلَل في قولِه:

الـحـمـدُ لله الـعـلـيّ الأجْـلَـلِ الـواحـدِ الـفَـرْدِ الـقَـديـمِ الأزلـيّ.

فلا يَخفى ما في الأجْلَل من مُخالَفة القِياس بفَكّ الإدغام حيث لا مُسوِّغ له فكان حقُّه أن يقول الأجَلّ.

٤- سَلامتُه من الكَراهية في السَّمْع كالنُّقاخ في قولِه:

وأحـمـقَ مِمّـن يَكْـرَع الـماءَ قـال لـي دعِ الخَمْرَ واشْرَب من نُقاخٍ مُبرَّدِ(١)

٥- [سَلامتُه من الإبهام وهو أن يَكون اللّفْظ مُشترَكًا بين مَعنَيَيْن ولا قَرينة تَدُلّ على أيّهما المَقصود نحو «لَقيت فُلانًا فعزَّرتُه» (فإنّ عَزَّر تَحتمِل مَعنَيَي الإكرام والإهانة).]

الفَصاحة في المُركَّب هي:

١- سَلامتُه بعد استيفاء شُروط الفَصاحة في مُفرداتِه من ضَعْف التأْليف كقول الشّاعر:

لـمّـا رأى طـالـبوهُ مُـصـعَـبًا ذُعِـروا وكـاد لـو سـاعـد الـمَـقـدورُ يَـنـتـصِـرُ

فإنّ صَدْر البيت سَخيف ومُخالِف لقَواعد النَّحْو لأنّ الضمير في «طالبوهُ» يَعود على «مُصعَب» وهو مُتأخِّر عَن الضمير لَفْظًا ومعنًى وحُكْمًا. وشُروط الضمير أن يَعود على ما ذُكِر لفظًا نحو زيدٌ ضَرَبتُه. أو معنًى نحو اِعدِلوا هو أقرب للتَّقْوى. فإنّ الضمير فيه عائدٌ على المَصْدر المَفهوم من مَعنى الفِعل أي العَدْل أقرب. أو حُكْمًا نحو قُلْ هو الله أحَد. فإنّ الضمير فيه عائدٌ على الشأن المُتقرِّر في الذِّهْن أي الشأن هو الله أحد. فيكون في حُكْم المَذكور. فإن خَلَت المَسألة من كُلّ ذلك استُهجِنَتْ عند النُّحاة إلّا في مَسائل مَحصورة.

٢- سَلامتُه من تَنافُر الكَلِمات بعضها مع بعض وإن لم يَكُن فيها تَنافُر باعتِبار كُلّ واحدة منها في نَفْسها كقولِه:

وقَـبْـرُ حَـرْبٍ فـي مَـكـانٍ قَـفْـرُ ولـيـسَ قُـرْبَ قَـبْـرِ حَـرْبٍ قَـبْـرُ(٢)

والتنافُر في الشَّطْر الثاني من هذا البيت باجتماع هذه الكَلِمات فيه وإن كانت كُلّ واحدة منها فَصيحة في نَفْسها.

٣- سَلامتُه من التَّعقيد وهو إيراد كلام خَفِيّ الدَّلالة على مَعناهُ إمّا من جهة اللّفظ أو من

(١) النُّقاخ: الماء العذب

(٢) حرب: اسْم رَجُل. قَفرُ: مرفوع بالخَبَرية عن «قبر» الأُولى أو عن مُبتَدإٍ مَحذوفٍ من باب الصِّفة المَقطوعة كما في الحَمْدُ لله الحميدُ (أي هو الحميدُ)

جهة المَعنى من أمثِلة التعقيد اللّفظي البيت الآتي للفَرَزْدَق التميميّ

وما مِثْلهُ في الناسِ إلّا مُملَّكًا أبو أُمِّه حَيٌّ أبوهُ يُقارِبُهْ

وهو من قصيدة يَمدَح بها إبراهيم بن هِشام المَخزوميّ خال هِشام ابن عبد المَلِك الأُمويّ. يَقول أن ليس أحدٌ مِثْل إبراهيم إلّا هِشام (ابن أختِه) الذي أبو أُمِّه هو أبو إبراهيم. أو بعبارة أُخرى: وما مثلهُ في الناس حيٌّ يُقارِبُه إلّا مُملَّكًا [هو هِشام] الذي أبو أُمِّه هو أبو المَمدوح. غير أنّ ذلك لا يُستخرَج من البيت إلّا بعُنْفٍ شَديد ونَظَر طويل لِما فيه من تَشويش التَّركيب.

ومن أمثلة التّعقيد المَعنويّ قَوْل العبّاس بن الأَحْنَف:

سأطلُب بُعْد الدار عنكم لتَقْرَبوا وتَسكُبُ عَيناي الدُّموع لتَجمُدا

كنّى بجُمود عينيه عن بُخلهما بالدُّموع. وجَعَل ذلك كِناية عن السُّرور بقُرْب أحِبّتِهِ. وفي ذلك ما فيهِ من التعسُّف وبُعد الانتِقال الذِّهنيّ كما ستَعلَم في باب الكِناية.

٤- سَلامتُه من كَثْرة التَّكرار كقولِه:

إنّي وأسطارٍ سُطِرنَ سَطْرا لقائلٌ يا نَصْرُ نَصْرٌ نَصرا

[أمّا إذا كان تكرار اللّفظة الواحدة لغَرَضٍ مَقبول كالتَّوكيد فلا يُعاب.]

٥- سَلامتُه من تَتابُع الإضافات كقولِهِ:

حَمامةَ جَرْعى حَوْمَة الجَنْدَلِ اسجَعي فأنتِ بمَرأى من سُعادَ ومَسْمَع

[ومِن تَتابُع الأوصاف نحو

دانٍ بَعيدٌ مُحِبٌّ مُبْغِضٌ بَهِجٌ أَغرُّ حُلوٌ مُمِرٌّ لَيِّنٌ شَرِسُ]

البَلاغة

البَلاغة هي أن يَكون الكلام مُطابِقًا لمُقتضى الحال مع فَصاحتِه فكُلّ بَليغ فَصيح ولا يُعكَس. ولا تَكون البَلاغة إلّا في المُركَّب لأنّها مُتوقِّفة على المُطابَقة لمُقتضى الحال وذلك لا يكون إلّا في المُركَّبات بخِلاف الفَصاحة. أمّا مُقتضى الحال فهو ما يدعو إليه الأمْر الواقِع أي ما يقتضيهِ الحال الداعي إلى التكلُّم على وَجْه مخَصوص كما إذا كان المُخاطَب مُنكِرًا للحُكْم الذي يُلقى إليه فإنّ إنكارَهُ يدعو إلى تأْكيد الكلام له وهذا التأْكيد هو مُقتضى الحال. ويَختلِف مُقتضى الحال لاختِلاف ما يَدعو إليه من مَقامات الكلام. فإنّ منها ما يَدعو إلى التعريف ومنها ما يَدعو إلى التنكير. ومنها ما يَدعو إلى الإطلاق ومنها إلى التقييد وهكذا في التقديم والتأْخير والذِّكْر والحَذْف إلى غَيْر ذلك مِمّا ستَعلَمُهُ.

تمرين

بَيِّن ما هي العُيوب المُخلَّة بالفَصاحة في كُلٍّ مِنَ الأمثلة الآتية:

جَزى بَنوهُ أبا الغَيْلانِ عن كِبَرٍ ... وحُسْنِ فِعْلٍ كَما جُوزي سِنِمَّارُ

لو كُنْتَ كُنْتَ كَتَمْتَ الحُبَّ كُنْتَ ... كما كُنّا وكُنْتَ ولكنْ ذاك لم يَكُنِ

قد قُلْتُ لما اطْلَخَمَّ الأمْرُ وانبَعثَتْ ... عَشْواءُ تاليةً غُبْسًا دهاريسا[1]

والشَّمْسُ كاسِفَةٌ ليست بِطالعةٍ ... تُبكي عليكَ نُجومَ اللَّيل والقمرا

فلا يُبْرِمُ الأمرَ الذي هو حالِلٌ ... ولا يُحلَلُ الأمرُ الذي هو مُبْرِمُ

كَريم الجِرِشَّى شَريفُ النَّسَبْ[2]

وإذا الرِّجال رَأَوا يَزيدَ رأيتَهم ... خُضُعَ الرِّقاب نَواكِسَ الأَبصار

(١) اطلخمّ: اسودّ. عشواءُ: ليلة مُظلِمة. غُبْس: شَديدة الظَّلام. دَهارِيس: دَواهي

(٢) الجِرِشَّى: النَّفْس

عِلْمُ المَعَاني

١- حَقيقةُ هذا الفنّ

هو عِلْمٌ تُعرَف به أحوال اللَّفظ العربِيّ التي بها يُطابِق اللَّفظ مُقتضى الحال. يُراد بأحوال اللَّفظ الأُمور العارضة لهُ من التَّقديم والتَّأخير ونحوهما. وقُيِّدَ بالعربي لأنّ هذه الصناعة إنمّا وُضعت لهُ بحَسَب اصطِلاح أهلِهِ ولعلّ في غيره اصطلاحات أُخَر لا تَنطبِق عليه. وقَيَّدَ هذه الأحوال بكَوْن اللَّفظ بها يُطابِق مُقتضى الحال احتِرازًا عَمّا ليس كذلك من أحوالِه كالإعلال والإدغام والأحكام الإعرابيّة مِمّا لا تَعلُّق له بهذه المُطابَقة.

يَنْحصِر عِلْم المَعاني في ثَمانية أبواب وهي:

١- أحوال الإسناد الخَبَرِيّ.

٢- أحوال المُسنَد إليه.

٣- أحوال المُسنَد.

٤- أحوال مُتعلِّقات الفعل.

٥- القَصْر.

٦- الإنشاء.

٧- الفَصْل والوَصْل.

٨- الإيجاز والإطناب والمُساواة.

ولِكُلٍّ منها أحكامُ ستُذكَر.

٢- في الحقيقة والمَجاز والإسناد

اللَّفظ منه حقيقة وهي الأصل. ومنهُ مَجازٌ وهو الفَرْع. فالحقيقة هي اللَّفظ المُستعمَل في ما وُضِع له كالأسَد المُستعمَل للحَيَوان المُفترِس. وعليها مَدار عِلْم المَعاني للبَحْث فيه عن المُطابَقة كما مَرّ. والمَجاز خِلافها كالأسَد إذا اسُتعمِل للرَّجُل الشُّجاع. وعليه مَدار عِلْم البَيان للبَحْث فيه عن اختِلاف الطُّرُق كما سيجيءُ.

من الألفاظ سَواءٌ كانت حقيقة أم مَجازًا تَتأَلَّف الجُمَل. والجُمل نوعان: الجُملة الاسمِيّة وهي ما تَأَلَّفَتْ من مُبتدإٍ وخَبَر نحو «زيد كريم». والجُمْلة الفِعليّة وهيَ ما تَأَلَّفَتْ من فِعْل وفاعل أو نائب فاعل نحو «قام زيد» و«ضُرِب زيدٌ». ولا بُدّ في الجُمْلة من الإسناد وهو إيقاع نِسْبة تامّة بين جُزءَيها الرّئيسيَّين كنِسْبة ثُبوت صِفَة الكَرَم إلى زيد في المِثال الأوَّل ونِسْبة حُدوث القيام منه ووُقوع الضَّرْب عليه في الزَّمان الماضي في المِثالَيْن الأخيرَيْن.

والكَلام في اصطِلاح النُّحاة هو ما أفاد فائدة يَصُحُّ السُّكوت عليها وَيتأَلَّف من جُملَة واحدة كالأمثِلَة التي أوردناها أو من جُملتَيْن فأكثر نحو «جاءَ الرَّجُل الذي رأَيتهُ» و«مَنْ يَعرِف ما يَجِب عليه يُعدُّ حَكيمًا».]

واعلَم أنَّ الكلام إمّا خَبَرٌ وإمّا إنشاءٌ.

فالخَبَر هو ما احتَمَل الصِّدْق والكَذِب نحو «قامَ زيدٌ». فإنّهُ خَبَرٌ يُحتَمل أن يَكون قائلُه قد صَدَق أو كَذَب. ويُراد باحتِمالِه الصِّدْق والكَذِب أنّهُ يَحتمِلهما بنَفْسِه مع قَطْع النَّظَر عن قائلِه. فلا يُشَكّ بكلام الله والأنبياءِ وغَيْرهم مِمّن يُوثَق بصِدقِه قَطْعًا. ولهذا عَرَّفه بعض المُدقِّقين بأنّهُ ما احتَمَل الصِّدق والكَذِب لِذاتِهِ أي بالنَّظَر إلى ذاتِهِ.

واعْلَم أنّهم اختَلفوا في حقيقة الصِّدق والكَذِب. فذَهب الجُمهور الى أنّ صِدْق الخَبَر مُطابَقَتُهُ للواقِع أو الاعتِقاد وكَذِبُهُ بالعَكْس. وقيل بل صِدْقُه مُطابَقتهما جميعًا وكَذِبُهُ مُخالَفَتهما جميعًا وما سِواهما ليس بصِدْق ولا كَذِب.

الإنشاءُ ما لا يَحتمِل الصِّدْق والكَذِب نحو «قم». فإنّهُ طَلَبٌ لا يُنسَب إلى قائلِهِ صِدْقٌ أو كَذِبٌ. وكُلّ واحدٍ من الخَبَر والإنشاء يُستَعمل في الحقيقة ك «قام زيدٌ وقُمْ يا عمرو». ويُستَعمل في المَجاز نحو «قامت الصَّلاة وأقيموا حُدود الله».

الباب الأوّل

الإسناد الخَبريّ

الفَصْل الأوّل أحكام الإسناد الخَبَرِيّ

المُراد بالخَبَر أو الإسناد الخَبَريّ إفادة المُخاطَب حُكْمًا على أمْرٍ بأمرٍ آخَر إذا كان المُخاطَب جاهِلًا لذلك الأمْر كما إذا قُلْت لهُ «هذا أخي» وهو لم يَكن يَعلَم أنّ المُشار إليه أخوك. ويُقال لهذه الإفادة فائدة الخَبَر.

فإنْ كان المُخاطَب عالِمًا بالحُكْم فالمُراد بالخَبَر إعلامُهُ أنّ المُخبِر أيضًا عالِم به كما إذا قيل له «هذا أخوك». ويُقال لهذِهِ الإفادة لازِم فائدة الخبر أي الأمر الذي يَستلزِمُه الحُكْم لأنّ من يَحكُم بأمرٍ لا بُدّ أن يَكون عالِمًا به.

والمُخاطَب قد يَكون خاليَ الذِّهْن من الحُكْم أي غير عالِم بوُقوعِهِ أو عَدَم وُقوعه. وقد يَكون مُتردِّدًا فيه وقد يَكون مُنكِرًا وقوعَهُ. فَيقتصِر من التركيب في خِطابه على قَدْر الحاجة.

فإن كان خاليَ الذِّهْن استُغنيَ عن تأكيد الحُكْم في خِطابه إذ لا داعي إليه فيُقال له مَثَلًا «زيدٌ قائمٌ». ويُسّمى هذا النوع من الخَبَر ابتدائيًّا لأنّ المُتكلِّم قد ابتَدأَ بالكلام عَفْوًا.

وإن كان المُخاطَب مُتردِّدًا حَسُن أن يُعزَّز الحُكْم بمؤَكِّدٍ دَفْعًا لذلك التردُّد نحو «إنّ زيدًا قائمٌ». ويُسمّى هذا النّوع من الخَبَر طلبيًّا لأنّ المُخاطَب طالبٌ للحُكْم.

وإن كان المُخاطَب مُنكِرًا للحُكْم وَجَب التّأْكيد استِظهارًا على إنكارِهِ بتَقرير الحُكْم نحو «إنّ زيدًا لَقائمٌ» ويُسمّى هذا النوع من الخَبَر إنكاريًّا لِما عند المُخاطَب من إنكار الحُكْم.

- ويُسمّى إخراج الكلام على هذه الثلاثة الأنواع (أي على عدم التأْكيد واستِحسانِهِ ووُجوبِهِ) إخراجًا على مُقتضى الظاهر (أي على مُقتضى ظاهِرِ الحال).

الفَصل الثاني تَقسيم الإسناد

الإسناد منه حقيقة عَقلية ومنه مَجاز عَقلي.

فالحقيقة العَقلية هي إسناد الفِعْل أو مَعناهُ (أي ما تَضمّن مَعناهُ كالَمصدر واسْم الفاعل والمَفعول وأشباه ذلك) **إلى ما هو له** (أي ما يَحُقُّ لهُ كإسناد الفِعْل المَعلوم إلى الفاعل والمَجهول إلى نائب الفاعل) **عند المُتكلِّم** (أي في اعتقادِهِ وإن لم يُطابِق الواقع) **في الظاهر** (أي في ما يُفهَم من ظاهر حاله. وذلك حيث لا يَنصُب المُتكلِّم قَرينةً تَدلّ على أنّهُ أسند الفِعْل أو مَعناهُ إلى غير ما هو له في اعتِقادِهِ).

والإسناد الخَبَريّ إمّا أن يُطابِق الواقع والاعتِقاد جميعًا كقول الحَكيم «أنزل الله المَطَر» أو يُطابِق الواقع فقط كقول الكافر «خَلَق الله السموات والأرض». أو يُطابِق الاعتِقاد فقط كقول الجاهل «أنزل السَّحاب المَطَر». أو لا يُطابِقهما جميعًا كقول الكاذب «فَعَل فُلانٌ كذا». وفي كلّ ذلك قد أُسنِد الفِعْل إلى ما هو لهُ لأنّهُ مَبنيّ للفاعل مُسنَدٌ إليه وكذا ما أُسنِد إلى المَفعول به مبنيًّا له نحو «قُتِل الخارجيُّ». والحقيقة تَنحصِر فيهما.

أمّا المَجاز العقلي فهو إسناد الفِعْل أو مَعناهُ إلى غير ما هو له على تَأويل غير الظاهر (أي على تَأويل معنًى غير المَعنى المُستفاد من ظاهر العِبارة) ويكون:

(١) بإسناد الفِعْل المَبنيّ للفاعل **إلى المفعول** كقولهم «عيشة راضية» فإن ظاهر الإسناد فيها للفاعل ولكنّهُ على تأويل كونه للمفعول أي «عيشة مَرْضيَة» لأنّ العيشة لا تُوصَف بكونها راضية.

(٢) بإسناد الفِعْل المبنيّ للمَفعول **إلى الفاعل** كقولهم «سيلٌ مُفعَمٌ» بمعنى مالىء. وهو من قولهم:

«أفعَم السيلُ الواديَ» إذا ملأَهُ. فإنّهُ على تأويل مُفعِم لصيغة الفاعل.

(٣) بإسناد الفِعْل أو مَعناهُ **إلى الزمان** نحو «ليلة ساهرة» أي مَسهورٌ فيها.

(٤) بإسناده إلى **المكان** نحو «سال العَقيق» أي سال الماءُ في العَقيق (وهو مَسيل الماء).

(٥) بإسنادِهِ إلى **السبَّب** نحو «بنى الأمير المدينة». فقد أُسنِد البِناءُ إلى الأمير في الظاهر ولكنّهُ على تَأويل أنّهُ بأمرِه لا بنَفْسِه إذ البِناءُ فِعْل أهل الصِّناعة والأمير سَببٌ أُسنِد إليه الفِعْل للمُلابَسة بينهما.

أمّا إذا انتفى التأويل فقد خَرج الكلام عن المَجاز كقول الدهريّيْن «ما هي إلّا حياتنا

الدُّنيا نَموت ونَحيا وما يُهلِكنا إلّا الدَّهْر» فلا تأْويل فيه لأنّهم يَعتقِدون أنّ ذلك من أعمال الدَّهْر في الحقيقة فليس قولهم بمَجاز.

ولا بُدّ للتأْويل من قَرينةٍ تَدُلّ عليه إمّا لفظيّة نحو «والبَلَد الطَّيِّب يخْرِج نَباتُهُ بإذن ربِّهِ». وإمّا مَعنويّة نحو «لا يَفتِنكُمُ الشَّيطان كما أخْرَج أبوَيكُم من الجَنَّة». فإنّ ذِكْر إذْن رَبِّهِ واستحالة قِيام الإخراج بنَفْس الشَّيطان قَرينةٌ على تأْويل كَوْن البَلَد مَكانًا والشَّيطان سَبَبًا للإخراج الذي هو فِعْل الله. فإن انتَفَتِ القَرينة حُمِل الكلام على الحقيقة ما لم يُعلَم أو يُظَنّ أنّ قائلَهُ لم يَعتقِد ظاهرَهُ.

واعْلَم أنّ ما وَرَد بَيانهُ عن المَجاز العَقلي لا يَختَصّ بالخَبَر فهو يَجري في الإنشاء أيضًا نحو «يا هامان ابنِ لي صَرْحًا» (أي قَصْرًا) فهو من قبيل «بَنى الأمير المدينة». ومنه قولك «ليت النَّهْر جارٍ».

و«لا تُطِع أمرَ فُلانٍ» أي ليت الماءَ جارٍ في النَّهر ولا تُطِعِ الشَّخْص الآمِر وقِسْ عليه.

تمرين

في الأمثِلة التالية بَيِّن المجَاز العَقلي حيث يُوجَد:

أُقيمت لَيلة راقصة في نادي المُوسيقى

بنَى فرعون مَدينَتَيْ فيثوم ورعمسيس

بنى الإسرائيليّون مَدينَتَيْ فيثوم ورعمسيس

أنبتَ الرّبيع البَقْل

أبلى الهوى أسَفًا يوم النَّوى بَدَني ... وفَرّقَ الهَجْرُ بين الجَفْن والوَسَنِ

زَعمَ العَواذِلُ أنّ رِحلَتَنا غدًا ... وبذاك خَبَّرنا الغُرابُ الأسْوَدُ

الباب الثاني

أحوال المسنَد إليه

الفَصل الأوَّل حَذْف المُسنَد إليه وذِكْره

المُسنَد إليه خَليقٌ بالذِّكر لأنّه هو المَحكوم عليه والحَكَم (الذي هو المُسنَد) لا بُدّ له من موضوع يُبنى عليه. لكنّهُ يُحذَف إذا وُجِد ما يُسوِّغ حَذفهُ أو يُوجِبهُ. كأحَد الأسباب الآتية:

(١) الاحتِراز عن العَبَث في الكلام بِناءً على الظاهر أي عن كَوْن ذِكْر المُسنَد إليهِ عَبَثًا للاستغناء عنه بدلالة القَرينة عليه لا باعتبار أهميَّتِه. نحو «فَصَكَّت وَجهها وقالت عَجوز عَقيم» (أي أنا عَجوز).

(٢) لضِيق المَقام عن ذِكْرِه مُحافَظة على وزنٍ أو قافية نحو:

على أنّني راضٍ بأن أحمِلَ الهَوى وأخلُصَ منه لا عَليّ ولا لِيا

(أي لا عليّ شيءٌ ولا لِي شيءٌ فقد حُذِفت شيءٌ الأُولى مُحافَظة على الوَزْن والثانية مُحافَظة على القافية).

(٣) لضِيق المَقام حَذَرًا من فَوات فُرصةٍ كقول الصيّاد «غزالٌ» أي هذا غزال.

(٤) لتَعيُّنِه بالعَهْدِيّة نحو «واستَوتْ على الجُوديّ[1]» أي السَّفينة وهي مَعهودة في الكلام السابق حيث يَقول «واصنَعِ الفُلْك بأعيُننا» وما يليها من الآيات.

(٥) لتَعيُّنِه بالقَرينة نحو «حتّى توارت بالحِجاب[2]» أي الشَّمس. والقَرينة عليها في الآية التي قَبْل المثال حيث يقول «إذا عُرِضَ عليهِ بالعَشِيّ الصَّافنات الجِيادُ» (ولذلك

(١) الجَبَل الذي وَقَفَتْ عليه سفينة نُوح.

(٢) في هذا المِثال والمِثال السابق (رقم ٤) يَعُدّ البَيانيّون المُسنَد إليه مَحذوفًا مع أنّهُ في اصطِلاح النُّحاة مَوجود وهو الضمير العائد إلى المُسنَد إليهِ الأصليّ.

أَضْمَرَ للشَّمْس بدون ذِكْرها كما نَصّ عليه الإمام البَيضاوِيّ).

(٦) لتَعيُّنِه بكَوْن المُسنَد لا يَليق إلّا به نحو «عالِم الغَيب والشهادة» أي عالِم الغَيْبَة والحُضور وذلك لا يَليق إلّا بالله.

(٧) اِتِّباعًا للاستعمال كقولهم «رِمْيَة من غير رام» أي «هذه رِمية». وهذا مَثَل قاله الحَكَم بن يَغوث المنقَرِيُّ وكان قد رمى الصَّيْد مِرارًا فأَخطأَهُ وهو أرمى أهل زمانِهِ. ثُمَّ رمى ابنه المَطْعَم فأصاب وهو لا يُحسِن الرَّمْي. فقال الحَكَم «رِمْيَة من غيرِ رامٍ» فذَهَبت مَثَلًا والأمثال تُروى كما وَرَدت عن قائلها.

وأمّا ذِكْر المُسنَد إليه فيَكون:

(١) لكونِه هو الأَصْل ولا مُقتَضِيَ مِمّا مَرّ للعُدول عنه.

(٢) لِضَعْف الاعتِماد على القرينة (أي لضَعْف الثِّقة بدَلالتها على المُسنَد إليه لأنّها غير واضحة).

(٣) لِضَعْف الاعتِماد على تَنبُّه السامع (لأنّه غير حاذق).

(٤) لزيادة التقرير أي تَمكين الخَبَر في ذِهن السامع.

(٥) للتبرُّك أو الاستِلذاذ. وغير ذلك مِمّا يُناسِب المَقام.

تمرين

في الأمثِلة الآتية بَيِّن أسباب حَذْف المُسنَد إليه حيث تَجِدُه مَحذوفًا وأسباب ذِكْرِه حيث لم يُحذَف

١ الفَصْل الأوَّل

٢ كتاب المَعاني والبَيان

٣ بـالله يـا ظَبَـياتِ الـقـاع قُلْنَ لـنـا ... لَـيلايَ مِـنْكُـنّ أم لـيـلى مِـنَ الـبَـشَـرِ

٤ قـال لـي كـيـفَ أنـتَ قُلْتُ عـلـيـلُ ... سَـهَـرٌ دائـمٌ ووَجْـدٌ طَـويـلُ

٥ وإنّـي مِـنَ الـقَـوْم الـذيـن هُـمُ هُـمُ ... إذا مـات مِـنْهـم سَـيِّدٌ قـامَ صـاحِـبُهْ

نُـجومُ سَـماءٍ كُـلَّـما غـاب كَـوْكَـبٌ ... بَـدا كَـوْكَـبٌ تَـأْوي إلـيـه كَـواكِـبُـهْ

٦ وأنـتِ الـتي كَلَّفتِني دَلَجَ السُّرى ... وجَـوْنُ الـقَـطـا بـالـجَـهْـلَـتَـيْـن جُـثُـومُ

وأنـتِ الـتي أَحْفَظْتِ أهلي فكُلُّهم ... بَـعـيـدُ الـرِّضـى داني الـصُّـدودِ كَـظـيـمُ

الفصل الثاني ـــــ تَعريف المُسنَد إليه وتَنكيرهُ

تعريف المُسنَد إليه

حَقُّ المُسنَد إليه أن يَكون مَعرِفة لأنّ المَحكوم عليه يَنبغي أن يَكون مَعلومًا ليَكون الحُكْم مُفيدًا.

وتَعريفُه يَكون :

(١) **بالإضمار** (أي باستِعمال الضّمير للدَّلالة عليه) لكَوْن الحَديث في مَقام التكلُّم أو الخِطاب أو الغَيْبَة.

١- يُستعمَل ضمير المُتكلِّم للدَّلالة على المُتكلِّم مُفرَدًا أو جَمعًا نحو «أنا عَبْد الله. ونحن أُباة الضَّيْم».

٢- ويُستعمَل ضَمير المُخاطَب في مَقام الخِطاب نحو «أنتَ مَوْلانا». وقد يُستَعمل أحيانًا دون أن يُقصَد بِهِ مُخاطَب مُعيَّن نحو «إذا أنتَ أكرمْتَ الكريمَ مَلَكتَهُ». فلا يُراد هنا مُخاطَب بعَيْنِه.

٣- يُستَعمل ضمير الغائب في مَقام الغَيْبَة لتَقدُّم ذِكْر المُضمَر له إمّا لَفظًا نحو «واصبِر حتّى يَحكُم اللهُ بيننا وهو خَيْر الحاكمين» أو مَعنًى نحو «وإن قيل لكُمُ ارجِعُوا فارجِعوا هو أزكى لكم». فإنّ ضمير الغائب فيه عائدٌ إلى ما في قَوله ارجِعوا من مَعنى الرُّجوع.

(٢) **بالعَلَمية** (أي باستِعمال العَلَم للدَّلالة عليه) والعَلَم اسْم أو لَقَب أو كُنْيَة.

١- فاستِعمال الاسْم يَكون الغَرَض منه إحضار المُسنَد إليه بعَيْنه في ذِهن السامع ابتِداءً أي لأوّل مَرّة يُذكَر ذلك الاسْم المُختَصّ به نحو «الله أكبر». واحترَزنا بقولنا لأوَّل مَرَّة عن إحضارِه ثانية بالإضمار له نحو «جاءَ زيدٌ وهو ضاحك».

٢- ويُستَعمل اللَّقب للتّعظيم أو للتَّحقير في ما يَصلُح لهما نحو «رَكِب سَيْفُ الدّولة[١]» و«حَضَر أنف النّاقة[٢]».

---

(١) المراد بسيف الدّولة علي بن حَمَدان العدَويّ وكان مَلِكًا في حَلَب مَشهورًا بالغَزْو والفُتوحات.

(٢) أنْف الناقة هو جَعفر بن قُرَيع من بني سَعْد بن زيد مَناة لُقِّب بذلك لأنّه أدخَل يده في أنْف ناقة قد قَطَع رأسَها وجَعَل يَجُرّ ذلك الرّأس إلى بيتِه.

٣- وتُستعمَل الكُنْيَة للكِناية عن مَعنًى يَقع فيه نحو «طَلَع أبو الهَيْجاء[١]».

٤- [أمّا العَلَم الجِنسيّ فهو عَلَم وُضِع لجِنْس مُعيَّن من **الأعيان** كقيصر لمَلِك الرّومان وفرعون لمَلِك مِصر قديمًا وأُسامة للأسَد وثُعالة للثَّعلب. أو **المَعاني** نحو بِرَّة للبِرّ. ويُستعمَل العَلَم الجِنسيّ حيث يَقتضي المَقام لغاياتٍ بَيانِيّة استِعمال العلَم].

(٣) **بالمَوصوليّة** (أي باستِعمال اسْم المَوصول) وذلك:

١- لعَدَم عِلْم المُخاطَب بغير الصِّلة من أمْر المُسنَد إليه نحو «فإذا الذي استَنْصَرهُ بالأمسِ يسْتَصرِخُه». وهي آية من قِصّة موسى في القُرآن ذُكِر فيها الرَّجُل الإسرائيليّ (المُسنَد إليه) بلَفْظ المَوصول لأنّ المُخاطَب لا يَعلَم من أمرِه سِوى طَلَب النُّصْرة من موسى.

٢- للتّعظيم نحو «إذ يَغْشى السِّدْرَةَ ما يَغْشى[٢]».

٣- للإبهام نحو «ليس للإنسان إلّا ما سَعى».

٤- للإيماء إلى الوَجْه الذي يُبْنى عليه الخَبَر نحو «الذين آمَنوا وعَمِلوا الصّالِحات لهم مَغْفِرَةٌ ورِزْقٌ كَريم» (فالوَجْه الذي بُني عليه الخَبَر أي الصِّفَة التي تَستحِقّ الحُكْم المُعبَّر عنه بالخَبَر هو استِحقاق الإيمان وعَمَل الصالِحات للمَغْفِرَة والرِّزْق الكَريم).

٥- للدَّلالة على صِفةٍ نحو «تَبارك الذي بيدِه المُلْك».

٦- للتّنبيه على خطإٍ نحو «إنّ الذين تَدْعون من دونِ الله عِبادٌ أمثالُكُم».

٧- للتّوبيخ نحو «الذي أحسن إليكَ قد أسأْتَ إليه».

(٤) **بالإشارة**. وذلك:

١- لتَمييزِه أكمَل تمييز أي لإدراكِه الحِسّي بالإشارة إليه فَضْلًا عن إدراكِه العَقلي وهو أكمل من إدراكِه بالعَقل فقط. نحو «هذه ناقة الله».

٢- لبَيان حالِه في **القُرْب** نحو «هذهِ بِضاعتنا» أو في **البُعْد** نحو «ذلك يَوْم الوَعيد».

٣- لتَصغيرِه بالقُرْب نحو «هل هذا إلّا بَشَرٌ مِثْلُكُم».

٤- لتَعظيمِه بالبُعْد نحو «ذلك الكِتابُ لا رَيْب فيه». والإشارة هُنا إلى القُرآن وهو قَريب لكونِه في الحَضْرة ولكن أشار إليه بلَفْظ البُعْد تَعظيمًا لشأْنِه.

---

(١) أبو الهَيْجاء لَقَب عبد الله إبن حَمَدان العَدَوِيّ. والهَيْجاء من أسماء الحُروب وهي المَعنى الذي يُكنّى عنه في اسمِه.

(٢) السِّدْرة واحدة السِّدْر وهو نوع من الشَّجَر. ويُراد بها هُنا سِدرة المُنتهى وهي أعلى مَكان في الجَنّة.

٥- قد يُراد التّصغير بالبُعد أيضًا بِناءً على قَصْد إبعادِه عن الحَضْرة نحو «تلك إذَن قِسْمَةٌ ضِيزى[1]».
٦- كثيرًا ما يُشار إلى القَريب غير المَنظور بإشارة البَعيد تَنزيلًا للبُعْد عن العِيان مَنزِلة البُعْد عن المَكان نحو «ذلك تأْويلُ ما لم تَسْتَطِع عليه صَبْرًا» فالإشارة هنا («في ذلك») إلى تَفسير مسائل في الآيات السابقة.

(٥) **باللّام** (أو **بأل التّعريف**) وذلك:
١- للإشارة إلى مَعهود نحو «حَكَم القاضي بكذا».
٢- للإشارة إلى نَفْس الحقيقة نحو «الإنسان حَيَوان ناطِق».

(٦) **بالإضافة** وذلك:
١- لأنّها أخصر طريق إلى إحضار المُسنَد إليه في ذِهْن السامع نحو «جاءَ غُلامي» فإنّهُ أخصر من الغُلام الذي لي.
٢- لإنّها تَتضمَّن تَعظيمًا لشأْن المُضاف نحو «قال رَسول الله».
٣- لأنّها تَتضمَّن تَعظيمًا لشأْن المُضاف إليه نحو «عبدي عندي» (فالتّعظيم فيه هو للمُتكلِّم بأَنّ له عَبْدًا).
٤- لتعظيم شأن غَيْر المُضاف أو المُضاف إليه نحو «جاءَني كِتاب السُّلطان» فالتَّعظيم هُنا لشأْن المُتكلِّم بأنّهُ مِمَّن يُكاتِبهم السُّلطان.
٥- قد تأْتي الإضافة لعَكْس التَّعظيم نحو «جاءَ ابْن الحائك»
(فالحائك مَثَل في الهَوان وعليه قولهم إنّ الآل لا يُضاف إلّا إلى شريف فيُقال آل الرّسول ولا يُقال آل الحائك).

تنكير المُسنَد إليه

قد يَكون المُسنَد إليه نَكِرة لأحَد الأغراض الآتية:

(١) **لِقَصْد الأفراد** أي لإرادة مَعنى الوَحدة نحو «ويلٌ أهون من وَيلَيْن» أي وَيل واحِد أهون من وَيلَيْن.
(٢) **لِقَصْد النّوعِيّة** نحو «لِكُلّ داءٍ دَواءٌ» أي (نوع من الدّواء).
(٣) **للتّكثير** نحو «لقد كُذِّبَتْ رُسُلٌ من قَبْلِك» أي (رُسُلٌ كَثيرة).
(٤) **للتّقليل** نحو «لو كان لنا من الأمْر شَيءٌ» (أي شيءٌ قليلٌ).

(١) ناقصة

تمرين

ما هو المُسنَد إليه في كُلّ من الأمثِلة الآتية والغاية البَيانيّة الحاصِلة من تعريفِهِ أو تَنكيره وإن كان مَعرفة فمِنْ أيّ أنواع المَعرفة هو:

هـو الـبَـحْـر مـن أيِّ الـنّـواحـي أتـيـتَـهُ ... فلُـجّـتُـهُ الـمَـعـروفُ والـجُـودُ سـاحِـلُـهْ

والـــذي حـــارَتِ الـــبَـــريَّـــةُ فـــيـــه ... حَـيَـوانٌ مُـسـتَـحْـدثٌ مـن جَـمـادِ

هـذا الـذي تَـعـرِفُ الـبَـطْـحـاءُ وَطـأتَـهُ ... والـبَـيْـتُ يَـعـرِفُـهُ والـحِـلُّ والـحَـرَمُ

أُولـئـك آبـائـي فَـجِـئْـنـي بِـمِـثْـلِـهِـم ... إذا جَـمَـعَـتْـنـا يـا جَـريـرُ الـمَـجـامِـعُ

أولادُ جَـفْـنَـةَ حَـوْلَ قَـبْـرِ أبـيـهِـم ... قـبـرِ ابْـنِ مـارِيَـةَ الـكَـريـمِ الـمُـفـضِـلِ

لـهُ حـاجِـبٌ عـن كُـلِّ أمْـرٍ يُـشـيـنُـهُ ... ولـيـسَ لـه عـن طـالـب الـعُـرْف حـاجـبُ

الـسَّـيـفُ أَصْـدقُ أنـبـاءً مـن الـكُـتُـبِ ... فـي حَـدِّهِ الـحَـدُّ بـيـن الـجِـدِّ والـلَّـعِـبِ

لـنـا جَـبَـلٌ يَـحـتَـلُّـهُ مَـنْ نُـجـيـرُهُ ... مَـنـيـعٌ يَـرُدُّ الـطَّـرْفَ وهـو كَـلـيـلُ

الفصل الثالث إتباع المُسنَد إليه وفَصْلُهُ

إتباع المُسنَد اليه

المُراد بإتباع المُسنَد إليه إلحاق أحد التوابع النَّحوِيّة به وهي النعت وعَطْف البَيان والتوكيد والبَدَل وعَطْف النَّسَق.

(١) **إتباعُه بالنعت** (أو **الوصف**) يَكون:

١- للكَشْف عن أمرِه نحو «قال رَجُل مُؤْمِن من آل فرعون».

٢- لتَخصيصِه إن كان مُشترَكًا نحو «قال إبرهيم الخليل».

٣- لمَدحِه أو ذَمِّه إن كان مُعيَّنًا نحو «شَهِد الله العظيم» و«نَزَغَ[1] إبليس الرَّجيم».

٤- لمُجرَّد التوكيد نحو «أمس الدابر لا يَعودُ».

(٢) إتباعُه **بعَطْف البَيان** يَكون لإيضاحِه بأمر مخُتَصّ به نحو «قدِمَ صاحبك عُثمان».

(٣) **توكيدهُ** يكون:

١- للتقرير نحو «جاءَ زيدٌ زيدٌ».

---

(١) نَزَغ: أغوى

٢- لدَفْع تَوهُّم المَجاز نحو «قَطَع اللصَّ الأميرُ الأميرُ». فإنّ لفظة الأمير الثانية تَنفي تَوهُّم إسناد القَطْع إلى الأمير مجَازًا كما في «بنى الأمير المدينة» وتُثبِت أنّ القَطْع كان بيدِه حقيقةً لا بأمرِه.

٣- لدفع توهُّم عدم الشُّمول نحو «جاءَ القومُ كُلُّهم». فلو تُركَت لفظة «كُلّهم» لَتوهَّم القارئُ أو السامع أنّ بعض القوم لم يَجيئوا.

(٤) **الإبدال** منه يكون لزيادة التقرير:

١- في بَدَل الكُلّ نحو «جاءَني أخوك زيدٌ».

٢- في بَدَل البعض نحو «سَقَط البيتُ جانبُه».

٣- في بَدَل الاشتِمال (أو الشُّمول) نحو «راعني الفارسُ رمحُه» وزيادة التقرير في بَدَل الكُلّ نتيجة لِما فيه من التكرار المَعنويّ لأنّ المُبدَل هو عين المُبدَل منه فهو كالتكرار له. وهي في بَدَل الاشتِمال نتيجة لِما فيه من التفصيل بعد الإجمال لأنّ الثاني مُتضمَّن في الأوَّل فهو كالمذكور أوّلًا بطريق الإجمال ثمّ فُصِّل ثانيًا. وأمّا بَدَل الغَلَط فلا يَقع في كلام البُلَغاءِ.

(٥) **العَطْف** عليه يَكون:

١- **لتفصيلِه مع اختِصار** نحو «جاءَ زيدٌ وعَمروٌ». فإنّ فيه تفصيلًا للمُسنَد إليه بكونِه مُتعدِّدًا ولو قُلنا «جاءَ زيدٌ وجاءَ عَمروٌ» لكان فيه تَفصيل للمُسنَد إليه ولكن لا اختِصار فيه لأنّهُ تَضمَّن تَفصيل المُسنَد أيضًا.

٢- **لتفصيل المُسنَد مع اختصارٍ** نحو «جاءَ زيدٌ ثُمّ عَمروٌ» فإنّ فيه تفصيلًا للمُسنَد بكونِه واقعًا على التَّرتيب (فَضْلًا عن تفصيل المُسنَد إليه بكونِه مُتعدِّدًا) واحتَرِز بقولِه مع اختِصار عن نحو «جاءَني زيدٌ وعَمروٌ بعده بيومٍ أو شَهْرٍ» فلا اختصار فيه.

ومن هذا القبيل العَطْف بالفاءِ وحتّى نحو «دَخَل الأمير فجلس وقَدِم الحجيجُ حتّى الرجَّالة».

٣- **لرَدّ السامع إلى الصواب** نحو «أتى زيدٌ لا عَمروٌ» ويكون ذلك فيما إذا كان السامع يَعتقِد أنّ عَمْرًا أتى دون زيدٍ أو أنهّما أتَيا جميعًا.

٤- **للشكّ** (أي وقُوع الشكّ في نَفْس المُتكلِّم) أو **التشكيك** (أي إيقاعه في نَفْس السامع) نحو حَضَر زيدٌ أو عَمروٌ وعلى الكاتب مُراجَعة مَعاني حُروف العَطْف في كُتُب النَّحْو ليَفْهم الأغراض البَيانية المقصودة من العَطْف بكُلٍّ منها).

فَصْل المُسنَد إليه

يُراد بفَصْل المُسنَد إليه إقحام ضمير عائد إليه يُسمّى ضمير الفَصْل بينه وبين المُسنَد (إذا كانا مُبتَدأً وخَبَرًا). والأغراض المقصودة من هذا الفَصْل هي:

(١) تخصيص المُسنَد إليه بالمُسند مُنفردًا به نحو. «أُولئك هُمُ المُفلِحون». (الإشارة في «أُولئك» إلى «الذين يُؤمنون بالغَيْب» المَذكورين في صَدْر الآية).

(٢) تَوكيد الحُكْم فيما إذا كان المُسنَد إليه متخصِّصًا بالمُسنَد نحو «رَبُّك هو أَعْلَم بمَنْ ضلّ عن سبيلِهِ».

(٣) [إذا كان المُسنَد إليه والمُسنَد مَعرفتَيْن وخِيفَ أن يُتوهَّم أنّ المُسنَد تابع للمُسند إليه يُؤْتى بضمير الفَصْل مَنعًا للالتِباس فلو قُلتَ: «ذلك الرَّجُلُ الذي ذَكَرناه» لَوقَعَ التباس فتُزيله بقولك «ذلك هو الرَّجُلُ الذي ذَكَرناه» أو «ذلك الرَّجُل هو الذي ذَكَرناه»].

تمرين

بَيِّن تَوابع المُسنَد إليه في الأمثِلة الآتية والأغراض البَيانية الحاصلة من كُلٍّ منها:

أَلا في سَبيلِ المَجدِ ما أنا فاعِلُ ... عفافٌ وإقدامٌ وحَزْمٌ ونائلُ

وجاهلٍ مَدّه في جَهْلِه ضَحِكي ... حتّى أتَته يَدٌ فَرّاسةٌ وفَمُ

بِيضُ الصّفائح لا سُودُ الصّحائفِ في ... مُتونِهنّ جَلاءُ الشّكّ والرِّيَبِ

واللبيبُ اللبيبُ مَنْ ليس يَغترُّ ... بِكَوْنٍ مَصيرُه للفَسادِ

مَجدي أخيرًا ومَجدي أوّلًا شَرَعٌ ... والشمسُ رَأْدَ الضُّحى كالشّمسِ في الطَّفَلِ

الفَصْل الرابع تَقديم المُسنَد إليه وَتأْخيره

تَقديم المُسنَد إليه

(١) إذا كان المُسنَد إليه مُبتدأً فَيَجوز تَقديمُه على المُسنَد او تَأْخيرُه عنه ولكنّ الأصل تَقديمُه لأنّ ذِكْرَه أهمّ من ذِكْر المُسنَد فهو المَحكوم عليه ولا بُدّ من سَبْقِهِ في الذِّهن حتّى يُبنى عليه الحُكم ولهذا يَحُقّ أن يُسبَق في الذِّكر أيضًا. ويُراعى هذا الترتيب حيث لا باعث على خلافِه (كما لو كان المُسنَد إليه فاعلًا فَيجِب تأْخيرُه عن فِعْله لأنّ العامل قَبْل المَعمول).

(٢) يُقدَّم المُسنَد إليه إذا كان مُبتدأً ليتَمكَّن الخَبَر في ذِهن السامع لأنّ في المُبتدإِ تَشويقًا إليه نحو «إنّ أكرَمَكم عِنْد الله أتقاكم».

(٣) يُقدَّم أيضًا لتَعجيل المَسرَّة كقولك «الحَبيب أقبَل» أو لتَعجيل المَساءَة كقولك «العَدُوّ دَخَل البَلَد».

(٤) يُقدَّم المُسنَد إليه إظهارًا لتَعظيمِه لأنّ تَقديمه يُشعِر بأنّ الكلام قد سيق له فيَقتضي العِناية بشأنِه. نحو «وأَجلٌ مُسمًّى عنده».

(٥) قد يَكون تَقديمُه لإفادة قَصْر الخَبَر الفِعْليّ عليه أو تَقوية الحُكْم به - أي إنّ تَقديم المُبتَدإِ يُفيد أنّ الخَبَر الواقع فِعْلًا (أو جُملة فِعْلية) مُخصَّصٌ بالمُبتَدإِ دون سِواه نحو «أنت أعطَيتني المال» أي أنت لا سِواك أو يُفيد تَقوية الحُكْم عليه بذلك الخَبَر نحو «أنت لا تَبخُل» فهنا تأكيد لبُعْد البُخْل عن صِفات المُخاطَب. وقيل لا يَختَصّ ذلك بالفِعْل بل يتأتّى في غيره من المُشتَقّات نحو «وما أنت علينا بعَزيز».

وهذا التقديم يَكون إمّا في النفي أو في الإثبات.

(١) **في النّفي**: إمّا أن يَقع المُسنَد إليه **بعد حَرْف النّفي** أو قبله.

١- إذا وَقع المُسنَد إليه بعد حَرْف النفي فيُفيد تَخصيصُه بالخَبَر مَنفيًّا عنه ثابتًا لغيره نحو «ما أنا فَعلت هذا». أي لم أفعله مع أنّهُ مَفعول لغيري فهُنا يُفهَم أنّ الفِعْل قد وَقع وغَرَض المُتكلِّم نَفيُه عن نفسِه مع إثبات وُقوعِه من غيرِه ولهذا لا يَصُحّ أن يُقال «ما أنا فَعلت هذا ولا غيري».

٢- إذا وَقع المُسنَد إليهِ قبل حَرْف النفي فيُفيد: (أ) تَخصيص نَفي الخَبَر عن المُسنَد إليه نحو «أنت ما سَعَيت في حاجتي» (فهُنا قد خُصِّص بالمُخاطَب نَفْي السَّعي في حاجة المُتكلِّم دون إثبات حُصول السَّعي من آخَر ومع احتِمال نِسْبة فِعْل آخَر إلى المُخاطب فَيصُحّ أن يُقال بعد هذه الجُملة «ولا سَعى فيها غيرك» أو «بل سَعى فيها غيرك» أو «بل سَعيت في غيرها» ونحو ذلك). (ب) تَقوِية الحُكْم نحو «أنت لا تَبخُل». فإنّهُ أنفى للبُخل من «لا تَبخُل» ومن «لا تَبخُل أنت» لتَكرُّر الإسناد في الأُولى دون الأخيرَتيْن لأنّ الخَبَر فيها قد أُسنِد إلى الضمير المُستتِر ثُمّ إلى البارز فاستُفيد بذلك تَقوِية الحُكْم.

(٢) **في الإثبات** أو **الإيجاب**. فإنّهُ يأتي:

١- للتَّخصيص نَحو «أنا سَعَيت في حاجتك» رَدًّا على من اعتَقَد أنّ الساعي غيرك فيؤَكَّد بنحو «لا غيري». أي إذا شئتَ التأكيد قُلت «أنا سَعَيت في حاجتك لا

غيري أو لا فُلان» وإن كان المُخاطَب اعتقَد أنّ غيرك قد شاركك في السَّعي فيؤكَّد الحُكْم بنحو «وَحدي» أي يَصُحّ أن يُقال «أنا سَعَيت في حاجتك وَحدي ولم يَشترِك معي في السَّعي آخَر».

٢- **للتَّقوية** نحو «هو يَهَب الأُلوف» فليس المُرادُ هنا أنّهُ هو يَهَب الأُلوف وحده أو دون اشتِراك آخَر معه بل المُراد إبراز هذه الحقيقة أو تَقويتها.

كُلّ ما سَبَق يَختصّ بالمعَارف أي إذا كان المُسنَد إليه مَعرِفة وأمّا إذا كان نَكِرة فليس في تَقديمِه غَرَض إلّا التَّخصيص إمّا للجِنْس وإمّا للواحِد من أفرادِه نحو «رَجُلٌ جاءَني» أي رَجُلٌ لا امرأة أو رَجُل واحِد لا رَجُلان.

تأخير المُسنَد إليه

يُؤَخَّر المُسنَد إليه حيث يَقتضي المَقام تَقديم المُسنَد كما سيَجيءُ مُفصَّلًا في باب أحكام المُسنَد.

تمرين

في الأمثِلة الآتية بَيِّن الأسباب الداعية إلى تَقديم المُسنَد إليه أو الأغراض الحاصلة من تَقديمِه:

تَلَفُّتُها إلى نَجْدٍ دَليلٌ ... على أنّ الغَرامَ بأرْضِ نَجْدِ

شَيْبُ رَأسي وذِلَّتي ونحولي ... ودُموعي على هَواكِ شُهودي

كُلُّ حِلْمٍ أتى بغيرِ اقتِدارٍ ... حجَّةٌ لاجئٌ إليها اللِّئامُ

شَرُّ البِلادِ مَكانٌ لا صَديقَ به ... وشَرُّ ما يَكْسِبُ الإنسانُ ما يَصِمُ

ما كُلُّ ما يَتَمنّى المَرْءُ يُدرِكُه ... تَجري الرِّياح بِما لا تَشتهي السُّفُنُ

فما الحَداثَةُ عن حِلْمٍ بمانِعةٍ ... قد يُوجَدُ الحِلْمُ في الشُّبّان والشِّيبِ

- ما الفَرْق بين قولنا «ما كُلُّ مَعلوم يُقال» وقولنا «كُلُّ مَعلوم لا يُقال».
- ما الفَرْق في المَعنى بين البيتَيْن الآتيَيْن:

قد هَوّنَ الصَّبْرُ عندي كُلَّ نازلةٍ ... ولَيَّنَ العَزْمُ حَدَّ المَرْكَبِ الخَشِنِ

الصَّبْرُ هَوَّن عندي كُلَّ نازلةٍ ... والعَزْمُ لَيَّنَ حَدَّ المَرْكَبِ الخَشِنِ

الباب الثالث

أحوال المسنَد

الفَصل الأوَّل تَرْكُ المُسنَد وذِكْره

تَرْكُ المُسنَد

يُتْرَكُ المُسنَد إذا دَلَّت عليه قَرينة وتَعلَّق بتركِه غَرَضٌ مِمّا مَرّ في حَذْف المُسنَد إليه.

الأغراض التي تدعو إلى ترك المُسنَد:

(١) الاحتِراز عن العَبَث في الكلام نحو «إنَّ الله بَريءٌ مِنَ المُشركين ورَسُولُه» (أي ورَسولُه بَريءٌ منهم أيضًا) فلو ذُكِر هذا المَحذوف لكان ذِكْرُه عَبَثًا لعَدَم الحاجة إليه.

(٢) ضِيق المَقام مُحافَظةً على وَزنٍ أو قافية نحو:

نحن بِما عِندَنا وأنت بِما عِندك راضٍ والرَّأْيُ مختلِف

أي نحن بما عندنا راضون فحَذْف «راضون» لضيق المَقام عن ذِكْرِه مُحافَظةً على الوَزْن.

(٣) إتباع الاستِعمال نحو «لولا أنتم لكُنّا مُؤْمنين» أي لولا أنتم موجودون.

(٤) [ومن هذا القَبيل حَذفُه بعد إذا الفُجائيّة نحو «خَرَجتُ فإذا أسَدٌ» (أي موجود).

(٥) وحَذفُه في جَواب الاستِفهام كقولك «زيدٌ» جوابًا لِمَنْ سَأل «مَن كريمٌ»].

والقَرينة الدَّالّة على المُسنَد إمّا أن تَقع في كلام المُتكلِّم نحو «أصلُها ثابت وفَرْعُها» (أي ثابت أيضًا) وإمّا أن تَقع في كلام غيرِه.

وهذه إمّا أن تكون مَذكورة نحو «فسيَقولون من يُعيدُنا قُلِ الذي فَطَرَكُم أوّلَ مَرّة» (أي يُعيدُكُمُ الذي فَطَرَكُم. فالقَرينة هُنا السُّؤال المَذكور في الكَلام السّابق).

وإمّا أن تكون مُقدَّرة نحو «يُسبَّح له (أي الله) فيها (أي في الجَنَّة) بالغُدُوِّ والآصال[1] رِجالٌ لا تُلْهيهِمْ تِجارة ولا بَيْع عن ذِكْر الله». فالقَرينة هُنا هي السُّؤال المُقدَّر في الجُملة الأُولى التي آخِرها كلمة «الآصال». ولفظة «رجالٌ» وما بعدها كلام مُستأْنَف. وتَلخيص العِبارة كأنّهُ لمّا قال «يُسبَّح له فيها» قيل له «من يُسبِّحه» فقال «يسَبِّحه رِجال هذه صِفَتهم». والدّاعي إلى هذا التأويل أنّ الفِعْل «يُسبَّح» مَبْنيٌّ للمَجهول لأنّهُ لو كان للمَعلوم لكان رِجالٌ فاعلًا لهُ فلم تَكُنِ الآية في شيءٍ من ذلك.

ذِكْر المُسنَد

[يذكر المُسنَد لأغراض منها ما يُماثِل الأغراض الداعية إلى ذِكْر المُسنَد إليه ومنها ما يَختَصّ بالمُسنَد. فيُذكَر:

١- لكَوْن الذِّكْر هو الأصْل ولا مُقتضيَ للحَذْف.

٢- لِضَعْف الاعتِماد على القَرينة أو على تَنبُّه السامع كما لو سُئلتَ مَنْ كَتَب هذا الكتاب وكُنْتَ قَبْلًا قد سُئلتَ من نَظَم تلك القَصيدة فتُجيب «زيدٌ كَتَبه» لأنّك لوِ اكتَفيتَ بقولك «زيدٌ» لوَقَع التِباس في كَوْن زَيد كاتب الكِتاب أو ناظم القَصيدة.

٣- لِزيادة التقرير. كما لو سألَكَ القاضي «مَنِ المُدّعي في هذه القَضيّة» فأجَبْتَ «أنا المُدّعي فيها». فإنّك لو أَجبْتَ «أنا» فقط لأمْكَن الاستِغناء عن الخَبَر لوُجود قَرينة في السُّؤال تَدُلّ عليه ولكنّ ذِكْره زيادة في تَقريرِه في ذِهْن المُخاطَب.

٤- للتَّبرُّك أو الاستِلذاذ نحو «مَنْ هو هذا مَلِك المَجْد» «رَبُّ الجُنود هو مَلِك المَجْد».]

٥- لكي يَتعيَّن كَوْن المُسنَد فِعْلًا فيُفيد التَّجَدُّد مُقيَّدًا بأحَد الأزمِنة على أخصر طريق. أو اسْمًا فيُفيد الثُّبوت مُطلقًا نحو «يُخادِعون الله وهو خادِعُهُم». فإنّ قولَه «يُخادِعون» يُفيد التَّجَدُّد مَرَّة بَعْد أُخرى مُقيَّدًا بالزّمان على غير افتِقار إلى قَرينة تَدُلّ عليه كذِكْر الآن أو الغَد. وقوله «خادِعُهُم» يُفيد الثُّبوت مُطلقًا من غير نَظَر إلى زَمان يَتعلّق به.

أمثِلة

أذكرِ الأسباب الداعية إلى حَذْف المُسنَد أو ذِكْره في الأمثِلة الآتية:

لولا الهوى لم تُرِق دَمْعًا على طَلَل

رَقَّ الزُّجاجُ وراقَتِ الخَمْرُ ... وتَشابَها فتَشاكَلَ الأمْرُ

فَكأنّما خَمْرٌ ولا قَدَحٌ ... وكأنّما قَدَحٌ ولا خَمْرُ

(١) الآصال جمع أصيل وهو ما بَعْد العَصْر إلى المَغْرِب.

- ما الفرق في المعنى بين الجُمَل الآتية:
سَكَن زيدٌ في بيروت
زيدٌ يَسكُن في بيروت
زيدٌ ساكنٌ في بيروت.

الفَصل الثاني تَنكير المُسنَد وتَعريفه

الأصل في المُسنَد إذا كان اسْمًا أن يَكون نَكِرة ولكنّه يَجوز أن يَكون نَكِرة مُخصَّصةً أو مَعرِفة.

(١) فَتَنكيرُه يَكون لِقَصْد انتِفاء العَهْد أو الحَصْر المُستفادَين من التعريف نحو «أنتَ أميرٌ». فلو قُلتَ «أنتَ الأمير» لكان المَقصود أنتَ الأمير المعهود أو الذي لا أمير سواه. واعلَمْ أنّ هذا الاعتِبار إنّما يَكون في ما يَصُحّ إيرادُه مَعرِفةً أو نَكِرةً وهو ما يَصلُح للتعريف باللّام أو بالإضافة.

(٢) أمّا تَخصيصُه بالإضافة نحو «هذا طالِب عِلْم» أو بالوَصْف نحو «هذا عالِمٌ بَليغ» فلِتَكون الفائدة أتمّ لأنّ التخصيص يَزيد في الفائدة لتقليلِه الشُّيوع.

(٣) أمّا تَعريفُه فيَكون:

١- لإفادة السامع حُكْمًا على أمر مَعلوم عنده (وذلك عندما يَكون المُسنَد إليه مَعرِفة) بأمر آخَر مَعلوم أيضًا عند السامع نحو «هذا الخطيب» و«ذاك نَقيب الأشراف».

٢- لإفادة لازِم ذلك الحُكْم وهو المُعبَّر عنه بلازم فائدة الخَبَر كما مَرّ في باب أحكام الإسناد نحو «زيدٌ أخوك».

(٤) إذا كان المُسنَد معرَّفًا بلام الجِنْس فقد يُفيد قَصْر المُسنَد على المسنَد إليه نحو «أنتَ الأمير» فإنّهُ يُفيد قَصْر الإمارة على المُخاطَب (أو حَصْرها فيه) **حقيقةً** إذا لم يَكن أمير غيره أو **مُبالَغةً** لكَمَالِه فيها حتّى لا يُعتَدّ بغيرِه فيُنزَّل غيرُه مَنزِلة العَدَم. فيَكون مَعنى قولنا «أنت الأمير» أنّهُ الأمير الذي تَحُق له الإمارة دون غيرِه فكأنّ غيره مِمَّن يُلقَّبون بهذا اللَّقَب ليسوا بأمراء.

ولكنّه أحيانًا لا يُفيد القَصْر كما في قول المُتنبّي «أنا الغَنيّ وأموالي المَواعيدُ» فإنّهُ ليس من القَصْر في شيءٍ إذ لا يُراد أنّهُ الغنيُّ الوَحيد بل إنّهُ الرَّجُل المَزعوم أنّهُ غنيٌّ مع أنّهُ لا أموال له إلّا المَواعيد.

الفَصْل الثالث إفراد المُسنَد وإجماله

يَكون المُسنَد مُفرَدًا إذا انتفى ما يُوجِب كونَه جُملةً [فإن كان مفرَدًا فهو إمّا فِعْل والمُسنَد إليه فاعلُه أو نائبُ فاعِله وإمّا اسْم فيَكون خَبرًا والمُسنَد إليه مُبتَدأٌ له.

وإن كان جُملة فهو إمّا جُملة اسْميّة (أي مُؤَلَّفة من مبتدإٍ وخَبَر) أو فِعْليّة (مُؤَلَّفة من فِعْل وفاعل أو نائِبه)].

يَكون المُسنَد جُملة:

(١) لتَقوِية الحُكْم بتَكرُّر الإسناد نحو «زيدٌ قام» فإنّ إسناد القيام في هذه الجملة إلى زيد يُعتَبر أقوى منه في قولنا «قام زيدٌ». ففي الجُملة الأُولى تكرَّر الإسناد لأنّ الفِعْل أُسنِد أوّلًا إلى الضمير المُستَتِر ثُمّ أُسنِد إلى زيدٍ فأفاد الحكم تَقوِية.

ويُسمّى هذا المُسنَد فِعْليًّا ويُراد بالفِعْليّ ما كان مَفهومُه ثابتًا للمُسنَد إليه أو مَنفيًّا عنه فعلًا كان (كما مَرّ) أو اسْمًا (نحو زيدٌ قائِم). أمّا نحو «زيدٌ قائِمٌ» فليس فيهِ من التقوِيَة ما في نحو «زيدٌ قام» وإن كان الوَصف مُشتمِلًا على ضمير المُسند إليه لأنّهُ كالخالي من الضمير في كونِه لا يَتغيَّر في التَّكلُّم والخِطاب والغَيبَة. فيُقال «أنا قائِمٌ» و«هو قائِمٌ» كما يُقال «أنا رجلٌ» و«هو رجلٌ» بخِلاف «أنا قُمْتُ» و«هو قام». ولهذا لم يَحكموا بأنّهُ مع فاعِله جُملةٌ ولا أَجْرَوه مَجرى الجُملة في البِناء.

(٢) لتَوجيه الحُكْم إلى مُتعلِّق المُسنَد إليه نحو «زيدٌ قامَ أبوه» أو «زيدٌ أبوه قائِمٌ». ويُقال لهذا المُسنَد سَببيًّا لأنّ الحكم فيه مُوجَّه إلى مُتعلِّق المُسنَد إليه أو سَببَيْه.

ويَكون المُسنَد جُملة اسْمية إذا أُريد الإعراب عن مَعنى الثُّبوت. فقولنا «زيدٌ أبوه قائِم» يُفهَم منه أنّ القِيام صِفَة أو حالة ثابتة لأبي زيد.

ويَكون المُسنَد جُملة فِعْلية إذا أُريد الإعراب عن مَعنى التّجَدُّد. فقولنا «زيدٌ قام أبوه أو يقوم أو سيقوم» يُفيد معنى حُدوث الفِعل في زمان الماضي أو الحال أو المُستقبَل ويَكون المُسنَد جُملة ظَرفِيّة (وفي اصطِلاح النُّحاة شِبْه جُملة) لاختِصار الفِعْليّة لأنّ الظَّرْف مُقدَّر بالفِعْل على الأصحّ. (أي إذا قيل «زيدٌ عِنْدك» فالتَّقدير زيدٌ حَصَل عِنْدك. وهكذا زيدٌ في الدار ونَحْوهما. وإنّما قال على الأصحّ لأنّ منهم مَنْ يرجِّح تَعلُّق الظَّرْف بالاسْم المُشتَقّ من الفِعْل على تَقدير زيدٌ حاصلٌ عِنْدك لأنّ الأصل في الخَبر الإفراد. والأوّل أرجح لأنّ الفعل هو الأصل في التَّعلُّق والاسْم مَحمولٌ عليه لمُشارَكتِه إيّاه).

بَحْث في الجُملة الشّرطِيّة

تكوَن الجُملة الفِعْليّة شَرطِيّة لاعتِبارات تَتوجّه إلى ما في أدوات الشَّرْط من المَعاني المُختلِفة-كما نَصّ عليه النُّحاة [فبعضها لِلزّمان وبعضها لِلمكان] وهَلُمَّ جَرًّا.

ونَخُصّ بالذِّكْر من أدوات الشَّرْط إن وإذا:

(١) إنْ حرف شَرْط وأمّا إذا فظَرْف يَتضمَّن مَعنى الشَّرْط ولهذا يَكون مَحلُّها من الإعراب النَّصْب على الظرفِيّة وهي تُضاف إلى جُملة الشَّرْط.

(٢) إنْ تَجزُم فِعْل الشَّرْط وجَوابه إذا تَمّت شُروط الجَزْم وأمّا إذا فلا تَجزُم إلّا في الضَّرورة.

(٣) إنْ تُستعمَل لعَدَم القَطعْ بوُقوع الشَّرْط. (أي عَدَم الاعتِقاد الجازم بوُقوع الحَدَث المَدلول عليه بفِعْل الشَّرْط) نحو «إنْ تَزُرْني أُكرِمْكَ» إذ يُحتَمل أن تَحدُث الزيارة أو لا تَحدُث وليس في الفِعْل نَفْسِه أو في فاعِله أو مَفعولِه أو قَرائن الكلام ما يَدُلّ على تَحقُّق وُقوع الفِعْل أو تَرجيحِه. ولهذا لا يُقال «إن طَلَعت الشّمس أَزُرْكَ» ولكنْ يَصُحّ أن يُقال «إن أمْطَرَت السَّماءُ لا أبرَح مَنزِلي» ولذلك كان الحُكْم النّادر الوُقوع مُورِدًا لـ «إن» وعكسهُ لـ «إذا» فتُستعمَل للقَطْع بوُقوع الشَّرْط أو لِتأْكيد تَرجيح وُقوعِه نحو «إذا طَلَعت الشَّمس أزورُك» فطُلوع الشمس مُؤكَّد.

(٤) يَغلِب المجيءُ بالماضي في جانب «إذا» لدلالتِه على الوُقوع مُطلَقًا. وبالمُضارع في جانب «إن» لاحتِمال الشكّ في وُقوعِه نحو «فإذا جاءَتْهُمُ الحَسَنةُ قالوا لنا هذه وإن تُصِبْهُمْ سيِّئةٌ يَطَّيَّروا[1] بموسى ومن معه». فإنّ مَجيءَ الحَسَنة منه تعالى مَقطوع به وإصابة السّيِّئة نادرة ولهذا عَرَّف الحَسَنة بلام الجِنْس ونَكَّر السَّيِّئة لأنّ جِنْس الحَسَنة كالواجِب الوُقوع لكَثْرتِه واتِّساعِه باعتِبار شُمولِه لجميع أنواعها والتنكير مِمّا يَدُلّ على التقليل كما عَلِمت آنِفًا.

متى تُستعمل «إن» في مَقام القَطْع

تُستَعمل «إن» في مَقام القَطْع بخِلاف الأصل:

(١) تَجاهُلًا كقول المُعتذِر «إنْ كُنتُ فعلتُ هذا فعن خطإٍ» أي إنْ كُنتُ فَعلتُ الأمر الذي أُلام عليه فقد فعلتُه على غير قَصْدٍ. يقول ذلك وهو يَعلَم قَطْعًا أنّهُ قد فَعَله ولكنّه

---

(١) أصلها يَتطَيّروا فأُسكِنتِ التّاء وأُدغِمَت في الطّاء لتَسهيل اللّفظ ومَعناها يَتشاءَموا والضمير فيها يعود إلى قوم موسى.

يَعتذِر بالجَهْل لقيامِ عذرِه.

(٢) لِعَدَم قَطْع المُخاطَب بوُقوعِ الفِعْل المُعبَّر عنه بفِعْل الشَّرْط مع قَطْع المُتكلِّم بوُقوعِه كقولك للجاهل «إنْ نَدِمتَ فلَمْ نَفْسكَ» لأنّ الجاهل لا يَعتقِد قَطْعًا أنّهُ سيَندم على جهلِه.

(٣) لتنزيل العالِم بالأمر مَنزِلة الجاهل به لمُخالَفتِه مُقتضى علمِه كقولك للمُتكبِّر «إن كُنتَ من تُراب فلا تَفتخِر» فإنّ المُتكبِّر يَعلَم قَطْعًا أنّهُ من التُّراب وذلك يَقتضي أن يَضَع نَفْسه لكنّه يُخالِف هذا المُقتضى فيَتكبَّر.

لمّا كانت «إن وإذا» لتَرتيب حُصول أمر على آخَر في المُستَقبل كانت كُلّ جُملة لهما من الشّرط والجَواب استِقباليّة. أمّا الشَّرْط فلكَوْنِه مَفروض الحُصول في الاستِقبال. وأمّا الجواب فلأنّه مُرتَّب على حُصول الشَّرْط فهو مُتأخِّر عنهُ فَضْلًا عن مُقارنتِه له.

وقد يَكون الفِعْل مُستقبَلًا في اللّفظ والمَعنى بكونِه مُضارعًا أو مُستقبَلًا في المَعنى فقط بكونِه ماضيًا نحو «إن عِشْتُ فَعلتُ كذا» فاستِعمال الماضي هُنا لنُكتَة كإبراز غير الحاصل في مَعرِض الحاصل لغَرَض كالتّفاؤل بحُصول العيش المُستفاد تَحقُّقه من الماضي.

أحكام «لو» الشرطيّة

تُستَعمل «لو» الشرطِيّة في الماضي مع القَطْع بانتِفاء الوُقوع أي مع الاعتِقاد بعَدَم وُقوع الشَّرْط نحو «لو زُرتَني لأكرمتُكَ» فإنّهُ مَقطوع فيه بعَدَم الزيارة. ولهذا لَزِم أن يَكون شَرْطها وجَوابها ماضيَيْن إمّا في اللّفظ والمَعنى كما في المِثال السابق أو في المَعنى فقط نحو «لو لم تَزرْني أُكرِمكَ».

لا يَكون فِعْل الشَّرْط بعد لو مُضارِعًا إلّا لنُكتَة كإرادة الاستِمرار أو لغَرَض آخَر نحو «لو تَزورُني لعَرَفْتُ مَوَدّتَك» أي لو استَمْرَرت على زيارتي. وأمّا جَواب لو فلا يَكون إلّا ماضيًا.

تمرين

أمثِلة على إفراد المُسنَد وإجمالِه وعلى استِعمال «إن وإذا» يُطلَب من التلميذ تَحليلها وذِكْر الأغراض البَيانيّة المَقصودة من كُلّ منها:

ذو العَقْلِ يَشقى في النَّعيم بعقلِه وأخو الجَهالة في الشَّقاوةِ يَنْعَم

مَلومُكُما يَجِلُّ عن المَلامِ	ووَقْعُ فَعالِهِ فَوْق الكَلامِ
أَصالةُ الرأيِ صانَتْني عن الخَطَلِ	وحِلْيةُ الفَضْلِ زانَتْني لدى العَطَلِ
وإن عَلانيَ مَنْ دُوني فَلا عَجَبٌ	لي أُسْوةٌ بانحطاط الشَّمسِ عن زُحَلِ
إذا المَرْءُ لم يَدْنَسْ من اللُّؤم عِرْضُه	فَكُلُّ رِداءٍ يَرتديه جَميلُ
وإن هو لم يَحمِلْ على النَّفْس ضَيْمَها	فليسَ إلى حُسْنِ الثَّناءِ سَبيلُ
إذا وَصَفوا له داءً بِثَغْرٍ	سَقاهُ أَسِنَّةَ الأَسَلِ الطِّوالِ
ولو كان النِّساءُ كمَنْ فَقَدْنا	لَفُضِّلَتِ النِّساءُ على الرِّجالِ
وإنْ بُليتُ بِوُدٍّ مِثْلِ وُدِّكُمُ	فإنَّني بفَراقٍ مِثْلِه قَمِنُ[1]

الفَصْل الرابع   تأْخير المسند وتقديمه

أَمّا تأْخير المسنَد فلأَنّ ذِكْر المُسنَد إليه أهمّ كما سَبَق بَيانُه في باب أحكام المُسنَد إليه.

وأَمّا تَقديمُه فيَكون:

(١) لتَخصيصِه بالمُسنَد إليه نحو «الله مَلِكُ السَّموات والأرض» (أيْ لا لغيرِه).

(٢) للتَّنبيه من أوّل الأمْر على أنّه خَبَرٌ عنه لا صِفة له نحو «فيه رجال يُحِبّون أن يَتَطهَّروا» فلو قيل «رجال فيه يُحِبّون أن يَتطهَّروا» لَتُوُهِّم أنّ الظَّرْف صِفة لرِجال ويُحِبّون وما بَعدها خَبَرٌ على مَعنى أنّ الرِّجال الذين فيه يُحِبّون أن يَتطهَّروا (ولا سِيّما أنّ الحاجة داعية إلى وَصْف المُسنَد إليه لوُقوعِه نَكِرة). ولكِنّ المُراد الإخبار عن الرِّجال بالحُصول في المكان لا بالمَحبّة للتَّطهُّر فقُدِّم المُسنَد لإدراك هذه الغاية دون حاجة إلى التأَمُّل في العِبارة أو النَّظَر في القَرينة.

(٣) للتَّشويق إلى ذِكْر المُسنَد إليه نحو «إنّ في خَلْق السَّموات والأرض واختلاف اللَّيلِ والنّهارِ لآياتٍ لأُولي الألباب». فإنّ ذِكْر خَلْق السَّموات والأرض واختِلاف اللَّيْل والنَّهار (أي تَعاقُبهما واحِدًا بعد واحِد) يُشوِّق سامِعه إلى مَعرِفة ما يُبنى هذا المَذكور عليه.

(٤) لِلتفاؤُل كقولك للمَريض «في عافيةٍ أنتَ إن شاءَ الله».

---

(١) جدير

(٥) إذا كان المُسند اسْم استِفهام نحو «كيف أنتَ»؟

(٦) إذا كان المسنَد أهَمّ من المُسنَد إليه عند المُتكلّم نحو «في دارنا الأمير».

(٧) عند إرادة التَّعجُّب أو التعظيم نحو «الله دَرُّك». «عظيمٌ أنتَ يا الله».

واعلم أنّ كثيرًا من أحكام المُسنَد والمُسنَد إليه كالذِّكْر والحَذْف والتَّقديم والتَّأخير والتَّعريف والتَّنكير وغير ذلك لا يَختَصّ بهما بل يَجري على غيرهما كالتنكير للنَّوعِيّة نحو «جَعَلتُ لكُلّ ضَيْفٍ طَعامًا» أي نَوْعًا من الطَّعام. والتَّقديم للتَّخصيص نحو «زَيدًا ضَرَبتُ» (أي لا غيره). وهكذا بَقيَّة الأحكام التي تَحتمِل الوُقوع في غيرها. أمّا ما لا يجري على غير المُسنَد والمُسنَد إليه فمنه إقحام ضمير الفَصْل بينهما وكَوْن المُسنَد فِعْلًا ونحو ذلك.

تمرين

في الأمثِلة الآتية بَيِّن أسباب تَقديم المُسنَد أو تأخيره:

غَيْرُ مُجدٍ في مِلَّتي واعتِقادي ... نَوْحُ باكٍ ولا تَرنُّمُ شادِ

إن تَرَيني أدَمْتُ بَعْدَ بَياضٍ ... فحَميدٌ من القَناةِ الذُّبولُ

ومِنَ البَلِيَّة عَذْلُ من لا يَرعَوي ... عن غِيِّه وخِطاب من لا يَفْهَمُ

وأَشْجَعُ مِنّي كُلَّ يَوْمٍ سَلامتي ... وما ثَبَتتْ إلّا وفي نَفْسِها أَمْرُ

لِكُلِّ جَديدٍ لَذَّةٌ غَيْر أنّني ... وَجَدْتُ جَديدَ المَوْتِ غَيْرَ لَذيذِ

أيْنَ مَنْ سادوا وشادوا وبَنَوا ... فَنِيَ الكُلُّ ولم تُغنِ القُلَلْ

مساكينُ أهلُ العِشْقِ حتّى قبُورهم ... عليها تُرابُ الذُّلّ دونَ الخَلائقِ

الباب الرابع

مُتعلِّقات الفِعْل

الفَصْل الأوَّل أحكام الفِعْل والمَفعول

يُذكَر المَفعول به مع الفِعْل لإفادة وُقوعِه عليه كما يُذكَر الفاعل معه لإفادة وُقوعِه منه. فإذا لم يُذكَر المَفعول به مع الفِعْل فلا بُدّ من أن يَكون الغَرَض إثبات الفِعْل لفاعلِه (أو نَفيه عنه) إمّا من غير اعتبار تَعلُّقه بالمَفعول وإمّا باعتِبار تَعلُّقِهِ به.

(١) فإذا كان المُراد إثبات الفِعْل للفاعل أو نَفيه عنه مع قَطْع النَّظَر عن تَعلُّقِه به كان ذلك بمَثابة تَنزيل الفِعْل المُتعدّي مَنزِلة اللّازم لأنّ المُراد حينئذٍ استِقرار الحَدَث في نَفْس الفاعل غير مَنظور إلى تَجاوُزِه إلى المَفعول ولذلك لا يُقدَّر المَفعول المَتروك معه إذ لا مَوضِع له. (لأنّ المُقدَّر كأنّه قد ذُكِر لإتمام الفائدة ثُمّ حُذِف لغَرَض فيُقام تَقديرُه في النيّة مَقام ذِكْرِه في اللَّفْظ). مِثال ذلك «واللهُ يَعلَم وأنتُم لا تَعلمون» أي تُوجَد له حقيقة العِلْم ولا تُوجَد لكم فأثْبَتَ العِلْم لله ونَفاه عن المُخاطَبين دون أن يَذكُر ما هو مَفعول العِلْم.

(٢) وإن كان المُراد إثبات الفِعْل لفاعلِه أو نَفيه عنه مع اعتِبار تَعلُّقِه بالمَفعول المَحذوف فلا بُدّ مِنَ التقدير بحَسَب القَرائن الدالَّة على المَحذوف لأنّ المَفعول حينئذٍ مَقصود في المَعنى فلا بُدَّ من وُجودِه في النيّة إذا لم يَكُن في اللَّفظ.

ويَكون الحَذْف إذ ذاك:

١- **تَوطِئة للإيضاح بعد الإبهام** أي تَمهيدًا لإتيان المُتكلِّم بما يُوضِح كلامه بعد إبهامِه لأنّ ذلك أوقع في النَّفْس باعتِبار لَذّة الحُصول بعد الطَّلَب. ويَكون ذلك بعد فِعْل المَشيئة ونحوهما إذا وَقَع شَرْطًا. ويُراد بفِعْل المَشيئة المُشتَقّ منها وبنحوها ما يُرادِفها في المَعنى كالإرادة والرَّغْبَة. ويَكون فِعْل المَشيئة أو ما يُرادِفه شَرْطًا لأنّ الجواب يَدُلّ عليه فيَكون المَحذوف عن دليل كما هو قانون

الحَذْف. نحو «فمَنْ شاءَ فليُؤْمِنْ» أي فمَنْ شاءَ الإيمان. «ومَنْ أراد فليَتَقَدَّم» أي أراد أن يَتَقَدَّم وقِس عليه.

٢- **اعتِمادًا على تَقدُّم ذِكْرِه** نحو «ويَمحو اللهُ ما يَشاءُ ويُثْبِتُ» أي يُثْبِت ما يَشاءُ.

٣- **طَلَبًا للاختِصار** نحو «يَغْفِرُ لمَن يشاءُ» أي يَغْفِرُ الذُّنوب.

٤- **للتّعميم مع الاختِصار** نحو «أُمِرْتُ أن أعبُدَ الله ولا أُشْرِكَ به» أي ولا أُشْرِك به أحَدًا. فإنّه هنا لو ذُكِر المَفعول لأفاد التّعميم ولكنْ فات الاختِصار.

٥- **مُحافَظةً على فاصِلةٍ**[1] نحو «فذَكِّرْ إنْ نَفَعَتِ الذِّكرى». سيَتَذَكَّر من يَخشى. فلو قال «سيَتَذكَّر من يَخشى الله» لاختَلَفَتِ الفَواصل.

٦- **مُحافَظة على قافيةٍ** كقول أبي الطيِّب المُتنبّي

أَفي كُلّ يومٍ تحت ضَبْني شُويعِرٌ ضَعيفٌ يُقاويني قَصيرٌ يُطاوِلُ

أي يُطاوِلُني

٧- **لضِيق المَقام** كقولِه:

بَناها فأَعلى والقَنا يَقْرَع القَنا ومَوْجُ المَنايا حَوْلَها مُتلاطِمُ

أي فأعلاها فإنَّ المَقام لا يَحْتَمِل ذِكْر هذا المَحذوف رِعايةً للوَزْن.

٨- **لتَعيُّن المَفعول** - نحو «رَعَت الماشية» أي رَعَتْ عُشبًا (ويُمكِن اعتِبار الفِعْل المُتعدّي هُنا مُنزَّلًا مَنزِلة اللّازم. انظر (١) في هذا الفَصْل).

٩- وهُنالك اعتِبارات أُخرى لحَذْف المَفعول كاستِهجان ذكرِه وقَصْد إخفائِه أو التَّمكُّن من إنكارِه إذا دَعَتِ الحاجة وغير ذلك مِمّا لا حاجةَ إلى تَفْصيلِه.

تمرين

بَيِّن الأغراض من حَذْف المَفعول به في الأمثِلة الآتية:

ومُرْهَفٍ سِرْتُ بين الجَحْفَلَيْن به حتّى ضَرَبْتُ وموجُ المَوْتِ يَلْتَطِمُ

يا سَيِّدُ إن أرَدْتَ تَقْدِرْ أن تُطَهِّرَني

رأَيْتُكَ مَحْضَ الحِلْم في مَحْضِ قُدْرَةٍ ولو شِئْتَ كان الحِلْمُ منكَ المُهَنَّدا

قد طَلَبْنا فَلَمْ نَجِدْ لك في السُّؤْ دَدِ والمَجْدِ والمَكارمِ مِثْلا

فَلَو شاءَ رَبّي كُنْتُ قَيْسَ بنَ خالدٍ ولو شاءَ رَبّي كُنْتُ عمرو بنَ مَرْثَدِ

فإذا شَرِبْتُ فإنّني مُستهلِكٌ مالي وعِرْضي وافِرٌ لم يُكلَمِ

(١) الفاصِلة في النَّثر كالقافية في الشِّعْر

الفَصْل الثاني تَرتيب الفِعْل ومَعمولاتِه

مَعمولاتُ الفِعْل يُراد بها الفاعل والمَفعول به والمَفعول المُطلَق والمَفعول له والظَّرْف والجارّ والمَجرور. والأصل في تَرتيب الفِعْل مع مَعمولاتِه أن يَتقدَّم هو عليها لأنّ العامل يُقدَّم على المَعمول. والمَعمولات إمّا عُمْدَة كالفاعل أو فَضْلَة كالمفَاعيل والأصل في تَرتيبها أنْ تُقدَّم عُمْدَتها على فَضْلَتها. وهاك أحكام ذلك ببعض التفصيل:

(١) **بين الفِعْل والفاعل.** يُحفَظ الأصل في الترتيب أي يُقدَّم الفِعْل على الفاعل في كُلّ حال لأنّه لو قُدِّم الفاعل على الفِعْل خَرَج عن الفاعِليّة وأصبح مبتدأً فلا يَكون حينئذٍ مَعمولًا للفِعْل.

(٢) **بين الفِعْل والمفعول به** ونحوه من الفَضَلات الأُخرى يَختلِف الترتيب:

١- عند إرادة التخصيص نحو «ماءً شَرِبتُ».

٢- لِردّ المُخاطَب إلى الصواب عند خطإه في تَعيين المَفعول كقولك «زيدًا ضَرَبتُ» لِمَن اعتَقد أنّكَ ضَرَبتَ غيره. ولهذا لا يُقال «ما زيدًا ضَرَبتُ ولا غيره» لأنّ تَقديم المَفعول يُقصَد به ردّ الخطإ في تَعيينِه مع الإصابة في اعتِقاد وُقوع الفِعْل على مَفعول ما. فقولك «ما زيدًا ضَرَبتُ» يُفهَم منه أنّ الضَّرْب وَقَع على غير زيد. فإذا قُلتَ «ما زيدًا ضَرَبتُ ولا غيره» انتفى ما ثَبَتَ لغيره من المَضروبيّة فوَقَع التّناقُض بين طَرَفَي الكلام. أمّا في نحو «زيدًا ضَرَبتُه» فَيجوز تَقدير فِعْل مَحذوف قبل «زيدًا» ويَكون ذلك للتأكيد المُستفاد من التَّكرار ويَجوز تَقدير الفِعْل المَحذوف بعد «زيدًا» فيَكون ذلك للتّخصيص المُستفاد من التقديم.

(٣) **بين مَعمولات الفِعْل.** الأصل فيها أن يَتقدَّم عُمْدَتها على فَضْلَتها أي الفاعل على المَفاعيل ولكنّ هذا الترتيب يَختلِف لأحَد الأغراض الآتية:

١- **لأمرٍ مَعْنويّ** نحو «وجاءَ من أقصى المَدينة رَجُلٌ يَسعى» فلو قيل «وجاءَ رَجُلٌ من أقصى المَدينة يَسعى» لَتُوُهِّم أنّ المَجرور مُتعلِّق في المَعنى برَجُلٍ أي جاءَ رَجُلٌ هو من أقصى المَدينة. والحال أنّ المُراد تَعلُّقه بفِعْل المَجيءِ أي «جاءَ من أقصى المَدينة».

٢- **لأمرٍ لَفْظيّ** نحو «ولقد جاءَهم من رَبِّهِمُ الهُدى» فلو قيل «ولقد جاءَهم الهُدى من رَبِّهم» لاختَلَفتْ فَواصِل الآيات لأنّ قَبْل هذه الآية«أفرَأيتُمُ اللّاتَ والعُزّى ومَناةَ الثالثة الأُخرى.

أَلَكُمُ الذَّكَر وله الأُنثى. تلك إذًا قِسْمة ضِيزى» إلى أن يُقال «ولقد جاءَهم من رَبِّهِمُ الهُدى».

٣- **للأهمِّيَّة** نحو «قَتَل الخارجيّ فلان» لأنّ ذِكْر المَفعول أهَمّ فإنّ الإعلام بقَتْل الخارجيّ أهمّ عند أهل البَلَد من تَعريفهم بالقاتل.

(٤) **التّرتيب بين الفَضَلات.** قد يَتَقدَّم بعض الفَضَلات على بَعْض:

١- لأنّ للمُتقدِّم أصالة في التّقدُّم لفظًا نحو «حَسِبتُ زيدًا كريمًا». فإنّ زيدًا وإن كان مَفعولًا في الحال لكنّه في الأصل مُبتَدأ وله حَقُّ التقدُّم على خَبَرِه.

٢- لأنّ للمُتقدِّم أصالة في التّقدُّم مَعنًى نحو «أعطى زيدٌ عَمْرًا دِرهمًا». فإنّ عَمْرًا وإن كان مَفعولًا بالنِّسبة إلى زيد لكنّه لا يَخلو من مَعنى الفاعِليّة بالنِّسبة إلى الدِّرهم لأنّه آخِذ والدِّرهم مَأْخوذ.

٣- لأنّ التأْخير يَخُلّ ببَيان المَعنى نحو «مَررتُ راكبًا بزيدٍ» فلو قُلتُ «مررتُ بزيدٍ راكِبًا» لتُوُهِّم أنّ الحال عن زيد والمُراد أنّها عن ضمير المُتكلِّم.

واعلَمْ أنّ التَّقديم مُطلَقًا قد يَكون للاهتِمام أو التَّبرُّك أو الاستِلذاذ أو ضَرورة الشِّعْر أو رِعاية الفاصلة ونحو ذلك. ولم يُتعرَّض لِكُلٍّ ذلك هُنا لأنّه قد سَبَق الكلام عليه في أحكام المُسنَد إليه والمُسنَد والتّنبيه أخيرًا على شُيوعِه في غيرهما فاستُغْني عن التّكرار.

تمرين

بَيِّن في الأمثِلة التالية أغراض التقديم أو التأْخير بين الفِعْل ومَعمولاتِه أو بين المَعمولات

أَبَدًا أَقْطَعُ البِلادَ ونَجمي	في نُحوسٍ وهِمَّتي في سعودِ
وإذا حَصَلْتَ مِنَ السِّلاحِ على البُكا	فحشاكَ رُعْتَ به وخدَّكَ تُقْرَعُ
يَرْمي بها البَلَدَ البَعيدَ مُظَفَّرٌ	كُلُّ البَعيدِ له قَريبٌ دانِ
متى تَتَقَضّى حاجَةُ المُتكلِّفِ	ولاسيّما من مُترَفِ النَّفسِ مُسْرِفِ
يَهُمُّ الليالي بَعْضُ ما أنا مُضمِرٌ	ويُثقِل رَضوى دونَ ما أنا حامِلُ
يَهوى لذِكْرِ اسْمِه مَنْ لجَّ في عَذَلي	سَمْعي وإن كان عَذْلي فيه لم يَلِجِ

الباب الخامس

القصر

الفصل الأوّل حقيقة القصر وأحكامه

القَصْر (أو الحَصْر) تَخصيص شيءٍ بآخَر نحو «ما زيدٌ إلّا شاعرٌ». فهُنا قد خَصَّصنا زيدًا بالشاعريّة أو قَصَرناه عليها. فزَيد مَقصور وشاعر مَقصور عليه. والقَصْر إمّا أن يَكون تَخصيص المَوصوف بصِفة[1] ما كما في المِثال السابق وإمّا أن يَكون تَخصيص الصِّفة بمَوصوفٍ نحو «ما شاعرٌ إلّا زيدٌ». وكُلٌّ مِن قَصْر المَوصوف على الصِّفة وقَصْر الصِّفة على المَوصوف إمّا أن يَكون حقيقيًّا أو إضافيًّا.

(١) **فالحقيقيّ** هو ما لا يَتجاوز فيهِ المَقصور إلى غير ما قُصِر عليه مُطلَقًا.

١- فالواقع منه في المَوصوف هو تَخصيصُه بالصِّفة مُطلَقًا نحو «ما زيدٌ إلّا شاعرٌ» إذا أُريد أنّه لا يَتّصف بغير الشِّعْر من الصِّفات. وهذا لا يَكاد يُوجَد لتَعذُّر الحَصْر فيه إذ يُمتنَع إثبات صِفة واحدة للمَوصوف ونَفي كُلّ ما عداها عنه.

٢- والواقع منه في الصِّفة هو تَخصيصها بالمَوصوف كذلك نحو «لا إله[2] إلّا الله». وهذا كثير لإمكان الحَصْر فيه بخلاف الأوّل وقد يُراد بقَصْر الصِّفة على المَوصوف المُبالغة لعَدَم الاعتِداد بغير المَوصوف نحو:

«لا سَيفَ إلّا ذو الفقا ... ر ولا فتى إلّا عليّ»

يُريد بعَليّ الإمام عَليّ بن أبي طالب وذو الفِقار لَقَب سَيفِه. أي لا سَيفَ ولا فَتى يُعْتَدّ بهما إلّا هذا السَّيف وصاحبه على سَبيل المُبالغة في مَدحهما حتّى كأنَّ غيرهما في حَيِّز العَدَم. وبهذا الاعتِبار أجَرى هذه الدّعوى مَجرى الحقيقة وإن

---

(١) المُراد بالمَوصوف ما دَلّ على ذات أو ما جاز أن يوصَف بشيء. والمُراد بالصِّفة ما جاز أن يُوصَف به غيره وهو إمّا أن يَكون صِفة مُشتَقّة من الفعل أو اسْمًا مَنسوبًا أو غير ذلك.

(٢) إنّ إله اسْم مَوصوف ولكنّه يَقوم هُنا مَقام الصِّفة لأنّه مُستعمَل بمَعنى حائز على صِفات الألوهيّة.

لم تَكُنِ حقيقةً في نَفْس الأمر.

(٢) **الإضافيّ** يَكون قَصْرًا بالإضافة أو النِّسبة إلى شيءٍ آخَر فلا يَتجاوز المَقصورَ عليه إلى ذلك الشيء فقط وإن كان يُمكن أن يَتجاوزه إلى غيره.

١- القَصر الإضافيّ الواقع في المَوصوف هو تخصيصُه بصِفة دون صِفة أُخرى نحو «ما زيدٌ إلّا كاتبٌ» خِطابًا لمَن يَعتقدُ اتِّصافه بالشِّعْر أيضًا. أو بصِفة مكان صِفة أُخرى نحو «ما زيدٌ إلّا قائِمٌ» خِطابًا لمَن يَعتقد اتِّصافه بالقُعود دون القيام أو يردِّدهُ بينهما. ولكن هذا القَصْر لا يَنفي اتِّصافهُ من الصِّفات الأُخرى.

٢- القَصر الإضافيّ الواقع في الصِّفة هو تَخصيصها بموصوف دون آخَر أو مكانه أيضًا نحو «ما كاتبٌ إلّا زيدٌ» خِطابًا لمَن يَعتقِد اشتِراك عَمرو معه في الكِتابة. ونحو «ما شاعرٌ إلّا عَمرو» خِطابًا لمَن يَعتقِد أنّ الشاعر زيدٌ لا عَمرو أو يُردِّد الشاعريّة بينهما.

قَصْر الإفراد والقَلْب والتَّعيين

١- يُسمّى القَصر على شيءٍ دون آخَر قَصْر إفراد لقَطْعه الاشتِراك الذي اعتَقده المُخاطَب. نحو «ما زيدٌ إلّاشاعرٌ» خِطابًا لمَن اعتَقد أنّه شاعرٌ وكاتبٌ أيضًا. وشرطُه أن لا يتَنافى الوَصفان فيَجوز اجتماعها في الموصوف كالشِّعْر والكِتابة.

٢- ويُسمّى القَصر على شيءٍ مكان آخَر قَصْر قَلْب إذا كان المُخاطَب يَعتقِد العَكس لأنّه يَقلِب حُكمه. نحو «ما زيدٌ إلّا قائمٌ» خِطابًا لمَن يَعتقِد أنّه قاعد. وشَرطُه تَنافي الوَصفَيْن فلا يَجتمِعان كالقِيام والقُعود.

٣- ويُسمّى القَصْر قَصر تَعيين إذا كان المُخاطَب يَتردَّد بين الوصفَيْن غير مُعتقِد أحدهما. لأنّه يُعيِّن ما لم يَكُن مُعيَّنا عنده. ولا شرط في قَصْر التَّعيين لأنّ المُخاطَب لا يَعتقِد شيئًا بعَينِه فلا يَقتضي ذلك إمكان اجتِماعهما ولا امتناعَه. ولذلك كان كُلّ ما يَصلُح لقَصْر الإفراد والقَلْب يَصلُح لقَصْر التَّعيين ولا يُعكَس.

أمثِلة

في الأمثِلة الآتية بَيِّن أنواع القَصْر بالتَّفصيل. (أي قَصْر المَوصوف وقَصْر الصِّفة. والحقيقيّ والإضافيّ. وقصر الإفراد والعَكْس والتَّعيين)

ما عارفٌ بالفَضيلة حَقّ المَعرفة إلّا مَنْ يُمارِسُها

وما هي إلّا نَظرةٌ بعد نَظرةٍ إذا نَزَلَتْ في قلبِه رَحَل العَقْلُ

وما سُعادُ غَداةَ البَيْنِ إذ رَحَلوا إلّا أَغَنُّ غَضيضُ الطَّرْفِ مَكحولُ
ما مُقامي بأرضِ نَخْلَةَ إلّا كمُقامِ المَسيحِ بينَ اليهودِ

– أَصْلِحْ ما في الجُمَل الآتية من الأغلاط في استِعمال القَصْر:

لَيس عَمروٌ بشاعرٍ فما زيدٌ إلّا شاعرٌ.

ليست المَواهبُ الطَّبيعيّة سَبَبًا للنّجاح. فما الجِدُّ والإقدام إلّا سَبب للنَّجاح.

زَعَم زيدٌ أنّ عَمرًا عالِم وكريم وشُجاع فأفهمْتُه أن لا عالِمَ إلّا عَمروٌ.

الفَصْل الثاني طُرق القَصْر وأدواته

(١) يَكون القَصْر بالنّفي والاستِثناء ليَتَحَصَّل منهما إثبات أمر ونَفي ما عداه. وأداتُه إذ ذاك حَرْف النّفي (ما أو لا أو نحوهما) مَصحوبة بأداة الاستِثناء (إلّا أو غير أو سوى الخ). وقد مَرّتِ الأمثلة على ذلك في الفَصْل السّابق.

(٢) يَكون القَصْر بالعَطْف أيضًا وأدواتُه (لا و بل). فإنّ «لا» تُستعمَل بعد الإثبات و«بل» بعد النفي. فتَقول في قَصْر المَوصوف على الصِّفة قَصْرَ إفراد «زيدٌ كاتبٌ لا شاعرٌ» خِطابًا لمَن يَعتقِد أنّه كاتبٌ وشاعرٌ معًا. وقَصرَ قلب وقصرَ تعيينٍ «ما زيدٌ فارسًا بل راجلٌ». خطابًا لمَن يَعتقِد أنّه فارسٌ لا راجلٌ أو لا يَعلَم أفارسٌ هو أَم راجلٌ. وكذلك تقول في قَصْرها عليه قَصْر إفراد لمَن يَعتقِد أنّ زيدًا وعَمْرًا شاعران «زيدٌ شاعرٌ لا عمروٌ». وقَصْر قَلْب وقَصْر تَعيين لمَن يَعتقِد أنّ عَمْرًا شاعرٌ وزيدٌ مُفْحَمٌ أي ليس شاعرًا. أو لا يَعلَم أيّهما الشاعر «ما عَمروٌ شاعرًا بل زيدٌ».

(٣) من أدوات القَصْر إنّما نحو «إنّما زيدٌ شاعرٌ» و«إنّما شاعرٌ زيدٌ». قال صاحِب المِفتاح[1] إنّها تُفيد القَصْر لتَضمُّنها مَعنى ما وإلّا. ودليل ذلك أنّه يَصُحّ معها انفِصال الضمير عن عامله الذي كان حَقّه أن يَتّصِل به فإذا قُلتَ «إنّما يَقوم أنا» كان كما تَقول «ما يَقوم إلّا أنا» ولولا ذلك لوَجَب أن تَقول «إنّما أقوم». ومِن هذا القَبيل بيت الفرزدق الذي يَقول فيه:

أنا الذّائدُ الحامي الذِّمار وإنّما يُدافِع عن أحسابهم أنا أو مِثْلي

أي ما يُدافِع عن أحسابهم إلّا أنا أو مِثْلي.

---

(١) مِفتاح العلوم للسكاكي في البلاغة.

(٤) من طُرُق القَصْر التَّقديم في ما حَقُّه التأْخير كتَقديم الخَبَر على المُبتَدإ نحو «لله الأمر». وتَقديم مَعمول الفِعْل عليه نحو «إيّاكَ نَعبُدُ» ويَشمُل «مَعمول الفِعْل» المَفعول به صَريحًا كمَا في المِثال الأخير أو غير صَريح نحو «بزيدٍ مَررتُ». والمَفعول له نحو «لإجلالكِ قُمتُ» والظَّرْف نحو «يَومَ الجُمَعة سِرتُ» والحال نحو «ماشيًا حَجَجْتُ» وأشباه ذلك.

(٥) [وزاد بعضهم إقحام ضمير الفَصْل بين المُبتدإ والخَبَر وتعريف المُبتدإ والخَبَر معًا].

أين يَقع القَصْر

(١) يَقع القَصْر بين المُبتدإ والخَبَر كما في الأمثِلة السابقة.

(٢) بين الفِعْل والفاعل نحو «ما قام إلّا زيدٌ».

(٣) بين الفاعل والمَفعول نحو «ما فَعلتُ إلّا خَيْرًا» و«ما زار عَمْرًا إلّا زيدٌ».

(٤) بين المَفعولين نحو «ما أعطيتُه إلّا دِرْهَمًا».

واعْلَم أنّ المَقصور عليه بإلّا يؤَخَّر معها تاليًا لها كما رأَيت. وجاز تَقديمها معًا كما هما أي إلّا والمَقصور عليه بها وهما على حالهما أي مُجتمِعان وهو تالٍ لها. فتقول «ما ضرَبَ إلّا عَمْرًا زيدٌ» في قَصْر المَضروبيّة على عَمْرٍو. و«ما ضرَبَ إلّا زيدٌ عَمْرًا» في قَصْر الضارِبيّة على زيد. أَمّا إنمّا فإنّها تُقدَّم مع المَقصور تاليًا لها ويؤَخَّر المَقصور عليه فقط تأْخيرًا لازمًا ولا يَجوز تَقديمُه. فيُقال «إنمّا ضَرَب زيدٌ عَمْرًا» في قَصْر المَضروبيّة على عَمرٍو. «وإنمّا ضَرَبَ عَمْرًا زيدٌ» في قَصْر الضارِبيّة على زيد. وقِس على ذلك بَقيَّة المَواقع.

الباب السادس

الإنشاء

الفصل الأوّل تقسيم الإنشاء

قد عَلِمْتَ حقيقة الإنشاء ممّا مَرّ وهو الكلام الذي لا يَحتمِل الصِّدق والكَذِب (أو هو الكلام الذي ليس لِنسبتِه خارج تَطابقه أو لا تَطابقه). وهو:

(١) إمّا أن يَدُلّ على الطَّلَب باللَّفظ المَوضوع للطَّلَب كصِيغة الأمر نحو «إفْعَل» فإنَّهُ صيغة طَلَب بمَعنى الطَّلَب.

(٢) وإمّا أن يَدُلّ على مَعنى الطَّلَب بغير لَفْظِه كالدُّعاء نحو «أَيَّدَكَ الله» فإنّه صيغة خَبَر بمَعنى الطَّلَب (أي إنّ الفِعْل حَسَب صِيغتِه فِعْل ماضٍ ولكنّ معناه الدُّعاءُ بالتأْييد لا الإخبار عن حُصول التأْييد في الماضي).

(٣) وإمّا أن يَدُلّ على مَعنى الطَّلَب كصِيَغ العُقود. فإنّها صِيَغ خَبَر يُراد بها الإنشاء ولكنْ لا مَعنى فيها للطَّلَب. وهي ألفاظ مُستعمَلة للبيع والشِّراء والهِبة ونحو ذلك من عُقود المُعاملات نحو «بِعتُك هذا الثَّوب ووهبتُك هذه الدار». فهذه ألفاظ يُراد بها إنشاء البَيع والهِبة ونحوهما لا الإخبار بحُدوثهما. ولذلك يَنصرف الماضي منها إلى زمان الحال. (فقولك «بِعتُك هذا الثوب» يَعني أنّك أتممتَ صَفقة البيع بهذه اللّفظة). واعلَمْ أنّ من قَبيل هذا الضَّرْب كُلّ ما دَلّ على إنشاء مَعنًى في الكَلام كأفعال المُقاربة والمَدح والذَّم وحُروف القَسَم ورُبّ وكم الخبريّة وما جرى هذا المَجرى.

الفَصل الثاني أنواع الطَّلَب وأدواتُه

أنواع الطَّلَب هي: التَّمنّي والأمر والنَّهي والاستِفهام والنِّداء.

(١) التَّمنّي وأداتُه «ليت» وهو يُستعمَل:

١- في ما لا يُمكِن نحو «ليت الشَّباب يَعود».

٢- في البَعيد الوُقوع من المُمكِنات نحو «يا ليت لنا مِثْلَ ما أُوتيَ قارون».
٣- في التَّندُّم نحو «ليتني اتَّخذتُ مع الرَّسول سَبيلًا».
وقد تُستعمَل للتمنّي «هل» نحو «هل إلى مَرَدٍّ من سَبيل» فإنّ المُراد بهلْ هُنا تمنّي السبيل إلى المردّ لا الاستِفهام عنه.
و«لو» نحو «لوْ أنّ لي كُرَّةً فأكونَ من المُحسنين». و«لَعَلّ» نحو «لَعلّي أَحُجُّ فأزورَكَ». بالنَّصْب في جواب «لو ولعلّ» كما في جواب «ليتَ». ونَصْب المُضارِع في جَوابهما دليلٌ على استِعمالهما للتمنّي لأنّ «لو» إذا كانت على أصلها لا يُنصَب المُضارِع بعدها بإضمار أنْ لأنّها للاستِقبال ولو للمضيّ. و«لعلّ» موضوعةٌ لتَرقُّب أمرٍ غير مَوثوقٍ بحُصوله فليست للطَّلَب في الأصل. (ولذلك قَوْل النُّحاة إنّها زيادةٌ ألحَقَها القرّاءُ).

(٢) الأمْر وهو:
١- أمْر بالصِّيغة نحو «ربِّي اِغْفِر لي». وليس له أداة لفظيّة.
٢- أمْر باسم الفِعْل نحو «هَلُمّ شُهداءَكم».
٣- أمر باللّام أي بإدخال اللّام على المُضارِع مجزومًا نحو «لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ من سَعَتِه».
يُستَعملِ الأمر:
١- لطَلَب الفِعْل استِعلاءً مع الأدنى ودُعاءً مع الأعلى والتِماسًا مع النَّظير.
٢- للتَّهديد نحو «اِعمَلوا ما شِئْتُم إنّه بِما تَعمَلون بَصير».
٣- للتّعجيز نحو «أَسقِطْ علينا كِسْفًا من السَّماء».
٤- للتمنّي نحو «أَصْبِحْ ليلُ» (أي أَصْبِحْ يا ليلُ. فإنّ اللَّيلَ لا يُطلَبُ منه أن يُصبِحَ لأنّ ذلك ليس في طاقتِه ولكن يُتَمَنّى الإصباح منه).
٥- للإهانة نحو «كُونوا حِجارةً أو حديدًا».
٦- للتَّسوِيَة نحو «اِصْبِروا أَو لا تَصْبِروا».
٧- للإباحة نحو «قُوموا أوِ اُقْعُدوا».

(٣) النَّهي وأداتُه لا (مع المُضارِع) وهو يُستَعمل:
١- لطَلَب تَرْك الفِعْل نحو «لا تَقُمْ» فإنّ المَعنى اُتْرُكِ القِيام. ويَكون استِعلاءً ودُعاءً والتِماسًا كما في الأمر.
٢- يُستعمَل أيضًا لغير طَلَب تَرْك الفِعل كالتهديد نحو «لا تُطيعوا الله وانظُروا العاقبة».

(٤) الاستِفهام[١]، أدواتُه:

١- **الهَمْزة** وهي تكون

(أ) لطَلَب التَّصديق وهو إدراك النِّسْبة بين الأمرَيْن **إثباتًا** نحو «أراغِب أنتَ عن آلهتي يا إبرهيم» أو **نفيًا** نحو «ألستُ بِرَبِّكُم». والمُراد بالنِّسبة هُنا النِّسبة الإسنادّية بين شيئَيْن مَحكومًا بإثباتها أو نَفيها كما في المِثالَيْن السابقَيْن (وضابطها أن يَصُحّ الجواب عنها بنَعَم أو لا).

(ب) لِطَلَب التَّصوُّر وهو إدراك التَّعيين أي تَعيين صُورة ما وراءَ النِّسبة كقولك في طَلَب تَصوُّر المُسنَد إليه«أزيدٌ في الدار أم عَمْروٌ؟» إذا كُنتَ عالِمًا أنّ أحدَهما في الدار فأردتَ تعيينه. وفي طَلَب تَصوُّر المُسنَد «أعندك زيدٌ أم في الدار؟» إذا كُنتَ عالِمًا أنّه في أحَد المَكانَيْن فأردتَ تَعيين مكانِه. فيَكون التَّصوُّر فَرْعًا من التَّصديق. (وإذا كانتِ الهمزة لطَلَب التصوُّر فلا يَصُحّ أن يَكون جَوابها نَعم أو لا. بل يَجِب أن يَكون جُملة يُعيَّن بها المُستفهَم عنه).

وحُكْمها إذا كانت لطَلَب التَّصوُّر أن يَليَها المَسؤُول عنه بها فيُقال في الاستِفهام بها عن الفِعْل «أضَرَبْتَ زيدًا؟» وعن الفاعل «أأنت ضَرَبْتَ زَيدًا؟» وعن المَفعول «أزيدًا ضَرَبتَ؟» وهَلُمّ جَرًّا. ولذلك لا يُقال في الاستِفهام عن المُسنَد إليه «أفي الدار زيدٌ أم عَمْروٌ؟» ولا في الاستِفهام عن المُسنَد «أزيدٌ عندك أم في الدار؟» ولكن يُقال في الأوَّل «أزيدٌ في الدّار أم عَمْروٌ؟». وفي الثاني «أعندك زيدٌ أم في الدار؟».

٢- **هل**. وهي لطَلَب التصديق فقط نحو «هل قام زيدٌ؟». فلا يَصُحّ أن يُقال «هل قام زيدٌ أم قَعَد؟» لأنّ ذلك مُقتضى التصوُّر وهي للتصديق فيتدافعان. وإذا دَخَلتْ على المُضارع خصَّصَتْه بالاستقبال فيُقال «هل يَقوم زيدٌ؟». أي هل يَحصُل القِيام منه في المُستقبَل لا هل هو قائِم الآن. ولكن لا يُقال «هل تَمْزَح وأنت في المَسجِد؟» لأنّ الزمان المَدلول عليه بالفِعْل هنا هو زمان الحال لا الاستقبال.

[واعلم أنّ الهمزة وهل حَرْفان. وأمّا بقيّة أدوات الاستِفهام فهي أسماءٌ ولها مَحلٌّ من الإعراب بحَسَب مَوقِعها في الجُملة وهي لطَلَب التصوُّر فقط. وهاك بَيانها:]

(١) في التَّعريفات للجُرجانيّ: الاستِفهام طَلَب حُصول صُورة الشيء في الذّهن. فإن كانت تلك الصُّورة وُقوع نِسْبة بين الشيئَيْن او لا وُقوعها فحُصولها هو التصديق وإلّا فهو التَّصوُّر.

٣- ما. ويُسأل بها:
(أ) عن مَعنى الاسْم نحو «ما العُرجُون؟» فيقال في جَوابها مَثَلًا «هو العُود المُلتوي كأنّه نِصف دائرة».
(ب) عن حقيقة المُسمّى نحو «ما تلك بيَمينك يا موسى؟». والجواب «هي عَصاي التي أتوَكّأُ عليها».
٤- مَنْ. ويُسأل بها عن العَوارض المُشخِّصة لذي العِلْم نحو «مَنْ فعَل هذا؟» ويُراد بالعوارِض المشخِّصة لذي العِلْم الأُمور التي تُعرَض للعاقِل فتُفيد مَعرفة شَخْصِه كَتسميتِه بزيد ونحو ذلك مِمّا يُفيد تَشخُّصُه. فإذا قيل «من فعَلَ هذا؟» يُقال «زيدٌ» أو «الرَّجُل الذي جاءَك بالأمس».
٥- أيّ. ويُسأل بها عَمّا يُميِّز أحد المُشتركَيْن في ما يَعمُّهما نحو «أيُّ الفريقين أَحَقُّ بالأَمْن».
٦- كَمْ. ويُسأل بها عن العدد. نحو «سَلْ بني إسرائيل كم آتيناهُم من آيةٍ؟».
٧- أيّانَ. ويُسأل بها عن الزمان المستقبل نحو «يسألون أيّانَ يَوم الدِّين؟».
٨- مَتَى. ويُسأل بها عن الزَّمان: ١- ماضيًا نحو «مَتى نَزَلت؟». و٢- مُستقبلًا نحو «متى ترْحَل؟».
٩- أينَ. ويُسأل بها عن المَكان نحو «أين الطريق؟».
١٠- كَيْفَ. ويُسأل بها عن الحال نحو «كيف أصبحتَ؟».
١١- أنّى. وتكون تارةً بمعنى كيف نحو «أنّى يَكون لهُ المُلْكُ علينا؟» وتارةً بمعنى من أين نحو «أنّى لك هذا؟».

كيف يُستعمَل الاستِفهام؟

١- الاستِفهام في الأصل لطَلَب الفَهْم. وقد يُستعمَل ٢- للتعجُّب نحو «وما لنا لا نؤمن بالله!». ٣- للاستِبعاد نحو «أنّى يَكون لي غُلامٌ ولم يَمسَسْني بَشَرٌ؟». ٤- للاستِبطاء نحو «متى هذا الوعدُ إن كُنتُم صادقين؟». ٥- للتَّنبيه على الخَطإِ نحو «أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خيرٌ؟». أو على الباطل نحو «أفأَنتَ تُسمِع الصُّمّ؟». أو على الضَّلال نحو «فأين تَذهبون؟». ٦- للتّعظيم نحو «وسيَعلَم الذين ظَلَموا أيَّ مُنْقَلَبٍ يَنقلبون؟». ٧- للاستِخفاف نحو «أهذا الذي بَعَثَ الله رسولًا؟» ٨- للتهكُّم نحو «أَصَلَوَاتُكَ تَأْمُرُك أن نَترُك ما يَعبُد آباؤُنا؟». ٩- للوعيد نحو «ألم تَرَ كيف فَعَلَ رَبُّكَ بعادٍ؟». ١٠- للتقرير ويكون غالبًا بالهمزة يليها ما يُراد الإقرار به كما يَليها المَسؤُول عنه في حقيقة الاستِفهام نحو

«أأنتَ فَعلتَ هذا؟». (وقد يَتأتّى بغير الهمزة نحو «لِمَن هذا وكم لي عليك؟» ولكنّ الهمزة أكثر استِعمالًا وأوسع تَصرُّفًا). ١١- للإنكار كذلك أي مع الهمزة. وهو إمّا في الاثبات فيَجعلُه نفيًا نحو «أفي الله شكٌّ؟». أي لا شكَّ فيه. وإمّا في النفي فيجعلُه إثباتًا نحو «ألم نَشْرَحْ لك صَدْرَكَ؟». أي قد شَرَحْنا. لأنّ إنكار الإثبات والنفي نفيٌ لهما ونَفي الإثبات نفيٌ ونفي النَّفي إثباتٌ. والإنكار قد يَكون للتّوبيخ نحو «ألم يَأْنِ للذين آمنوا أن تَخْشَع قُلوبهم لذِكْر الله؟». وقد يَكون للتّكذيب نحو «أيَحْسَبُ الإنسانُ أن يُترَكَ سُدًى؟».

(٥) النداءُ وأدواتُه **الهَمْزة** للقريب وأخواتُها للبعيد

قد يُنادَى القَريب بأحرُف النِّداءِ المَوضوعة للبَعيد تَنزيلًا له مَنزِلتُه بكونِه مُعرِضًا عمَّن يُناديه أو غافلًا أو بطيئًا في الإجابة كأنّه بَعيدٌ عنه.

وقد يُنادى البَعيد بالحَرْف المَوضوع للقَريب تَنزيلًا له مَنزِلتُه بكونِه مُقبلًا على مَنْ يُناديه أو مُصغيًا إليه أو سريعًا في الإجابة ونحو ذلك.

واعلَم أنّ منهم مَنْ يَجعل «يا» من حروف النِّداء مُشترَكةً بين القَريب والبعيد. ولَعلّه أقرب إلى الصواب لأنّها أمُّ الباب. والنِّداءُ يكون:

١- لطَلَب الإقبال وهو الأصل. وقد يُستَعمل

٢- لغيرِه كالتَّرحُّم نحو «يا مِسكين».

٣- للاستِغاثة نحو «يا الله».

٤- للتعجّب نحو «يا للدّاهية الدهياء».

٥- للتأسُّف نحو «يا لضَيعة الأدَب». ومن ذلك.

٦- الاختِصاص كقولهم «أنا أفعلُ كذا أيّها الرَّجُلُ» أي مُختَصًّا من بين الرِّجال

(العَرْض والتَّخصيص مُولَّدان على الأصَحّ من الاستِفهام بالهَمْزة في ألا مع لا النافية. وأمّا التمنّي بهل ولو في هلّا وألّا بقلب الهاءِ هَمْزةً ولولا ولوما مع لا وما الزائدتَيْن فلا يُعدَّان من أصول الإنشاء).

واعلَمْ أنّ الإنشاءَ كالخَبَر في كثيرٍ مِمّا ذُكِر من أحكامِه كالحَذْف والذِّكْر وغيرهما مِمّا يَقتضيه المقام عند من له بَصيرةٌ في هذا الفنّ. والخَبَر قد يقع مَوْقِع الإنشاءِ لغَرَضٍ كالتَّفاؤُل في نحو «رَحُبَت دارك» والتأدُّب في نحو «يَرْحَمك الله» لِمَا في الأوَّل من الدَّلالة على تَحقق الوُقوع وفي الثاني من تَنزيه المَسؤُول عن التَّكليف.

تمرين

بَيِّن (١) نَوْع الطَّلَب و(٢) أداتَه و(٣) المَعنى المُستعمَل له في كُلٍّ من الأمثِلة الآتية:

أَلا لَيتَ الشَّبابَ يَعودُ يومًا ... فأُخْبِرَهُ بِما فَعَلَ المَشيبُ

ليتَ التَّجارِبَ باعَتْني الذي أخَذَتْ ... مِنّي بعِلْمي الذي أَعْطَتْ وتجريبي

أَسأَلتَ رَبْعَ الدّار أم لم تَسْأَلِ ... بينَ الجَوابي فالبُضَيْعِ فَحَوْمَلِ[1]

لا تَنْهَ عن خُلُقٍ وَتأْتيَ مِثْلَهُ ... عارٌ عليكَ إذا فَعَلْتَ عَظيمُ

أَلا هلْ إلى طُول الحياةِ سَبيلُ ... وأَنّى وهذا الموتُ ليسَ يُقيلُ[2]

أَيْنَ الرِّوايةُ؟ بل أينَ النُّجومُ؟ وما ... صاغوهُ من زُخْرُفٍ فيها ومِنْ كَذِبِ

وما انتِفاعُ أخي الدُّنيا بناظِرِه[3] ... إذا أستَوَتْ عندَهُ الأنوارُ والظُّلَمُ

مَنِ الجآذرُ في زِيِّ الأعاريبِ ... حُمرِ الحِلى والمَطايا والجَلابيبِ[4]

أَغرَّكِ مِنّي أَنَّ حُبَّكِ قاتِلي ... وأنّكِ مهما تأْمُري القَلْبَ يَفْعَلِ

أَرَيْحانَةَ العينَيْنِ والأَنْفِ والحَشا ... أَلا لَيْتَ شِعْري هل تَغَيَّرتَ من بَعدِي

وكيفَ تَنامُ الطَّيرُ في وُكُناتِها ... وقد نُصِبت للفَرْقَدَيْنِ الحَبائلُ[5]

ولَيتَكَ تَرعاني وحَيرانُ مُعرِضٌ ... فتعلَمَ أنّي من حُسامِكَ حَدُّهُ[6]

---

(١) الجَوابي والبُضيع وحَوْمَل أسماءُ أماكن.

(٢) يُقيل من أقالَ البَيْع إذا فَسَخهُ.

(٣) ناظِره: عينِه.

(٤) الجآذر جمع جُؤذر وهو وَلَد البَقَرة الوَحشيّة تُشبَّه بها النِّساءُ لحُسْن عيُونها. الأعاريب جمع أعراب وهم سُكّان البادية. المَطايا جمع مَطيّة وهي الرَّكوبة. الجلابيب جمع جلباب وهو المِلْحَفَة تَلبَسها المَرأة فوق ثِيابها.

(٥) الوُكُنات والوُكَنات جمع وُكنة (بفتح الواو وضَمّها وكَسْرها) وهي عُشّ الطائر. والفَرْقَدان: نَجمان قَريبان من القُطْبِ الشّماليّ.

(٦) تَرعاني: تُراقبني. حَيران: اسْم جَبَل (أو ماء) في بَلاد الشّام. مُعرِض: ظاهر.

الباب السّابع

الفَصْل والوَصْل

الفَصْل الأوّل حقيقة هذا الباب

الوَصْل عَطْف جُملة على أُخرى نحو «قام زيدٌ وقَعَد أخوه» فيُقال إنّها مُتّصلة بها. والفَصْل هو أن يُترَك العَطْف بينهما نحو «مات فُلانٌ رَحِمَهُ الله» فيُقال إنّها مُنفَصلة عنها ولكُلٍّ من الفَصْل والوَصْل اعتِبارات وأحكامٌ شَتّى سَيأْتي الكلام عليها بالتّفصيل.

واعْلَم أنّ هذا الباب أدقّ أبواب عِلْم المَعاني لأنّ فيه ما ليس في غيرِه من التفاصيل بين الجُمل ومَواقعها وما يَتّصل بها من حُكْم الإعراب والخَبَر والإنشاء والجِهَة الجامعة وغير ذلك مِمّا سَتقِف عليه .وكُلّ ذلك يحَتاج إلى نظرٍ دقيق حتّى إنّ بعضهم سُئِل عن البلاغة فقال هي مَعرِفة الفَصْل من الوَصْل.

الفَصْل الثاني أحكام الفَصْل والوَصْل

إذا تَوالت الجُملتان فلا بُدَّ للأُولى من أن يَكون لها مَحلٌّ من الإعراب (أي تَكون خَبَرًا أو مفعولًا به أو حالًا ونحو ذلك) أو لا يَكون لها مَحلٌّ من الإعراب.

(١) **إن كان للأولى مَحلّ من الإعراب** فلا بُدَّ من أن يُقصَد تَشريك الثانية لها في حُكْم الإعراب أو لا.

١- فإن قُصِد التّشريك عُطِفَتِ الثانية على الأُولى نحو«الله يُحيي ويُميت».

٢- وإن لم يُقصَدِ التّشريك فُصِلَتِ الثانية عنها نحو «قالوا إنّا معكم إنّما نحن مُستهزِئون. الله يَستَهزِئُ بهم» لم يُعطَف قولُه «اللهُ يستَهزِئ بهم» على ما قَبْله لِئلّا يُشارِكه في حُكْم المَفعوليّة للقَوْل (أي في كَوْنِه مِمّا قالوه) وهو ليس مِمّا قالوه.

(٢) **إن لم يَكُنْ للجُملَةِ الأُولى مَحلٌّ من الإعراب** فإمّا أن يَكون لها حُكْم ما وإمّا أنْ لا يَكون لها حُكْم.

١- فإن كان للأُولى حُكْم لم يُقصَد إعطاؤُه للثانية وَجَب الفَصْل دَفْعًا للتَّشريك بينهما نحو «إنّما أنتَ مُنذِرٌ ولكُلِّ قَوْمٍ هادٍ. الله يَعلَم ما تَحمِل كُلُّ أُنثى». هُنا لم يَعطِف قَوله «الله يَعْلَم» على ما قبله لِئلّا يُشاركه في حُكْم القَصْر فيَكون تَعالى مَقصورًا على هذا العِلْم.

٢- إن كان للأُولى حُكْم وقُصِد إعطاؤُه للثانية وَجَب الوَصْل نحو «إنّما زيدٌ كاتبٌ وعَمروٌ شاعرٌ».

٣- إن لم يَكُن للأُولى ذلك الحُكْم نحو «زيدٌ خطيبٌ وعَمروٌ فَقيهٌ» وَجَب الفَصْل أيضًا.

(٣) **إن كان بين الجُملتَيْن** - اللّتين لهما مَحَلٌّ من الإعراب أو اللّتين لا مَحلّ لهما من الإعراب - **كَمال الانقِطاع أو كَمال الاتِّصال أو شِبْه أحَدهما** فيَجِب الفَصْل مُطلَقًا لتَعذُّر ارتباط المُنقَطِعتَيْن بالعَطْف وعَدَم افتِقار المُتَّصلَتَيْن إلى الرَّبْط به.

ويُراد بكَمال الانقِطاع أن تَكون إحداهما مُنقطِعة عن الأُخرى انقِطاعًا كاملًا بحيث لا يَصِحّ ارتِباطهما. وبكَمال الاتِّصال أن تكون مُتَّصِلة بها اتِّصالًا كاملًا بحيث لا تَصِحُّ المغايرة بينهما. وسيأْتي بَسْط الكلام على ذلك في الفَصْل التالي.

واعْلَم أنّ المُعتَبر هنا هو العَطْف بالواو فقط لأنّها لمُجرَّد التَّشريك. لأنّ غير الواو من حُروف العَطْف التي تَقتضي التَّشريك يُفيد معه معنًى آخَر كالتعقيب والمُهْلة وغير ذلك فلا يُشترَط معه ما يُشترَط مع الواو.

وشَرْط العَطْف بالواو أن يَكون بين الجُملتين جِهةٌ جامعةٌ أي عَلاقة يَصُحّ بها رَبْطهما بالعَطْف كالمُوافقة في نحو «يَقرأُ ويَكتُب» أو المُضادّة في نحو «يَنظُم ويَنثُر» فلا يَصُحّ أن يُقال «زيدٌ كاتبٌ والغُراب طائرٌ» لعَدَم الجامع بينهما.

وإنّما كانت المُضادّة هنا في حُكْم المُوافقة لأنّ الوَهْم يُنزِّلها مَنزِلتها في مُلازَمة حُضور أحَد الضِّدَّيْن في الذِّهن عند حُضور الآخَر منهما. فإنّ السَّواد يَخطُر بالبال عند ذِكْر البَياض كما تَخطُر الكِتابة عند ذِكْر القِراءَة. وهكذا في بَقيّة النَّظائر من الطَّرفَيْن.

الفَصْل الثالث مَواطِن الفَصْل

(١) أمّا كَمال الانقِطاع بين الجُملتَيْن فيكون:

١- لاختِلافهما في الخَبَريّة والإنشائيّة لَفظًا ومَعنًى نحو «ذَرْهُم في خَوْضِهم يَلعبون». فإنّ الأُولى إنشاءٌ في اللَّفظ والمَعنى والثانية خَبَرٌ فيهما.

٢- لاختِلافهما في الخَبَرية والإنشائية مَعنًى فقط نحو«خَلَق السَّموات والأرض بالحَقّ تَعالى عمّا يُشرِكون» فإنّ الأُولى خَبَرٌ في المَعنى والثانية إنشاءٌ وإن كانت كُلّ منهما خَبَرًا في اللَّفظ.

٣- لعَدَم الجامع بينهما من مُوافقةٍ أو مُضادّةٍ كما مَرّ.

(٢) وأمّا كَمال الاتِّصال فيكون:

١- لوُقوع الثانية منهما تأكيدًا للأُولى إمّا للتقرير نحو «فَمَهِّل الكافرين أَمْهِلْهم رُوَيدًا» فإنّ الثانية تُقرِّر معنى الأُولى فهُما بمَثابة قولك «جاءَ زيدٌ زيدٌ». وإمّا لرَفْع الاحتِمال نحو «فقاتِلْ في سَبيل الله لا تُكلَّف إلّا نَفْسك». فإنّ الثانية تَرْفَع احتِمال المجَاز في إسناد القِتال إلى المُخاطَب في الأُولى فهُما بمَثابة «جاءَ الأمير نَفْسُه».

٢- لوُقوع الثانية بَدَلًا من الأُولى؛ إمّا بَدَل اشتِمال نحو «وتَرى الجِبالَ تَحْسَبها جامدةً وهي تَمرّ مَرّ السَّحاب». فإنّ الثانية من مُشتَملات الأُولى فهُما بمَثابة قولك «نَفعني زيدٌ علمُه» أو بَدَل بعض نحو «يُدبِّر الأمر يُفصِّل الآيات». فإنّ تَفصيل الآيات بعض تَدبير الأمر بِخلاف حِسبان الجِبال جامدةً فإنّه من مُشتَملات الرُّؤيا لا بعضها.

وأمّا بَدَل الكُلّ فقد أنكره عُلماءُ البَيان خِلافًا للنُّحاة (كما أنكَر النُّحاة عَطْف البَيان في الجُمل خِلافًا للبَيانيّين). والأظهر أنّ بَدَل الكُلّ يَقع في الجُمَل نحو «ومَنْ يَفْعَل ذلك يَلْقَ آثامًا يُضاعَف له العَذاب» فإنّ مُضاعفة العَذاب هي لقاءُ الآثام أي العُقوبة.

٣- لوُقوع الجُملة الثانية بَيانًا للأُولى نحو «ما هذا بَشَرًا إنْ هذا إلّا مَلَكٌ كَريم» فإنّ الثانية تُوضِّح ما في الأُولى من الإبهام فهُما بمَثابة قولك «جاءَ أبو حَفْصٍ عُمَر» فإنّ نفي البَشَريّة عن المُشار إليه مُبهَمٌ يَحتمِل نِسْبة كُلّ ما سواها إليه. وإثبات كونِه مَلَكًا يُبيِّن هذا الإبهام لإيضاحِه الصِّفة أي هو عليها. والوَصْل يَمتنِع بين هذه الجُمَل كما يَمتنِع بين تلك المُفردات.

(٣) وأمّا **شِبْه كَمال الانقِطاع** فلِكَوْن عَطْف الثانية على الأُولى يُوهِم عَطْفها على غيرها بما ليس بمَقصود كما في قوله:

وتَظُنُّ سُلمى أنّني أبغي بها ... بَدَلًا أُراها في الضَّلال تَهيمُ

لم يَعطِف «أُراها» على «تَظُنّ» لِئَلّا يُتوَهَّم أنّه مَعطوفٌ على «أبغي» فيَكون من مَظنونات سُلمى وهو غير المَقصود. ويُسمَّى هذا الفَصْل **قَطْعًا**.

وأمّا **شِبْه كَمال الاتِّصال** فلوُقوع الثانية جوابًا على سؤَالٍ اقتَضَتْه الأُولى. فتُنزَّل الأُولى مَنزِلة ذلك السُّؤَال وتُفصَل الثانية عنها كما يُفصَل الجواب عن السُّؤَال نحو «قالوا سَلامًا قال سَلامٌ». أي «فماذا قال جوابًا لهم» فقيل «قال سَلام» ويُسمّى هذا الفَصْل **استِئنافًا**.

وقد يَكون السُّؤَال عن الواقع وقد يَكون عن سببِه فيُقدَّر في كُلّ منهما ما يطابِقُه. وقد اجتَمعا في قولِه:

قال لي: كيف أنتَ؟ قُلتُ: عَليلُ ... سَهَرٌ دائِمٌ وحُزْنٌ طَويلُ

فكأنّه قيل: ماذا قُلتُ. فقال: قُلتُ عَليلُ. ثُمَّ قيل ما سبب عِلَّتك. فقال سَهَرٌ إلى آخرِه.

الفَصْل الرابع — مَواطِن الفَصْل

إذا تَوسَّطت الجُملتان بين كَمال الانقِطاع وكَمال الاتِّصال وجَبَ الوَصْل بينهما وذلك إنّما يَكون:

١- إذا اتَّفقتِ الجُملتان في الخَبَريّة والإنشائيّة (أي في كَوْنهما خَبَريّتَيْن او إنشائيّتَيْن) **لفَظًا ومَعنًى** بشَرْط الجامع بينهما نحو «الذين آمَنوا وعَمِلوا الصّالحات». ونحو «فادْعُ واستَقِمْ كما أُمِرْتَ. ولا تَتّبع أهواءَهُم».

٢- إذا اتَّفقتا في ذلك **مَعنًى** فقط نحو «قال إنّي أُشهِدُ الله واشْهَدوا أنّي بَريءٌ مِمّا تُشرِكون». فإنّ جُمْلة «اشهَدوا أنّي بريءٌ» إنشائية في اللَّفظ ولكنّها خَبَريّة في المَعنى لأنّ المُراد بها «أُشهِدُكُم» ولهذا عُطِفتْ على الجُملة الخَبَريّة التي قَبْلها.

واعْلَم أنّ الوَصْل قد يَقع في مَواطِن الفَصْل لدَفْع الإبهام كقولهم «لا وَأَيَّدك الله». فإنّ جُملة أَيَّدك الله إنشائيّةٌ عُطِفتْ على الخَبَريّة التي دَلَّت عليها لا النافية لأنّ الفَصل

يُوهِمُ الدُّعاء بنَفْي التّأييد وهو خِلاف المَقصود.

(وبَيانُه أنّهم إذا أرادوا نَفْي المَسؤول عنه والدُّعاء للمُخاطَب يَقولون له ذلك كما إذا قال «هل قام زيدٌ؟» فيقال «لا وأيّدَكَ الله» أي لم يَقُم. أيّدَكَ الله. فتَكون لا وقد وَقعتْ مَوقِع جُملة خَبَرِيّة وأيّدك الله جُملة إنشائيّة. فبينهما كَمال الإنقِطاع المُوجِب للفصْل. وإنّما وُصِلتْ بها لأنّه لو قيل «لا أيّدَكَ الله» تَوَهَّم المُخاطَب أنّ ذلك دُعاءٌ عليه وهو خِلاف ما يقصدُه المُتَكلّم لأنّه يُريد الدُّعاء له).

والجامع بين الجُملتين يَجِب أن يَكون باعتبار المُسنَد إليه والمُسنَد جميعًا فيهما. نحو «زيدٌ شاعرٌ وغُلامُه كاتبٌ» فلا يَصِحّ أن يُقال «زيدٌ قائِمٌ والبَعير مُنطلِقٌ» لعَدَم الجامع بين المُسنَد إليهما ولا «زيدٌ شاعرٌ وغلامُه طويلٌ» لعَدَم الجامع بين المُسنَدَيْن. ولا «زيدٌ كاتبٌ والغُراب طائرٌ» لعَدَم الجامع لا بين المُسنَدَيْن ولا بين المُسنَد إليهما.

ومن مُحسِّنات الوَصْل تَناسُب الجُملتَيْن في الاسْميّة والفِعْليّة. والفِعْليّتَيْن منهما في الماضَوِيّة والمُضارِعِيّة. ما لم يَكُن غَرَضٌ في العُدول عن ذلك كإرادة التَّجَدُّد في إحداهما والثُّبوت في الأُخرى نحو «يُخادعون الله وهو خادِعهم». أو المُضيِّ في إحداهما والمُضارِعة في الأُخرى نحو «إنّ الذين كَفَروا ويَصدُّون عن سَبيل الله» ونحو ذلك.

تمرين

بَيّن الفَصْل والوَصْل في كُلّ من الأبيات الآتية وأظهِرِ الأحكام التي يَرجِعان إليها:

نُعِدُّ المَشرفِيّة والعَوالي ... وتَقتُلُنا المَنون بلا قِتالِ

الرّأيُ قَبلَ شَجاعةِ الشُّجعانِ ... هُوَ أوّلٌ وهيَ المَحَلُّ الثاني

خُلِقتُ ألوفا لو رَجَعتُ إلى الصِّبى ... لَفارَقْتُ شَيبي مُوجَعَ القَلْب باكيا

تَحمّلوا حَمَلتكم كُلُّ ناجيةٍ ... فكُلُّ بَيْنٍ عليّ اليومَ مُؤتَمنُ[1]

ما كُلُّ ما يَتمنّى المَرْءُ يُدرِكهُ ... تَجري الرِّياحُ بِما لا تَشتهي السُّفُنُ

رأيتُ المَنايا خَبطَ عَشواءَ من تُصِبْ ... تُمِتْهُ ومَنْ تُخطِئْ يُعمَّر فيَهْرَمِ

خَفِّفِ الوطْأ ما أظنّ أديمَ ... الأرضِ إلّا من هذه الأجساد

أقولُ له ارْحَلْ لا تُقيمَنّ عندنا ... وإلّا فكُن في السِّرِّ والجَهْرِ مُسْلِما

وقال إنّي في الهوى كاذبٌ ... انتَقمَ اللهُ مِنَ الكاذبِ

---

(١) تَحمّلوا: ارتحلوا. ناجية: ناقة سريعة. بَيْن: بُعد.

أَدِيرا عليّ الرّاحَ لا تَشْرَبا قَبْلي ولا تَطْلُبا من عند قاتلي ذَحلي[1]
إنّ يَوْمَ الفَراقِ أقْطَعُ يومٍ لَيْتَني مِتُّ قَبْلَ يومِ الفَراقِ

(١) الذّحل: الثأر أو طَلَب مُكافأة بجناية.

الباب الثامن

الإيجاز والإطناب والمساواة

الفَصْل الأوّل حقيقة هذا الباب

اللّفظ الذي يُعبَّر به عن المَعنى المُراد قد يَكون مُساويًا لأصل ذلك المَعنى وقد يَكون ناقصًا عنه وقد يَكون زائدًا عليه فالأوّل هو المُساواة والثاني هو الإيجاز والثالث هو الإطناب.

الفَصْل الثاني المُساواة

المُساواة هي الأصل لأنّها الدُّستور الذي يُقاس عليه نحو «وما تُقدِّموا لأنفُسِكُم من خَيْرٍ تَجِدوه عند الله». فإنّ اللَّفْظ فيه على قَدْر المَعنى لا يَنقُص عنه ولا يَزيد عليه. أمّا الإيجاز والإطناب فمِنَ الأُمور النِّسبيَّة التي يَكون تَعلُّقها بالنِّسبة إلى تَعلُّق شيءٍ آخَر فلا يُعرَفان إلّا بالقِياس عليها .فما نَقَص فهو الإيجاز وما زاد فهو الإطناب.

الفَصْل الثالث الإيجاز

كيف يَكون الإيجاز. الايجاز يَكون:

(أوّلًا) بتَقصير العِبارة غير محذوفٍ منها. ويُقال له **إيجاز القَصْر** نحو «ولكم في القِصاص حيوةٌ» فإنّ لَفْظه قليلٌ ومَعناه كثيرٌ لأنّ المُراد به أنّ الإنسان إذا عَلِم أنّه متى قَتَلَ قُتِلَ لم يَقتُل فكان ذلك حياةً له ولمَنْ يُريد قتله.

(ثانيًا) بحَذْف شيء من العِبارة. ويُقال له **إيجاز الحَذْف** وهو إمّا أن يُحذَف فيه جُزءُ جُملةٍ أو جُملة أو أكثر من جُملة.

فإن كان المَحذوف **جُزْء جُملة** فيَكون:

(١) **مُضافًا** نحو «وجاهِدوا في الله حَقَّ جهادِه» أي في سبيل الله.
(٢) **مُضافًا إليه** نحو «وواعَدنا موسى ثَلاثين ليلةً وأتمَمْناها بعَشْرٍ» أي بعَشْر لَيالٍ.
(٣) **موصوفًا** نحو «آمَنَ وعَمِل صالحًا» أي عَمَلًا صالحًا.
(٤) **صفةً** نحو «فزادَتْهُم رِجسًا الى رِجْسِهم» أي مُضافًا إلى رِجْسِهم.
(٥) **شَرْطًا** نحو «اتّبِعوني يُحْبِبْكُمُ الله» فالمَحذوف هُنا فِعْل الشَّرْط للاستِغناء عنه فكأنّه قال «اتَّبعوني. فإن تَتَّبعوني يُحْبِبْكُمُ الله» ثُمَّ حَذَف فِعْل الشَّرْط.
(٦) جَواب شَرْط نحو «ولو تَرى إذ وَقفوا على النار» أي لَرأَيتَ أمرًا فَظيعًا. وقد اجتَمَع حَذْف فِعْل الشَّرْط وجَوابه في قول الشاعر:

شَهْر الصِّيام تَقضّى وشَهْر شوَّالَ هَلّا
وقد حَضَرْنا جميعًا فإنْ حَضَرْتَ وإلّا

أي وإن لا تَحضُرْ فلا حاجة إليكَ.
(٧) وقد يَكون غير ذلك نحو «لا يُسأَل عمّا يَفعَل وهم يُسأَلون» أي عمّا يَفعلون.

وقد يَكون المَحذوف **جُملة** نحو «كان النّاسُ أُمّةً واحدةً فبَعَث الله رسولًا». أي فاختَلَفوا فبَعَث.

أو **أكثر من جُملة** نحو «وأَلْقِ عَصاك فَلَمّا رآها تَهتزُّ كأَنّها جانٌّ وَلّى مُدبِرًا». أي فأَلقاها فاهتَزَّت فلَمّا رآها الخ.

ماذا يَقوم مَقام المَحذوف؟: إمّا أنْ لا يُقام في الحَذف شيءٌ مَقام المَحذوف اكتِفاءً بدَلالة القَرينة عليه كما مَرّ.

وإمّا أنْ يُقام نحو «إنْ يَسْرِق فقد سَرَقَ أَخٌ له من قَبْل». فالمَحذوف هُنا جَواب الشَّرْط. وتَقديرُه «فلا بَدْعَ» أي ليس ذلك أمرًا مُبتدَعًا لم يُسبَقْ إليه. أمّا قولُه «فقد سرَقَ أَخٌ له من قبل» فلا يَصلُح أن يَكون جَوابًا للشَّرْط لأنّه لا يَصُحّ تَوقُّفُه عليه كما هو حُكْم الجَواب . فإنّ سَرِقَة أخيه من قَبْل لا تَتوقّف على سَرِقَتِه لأنّها سابقة. والجَواب لا بُدَّ أن يَتأَخَّر عَنِ الشَّرْط لأنّه جَزاءٌ له ومُسبَّبٌ عنه. ولهذا نَقول أنّ جملة «فقد سَرَق الخ» قامت مَقام الجواب المَحذوف.

دَليل الحَذْف والتَّعيين: لا بُدّ لِلحَذْف من دَليل على وُقوعِه ودَليل على تَعيين المَحذوف.

(١) أمّا دليل الحَذْف فهو العَقْل مُطلَقًا.

(٢) وأمّا دَليل التعيين فقد يَكون:

١- **العَقْل** أيضًا نحو «واسألِ القَرْيَة التي كُنّا فيها». فإنّ العَقل يَدُلُّ على الحَذْف لأنّ سُؤَال نَفْس القَرْيَة عَبَثٌ. ويَدُلّ أيضًا على تَعيين المَحذوف وهو الأهل.

٢- **العادة** نحو «فَذَلِكُنَّ الذي لُمتُنَّني فيه[1]» وَهو خِطابٌ لِنسْوَةٍ (ولذلك أُلحِقَتْ فيه النون المُشدَّدة باسْم الإشارة). فإنّ العَقْل يَدُلُّ على الحَذْف لأنّ اللَّوم لا يَكون في ذات الشَّخْص. والعادة تَدُلُّ على تَعيين المَحذوف وهو المُراوَدَة.

٣- **المُلابَسة** كقولهِم للمُسافِر «على الطّائر المَيمون». أي لِيَكُنْ سَفَرُكَ على الطّائر المُبارَك لأنّ العَرَب كانوا يَتشاءَمون ببعض الطُّيور وَيتفاءَلون ببعضها. فإنّ العَقْل هُنا يَدُلُّ على الحَذْف لاقتِضاءِ الجارّ ما يَتعلّق به. والمُلابَسة تَدُلُّ على تَعيين المَحذوف وهو السَّفَر وقِسْ نظائرَه عليه.

الفَصْل الرابع الإطناب

الإطناب يَكون:

(١) **بالإيضاح بَعْد الإبهام** لِيُرَى المَعنى في الصُّورتَيْن فيَخرُج فيهما من الخَفاءِ المُستوحَش منه إلى الظُّهور المأْنوس إليه نحو «العِلْم عِلْمان عِلْم الأبدان وعِلْم الأديان». فإنّ العِلْمَيْن مُبهَمان وما بَعْدهما إيضاحٌ وهذا يُقال له التوشيع.

(٢) وإمّا **بذِكْر الخاصّ بعد العامّ** تَنبيهًا على فَضْلِه حتّى كأنّه ليس منه نحو «حافِظوا على الصَّلَوات والصلاة الوُسطى». ذَكَر الصلاة الوُسطى بعد ذِكْر الصَّلَوات وهي داخلةٌ فيها للتَّنبيه على فَضْلها حتّى كأنّها ليست منها تَنزيلًا للتّغاير في الصِّفة مَنزِلة التَّغاير في الذّات.

(٣) **بالتَّكرار** وذلك لنُكْتةٍ كالتّأكيد نحو «هيهاتِ هيهات لما تُوعَدون».

(٤) **بالإيغال** وهو خَتْم البَيْت من الشِّعْر بِما يَتِمُّ المَعنى بدُونِه لنُكتةٍ كزيادة المُبالَغة في قولِه:

شَيخٌ يَرى الصَّلَواتِ الخَمْسَ نافِلَةً ويَستحِلّ دَمَ الحُجّاج في الحَرَم

فإنّ قوله «يَستحِلّ دَمَ الحُجّاج» وافٍ بالمَقصود وقولُه «في الحَرَم» زيادة في المُبالغة

(١) فيه أي في مُراودتِه. والضَّمير يَعود إلى يوسف الصِّدِّيق. والمُراوَدَة طَلَب الخَنى.

وقيل لا يَختَصّ بالشِّعْر فهو يَجري في النَّثْر أيضًا نحو «واللهُ يَرزُق من يَشاءُ بغير حِساب».

(٥) **بالتَّذييل**. وهو إرداف الجُملة بجُملةٍ تَشتمِل على مَعناها تأكيدًا:

١- **لمَنْطوقِ** فيها نحو «تَطمئِنُّ قُلوبهم بذِكْر الله. ألا بذِكْر الله تَطمئِنّ القُلوب». أو

٢- **لمَفهومِ** منها نحو «يَخلُق الله ما يَشاءُ إنّ الله على كُلّ شيءٍ قَدير».

(٦) **بالتكميل**. وهو أن يُؤتى في كلام يُوهِم خِلافَ المَقصود بِما يَدفَع ذلك الوَهْم ويُقال له الاحتِراس وهو قد يَكون:

١- **في وَسَط الكلام** نحو «ومَنْ أراد الآخِرَة وسَعى لها سَعيها وهو مُؤْمِنٌ فأُولئك كان سعيُهم مَشكورًا». احتَرَس بقولِه «وهو مُؤْمِن» عن تَوَهُّم الإطلاق أي عن تَوهُّم كونِ السّاعي مَشكورَ السّعي مُؤْمِنًا كان أو كافرًا. وقد يكون:

٢- في آخرِه نحو «وأَدْخِلْ يَدَكَ في جيبِكَ تخرُجْ بَيضاءَ من غير سُوءٍ». **احتَرَس** بقولِه «من غير سُوءٍ» عن تَوهُّم بَياض البَرَص ونحوِه.

(٧) **بالتَّميم**. وهو أن يُؤتى في كلامٍ لا يُوهِم خِلافَ المَقصود بفَضْلةٍ لنُكتةٍ كالمُبالغة نحو «ويُؤْثِرون على أنفُسهم ولو كان بهم خَصَاصةٌ» (أي يُفضِّلون الغير على أنفُسِهم في المَنافع ولو كان بهم حاجَة وفَقْر) فإنّ قوله «ولو كان بهم خَصاصةٌ» تتميمٌ أفاد به المُبالغة في الإحسان.

(٨) **بالاعتِراض** وهو أن يُؤتى في أثناءِ الكلام بجُملةٍ لا مَحلَّ لَها من الإعراب لنُكتةٍ غير دَفْع الإيهام **كالتهويل** نحو «وإنّه لَقَسَمٌ لو تَعملون عَظيمٌ».

واعْلَم أنّ المُساواة مَقبولةٌ مُطلقًا وأمّا الإيجاز والإطناب فالمَقبول منهما ما كان النّاقِص فيه وافيًا بالمَعنى والزّائد لفائدةٍ كما رأيت وغير ذلك مَردودٌ.

وقُيِّد الناقص بكَوْنِه وافيًا احتِرازًا عن نحو قول الحرث بن حِلِزّة اليَشكُرِيّ

والعَيْشُ خَيْرٌ في ظِلا ... لِ الجَهْلِ مِمَّن عاش كَدًّا

أي إنّ العَيْش في ظِلال الجَهْل خيرٌ من عَيْش مَنْ عاش مَكدودًا في ظِلال العَقْل. فلفظُه قاصرٌ عن استيفاءِ المَعنى. وهذا يقال له الإخلال.

وقُيِّد الزائد بكَوْنِه لفائدةٍ احترازًا عن نحو قول زُهير بن أبي سُلمى المزَني.

وأعلم عِلْمَ اليومِ والأمسِ قَبْلَه ... ولكنّني عن عِلْمِ ما في غَدٍ عَمي

فإنّ ذِكْر قَبْله بعد ذِكْر الأمس حَشوٌ لا فائدة فيه لأنّ الأمس لا يَكون إلّا قبل اليوم

وهذا يُقال له التَّطويل.

تمرين

أسئلة على الإيجاز والإطناب يُطلَب من التّلميذ تحليلها:

يَشيبُ الإنسان وتَشِبّ فيه خَصْلتان: الحِرْص وطُول الأمَل

قالوا هَجَرْتَ إليه الغيثَ قُلتُ لهم ... إلى غُيوثِ يَديه والشّآبيبِ

وَجَدْتُ أنفع مالٍ كُنتُ أذخَرهُ ... ما في السَّوابقِ من جَرْيٍ وتقريبِ

أتى الزّمانَ بَنوهُ في شَبيبتِهِ ... فَسَرَّهم وأتيناه على الهَرَمِ

وإذا كانتِ النُّفوسُ كِبارًا ... تَعِبَتْ في مُرادها الأجسامُ

سَقى دِيارَكِ غيرَ مُفسِدِها ... صَوبُ الربيع وديمةٌ تَهْمي

إنّ الثّمانينَ وبُلِّغتَها ... قد أحوَجَتْ سَمْعي إلى تُرْجُمانْ

تَأمّلْ من خِلالِ السَّجْف وانظرْ ... بعَيْنِكَ ما شَربتُ ومَنْ سقاني

لم يُبقِ جُودُكَ لي شيئًا أُؤَمّلُهُ ... تَرَكْتَني أصْحَبُ الدُّنيا بلا أمَلِ

وما ماتَ مِنّا سَيِّدٌ حَتْفَ أنفِه ... ولا طُلَّ مِنّا حيث كان قَتيلُ[1]

أدعوكَ دَعوةَ مَرْءٍ واثقٍ بكُمُ ... يا أوحَدَ العَصْر فاسْمَعْ غير مَأمورِ

فكان مجنّي دُونَ مَنْ كُنْتُ أتّقي ... ثَلاثُ شُخوصٍ كاعبانِ ومُعصِرُ[2]

يَجودون للرّاجي بكلِّ نَفيسةٍ ... لديهم سِوى أعراضِهم والمَناقِبِ

الغدول عن مُقتضى الظّاهر

قد عَلِمْتَ أنّ البلاغة مُتوقِّفة على المُطابقَة لمُقتضَى الحال. واعْلَم أنّ مُقتضَى الحال إنّما يَجري على مُقتضَى الظاهر كما مَرّ من الأحكام. ومُقتضَى الظاهر هو الأصْل في الكلام فلا يُعدَل عنه إلّا لنكتةٍ كما سيُذكَر.

(١) قد **يُوضَع المُضمَر مَوضِع المُظهَر** خِلافًا لمُقتضَى الظاهر ليَتمكّن ما بَعده في ذِهْن السامع. لأنّ السامع إذا لم يَفهَم مَعنًى من الضّمير انتَظَر ورود ما يَليه ليَفْهَم منه مَعنًى فإذا وَرَد كان له فَضْل تَمكُّنٍ في ذِهْنه. نحو «قُل هو الله أحَد». فإنّ الأمر الذي يُريد الحديث عنه هو أن الله واحِد والضّمير «هو» ضَمير شأْن استُعمل مَكان

---

(١) طُلّ: هُدِر دمُه لو لم يُثأر له.

(٢) الكاعِب: الفتاة في سنّ الرابعة عشرة ونحوها. والمُعْصِر: التي قاربت العشرين.

لَفْظة الشّأن وهذا الاستِعمال على خِلاف مُقتضى الظّاهر لأنّ الظاهر يقتضي أن يَعود ضَمير الغَيْبَة على مَرْجَع قَبْله ولا مَرْجع لهذا الضمير.

(٢) **يُوضَع المُظهَر مَوضِع المُضمَر** وذلك:

١- **لزيادة التَّمكين** نحو «الله ربّي ولا أُشْرِك بربّي أحَدًا». أي ولا أُشْرِك به. أو

٢- **لإلقاءِ المَهابة في نَفْس السامع** كقول الخليفة «أميرُ المؤمنين يَرْسُم بكذا» أي أنا أَرْسُم. أو

٣- **للاستِعطاف** نحو «اللّهُمّ عَبْدك يسأَلك المَغْفِرة» أي أنا أسألك.

(٣) من خِلاف مُقتضى الظاهر **الالتِفات**. وهو الانتِقال من كُلٍّ من التّكلُّم والخِطاب والغَيْبَة إلى صاحبِه على غير ما يَقتضيه سِياق الكلام افتِنانًا في الحديث وحَمْلًا للسّامع على فَضْل إصغاء إليه. فيَكون:

١- من التّكلُّم إلى الخِطاب نحو «وقالوا يا وَيْلَنا هذا يَوْم الدِّين هذا يوم الفَصْل الذي كُنْتُم به تُكذِّبون». فمُقتضى الظاهر هنا أن يُقال كُنّا به نُكذِّب. أو إلى الغَيْبَة نحو «يا عِباديَ الذين أسرفوا على أنْفُسهم لا تَقنَطوا من رَحْمة الله». (ومُقتضى الظاهر «رحمتي»).

٢- من الخِطاب إلى التّكلُّم نحو «واستغفِروا رَبّكم ثُمَّ تُوبوا إليه إنّ رَبّي رَحيمٌ وَدودٌ». (مُقتضى الظاهر. إنّ رَبّكم رَحيم وَدود) أو إلى الغَيْبَة نحو «رَبَّنا إنّك جامِع النّاس ليَوْمٍ لا رَيْب فيهِ إنّ الله لا يُخلِف الميعاد» (مُقتضى الظاهر: إنّك لا تُخلِف الميعاد).

٣- من الغَيْبَة إلى التّكلُّم نحو «وهو الذي أرْسَل الرِّياح بُشْرًا بين يدَي رحمتِه وأنزَلْنا من السَّماء ماءً طَهُورًا». (مُقتضى الظاهر «وأنْزَل من السَّماءِ ماءً»). أو إلى الخِطاب نحو «وإذا أخَذْنا مِيثاق بني إسرائيل لا تَعبُدون إلّا الله» (أي «لا يَعبُدون إلّا الله»).

(٤) من خِلاف مُقتضَى الظاهر **التّعبير عن مَعنى المُستقبَل بلَفْظ الماضي** تَنبيهًا على تَحقُّق وقوعِه نحو «يَومَ يُنفَخ في الصُّوَر فتأْتون أفواجًا وفُتِحَتِ السَّماءُ وكانتْ أبوابًا». أي وتُفتَح فتَكون.

(٥) من خِلاف مُقتضى الظاهر **حَمْل كَلام المُخاطَب على خِلاف مُرادِه** تَنبيهًا على أنّ هذا هو الأَولى بأَن يُراد كما وقع للقَبَعثَرِيّ وقد قال لهُ الحَجّاج «لأحْمِلَنّكَ على الأَدْهَم». فقال «مِثْل الأمير مَن حَمَل على الأَدْهَم والأَشْهَب». أراد الحَجّاج

بالأدْهَم القَيْد فحَمَله القَبَعثَرِيّ على الفَرَس الأسْوَد بأن ضَمَّ إليه الأشْهَب تَنبيهًا على أنّ هذا هو الأولى بمثلِه[١].

(٦) **إجابة السائل بغير ما يَطلُب** تَنبيهًا على أنّ هذا هو الأهمّ له نحو «يَسألونَك ماذا يُنفِقون قُل ما أنفقتُم من خيرٍ فلِلْوالِدَيْن والأقرَبين واليَتامى والمَساكين وابنِ السَّبيل» سَألوا عن حقيقة ما يُنفِقون فأُجيبوا ببَيان طُرُق الإنفاق تَنبيهًا على أنّ هذا هو الأجدر بالسُّؤال عنه.

(٧) **التّغليب** وهو إطلاق لفظ أحَد الصاحبَيْن على الآخَر ترَجيحًا له عليه نحو «كانت من القانتين» أي من المُطيعين لربِّهم أو القائمين في الصَّلاة. والمُراد بها مَريم. فإنّ قياسه القانتات لكنَّه غَلَّب جانب الذُّكور على جانبِ الإناث فأجرى صِفَتهم عليهنّ. والتغليب كَثير في كَلام العَرَب كالأبوين للأب والأمّ. والقَمَرَين للشَّمْس والقَمَر. والعُمَرَين لأبي بَكْر وعُمَر بن الخَطّاب ومن ذلك نحو «قال إنّكم قوم تجهلون» تغليبًا لجانب الخطاب على جانبِ الغَيْبَة لأنّ القَوْم عِبارةٌ عن المُخاطَبين. ونحو قولِه «أنا الذي نَظَر الأعمى إلى أدبي» تَغليبًا للتّكلُّم على الغَيْبَة لأنّ المَوصول عِبارةٌ عن المُتكلِّم. وكان القِياس فيهما الغَيْبَة لأنّ الظاهر كُلَّه من قَبيل الغائب.

(٨) **القَلْب** وهو جَعْل كُلّ من الجُزءَين في الكلام مَكان صاحبِه لنُكْتَةٍ كالمُبالغة في قول رُؤْبة بن العَجاج:

ومَهْمَهٍ[٢] مُغْبَرَّةٍ أرجاؤُه ... كأنَّ لَونَ أرضِه سَماؤُه

أي كأنّ لَونَ سَمائِه لَوْن أرضِه. عَكَسَ التَّشبيه مُبالَغةً في وَصْف لَوْن السماءِ بالغَبْرة حتّى صار يُشبَّه به لَوْن الأرض. والمَقبول من هذا ما تَضمَّن اعتبارًا لَطيفًا كما في البيت. فإن خَلا منه فهو مَردودٌ لكونِه خِلافًا لمُقتضى الظاهر لا نُكتَةَ فيه كقول القَطامي

---

(١) الإشارة هُنا إلى قِصّة جَرَت بين نَجْم الدِّين القَبَعْثَرِيّ وكُلَيب بن يوسف الثَّقَفي أمير الشّام المَعروف بالحَجّاج وكان قد غَضِب عليه فتَوعَّده بقولِه لأحمِلَنَّكَ على الأدْهَم أي على القَيد. يُريد أن يُؤْتى به إليه مُقيّدًا بالحَديد. فأجابه بقولِه مِثْل الأمير مَنْ حَمَلَ على الأدْهَم والأشْهَب. أي مَنْ كان مِثْلك فهو أهْلٌ لأن يُحمَل على الجَواد الأدْهَم والأشْهَب. وإنّما تَمّ له ذلك بذِكْر الأشْهَب وهو ما غَلَب بَياضُه على سَواده لأنّه صِفةٌ غالِبة الاستِعمال للخَيْل. فصَرَف الأدهم عن كَوْنِه اسْمًا للقَيْد إلى كَوْنِه صِفةً للجَواد. ويُقال إن الحَجّاج قال له عند ذلك «إنّما أرَدْتُ الحَديد» فقال «هو خيرٌ من البَليد» فصَرَف بذِكْر البَليد مَعنى الحَديد إلى الصِّفة من الحِدَّة التي هي نَقيض البَلادة.

(٢) مَهْمَه: مَفازة بعيدة.

(٣) أرجاؤُه : نَواحيه.

فَلَمَّا إنْ جَرى سَمْنٌ عليها ... كما طيَّنتَ بالفَدَن السِّياعا
أمَرتَ بها الرِّجالَ ليأخُذوها ... ونحنُ نَظُنّ أنْ لنْ تُستطاعا

يُريد بالفَدَن القَصْر وبالسِّياع الطِّين أي كما طَيَّنتَ القَصْر بالطِّين. فقَلَبَ الكلام لغَيْر نُكتَةٍ في قلبِه كما تَرى.

تمرين

في الأمثِلة الآتية يُطلَب من التِّلميذ أن يُبيِّن أين يُوجَد عُدول عن مُقتضى الظّاهر وإلى أيّ نوع من الأنواع المَذكورة في الفَصْل السّابق يَرجِع:

١ إنْ تَسألوا الحقَّ نُعطِ الحَقَّ سائلَه

٢ تَطاول لَيلُك بالإثْمِدِ ... ونامَ الخَليُّ ولم تَرْقُدِ
وباتَ وباتَتْ له لَيْلةٌ ... كَلَيْلَة ذي العائِر الأرْمَدِ
وذلك من نَبَإٍ جاءَني ... وخُبِّرْتُه عن أبي الأسْوَدِ

٣ أنا الذي نَظَر الأعمى إلى أدبي ... وأسْمَعَتْ كَلِماتي مَنْ به صَمَمُ

٤ للّٰه في مُلْكِكم سِرّ سيُظهرُه ... وأوّل الغَيْثِ قَطْرٌ ثُمّ يَنْهَمِرُ
يا سائلي عَنْهُمُ كَلَّفْتني شَطَطًا ... لا يُحسَبُ الرَّملُ بل لا يُحصَرُ المَطَرُ

٥ وهل هي إلّا مُهجَةٌ تَطلُبونها ... فإنْ أرضَتِ الأحبابَ فهي لَهمْ فِدى

٦ بأنّي قد لَقيتُ الغُولَ تَهوي ... بِسَهْبٍ كالصَّحيفةِ صَحصَحانِ
فأَضْرِبُها بلا دَهَشٍ فَخَرَّت ... صَريعًا لليَدَيْن وللجِرانِ

٧ متى كان الخِيامُ بذي طُلوحٍ ... سُقيتِ الغَيْثَ أيَّتُها الخِيام

عِلمُ البَيان

١- حَقيقة هذا الفن

البَيان عِلْمٌ يُعرَف به إيراد المَعنى الواحد بطُرُق مُختلِفة في وُضوح الدَّلالة عليه[1].

وهو يَنحصِر في ثلاثة أبواب أوَّلها التَّشبيه والثاني المَجاز والثالث الكِناية. ولِكُلٍّ مِنها أحكامٌ واعتِباراتٌ سَتقِف عليها بالتَّفصيل.

٢- أركان عِلْم البَيان

دَلالة اللَّفظ إمّا وَضْعِيّة أو عقلِيّة.

فالوَضعيّة هي ما دَلَّت على تَمام ما وُضِع اللَّفظ له كدَلالة الإنسان على الحَيَوان النّاطق. فإنّه تَمام المَعنى المَوضوع له اللَّفظ. وتَختصّ بالمُطابقة للتّطابُق بين الطَّرَفَيْن. أي لِما في مَدلولها من التّطابُق بين المَعنى واللّفظ المَوضوع له. (فإذا استَعمَلْنا لَفظة «الإنسان» ونَحن نَقصِد بها الحَيَوان الناطق كان المَعنى المُستعمَلة به والمَعنى المَوضوعة له مُتطابِقَيْن).

والدَّلالة العَقليّة هي:

(١) ما دَلَّت على **جُزْءِ** ما وُضِع اللَّفظ له كدَلالة الإنسان على الحَيَوان فقط. فإنّه جُزْءٌ منه. وتَختصُّ بالتّضمُّن لدُخول الجُزءِ ضِمْن المَعنى المَوضوع له اللَّفظ (أي إنّ دَلالة لفظة «الإنسان» على الحَيَوان تُسمّى تَضمُّنًا لأنّ اللفظة تَتضمَّن هذا المَعنى كجُزءٍ من مَدلولها).

(٢) ما دلّت على معنًى **خارج** عمّا وُضِع اللَّفظ له كدَلالة الإنسان على الضّاحك فإنّه خارج عنه ليس كلًّا له ولا بعضًا منه. وتَختصّ بالالتِزام لأنّ الخارج لازمٌ للمَعنى

---

(١) أي بطُرُق يَختلِف بعضها عن بعض في وُضوح الدَّلالة على نَفْس ذلك المَعنى فيَكون هذا أوضح من ذاك. كما إذا قيل «زيدٌ كحاتم في الكَرَم» فإنّه أوضح من أن يُقال «زيدٌ كَثير الرَّماد» كِناية عن كَرَمِه. كما ستَعْلَم في بَحْث الكِناية.

المَوضوع له اللَّفظ. (أي إنّ دَلالة لفظة «الإنسان» على «الضاحك» تُسمّى التِزامًا لأنّ «الضاحك» ليس كُلّ المَعنى المَوضوعة له اللَّفْظة ولا جُزْءًا منه بل هو لازم له غير داخل في مَفهومِه).

ولمّا كان فَنّ البَيان مَبنيًّا على اختِلاف الطُّرُق في وُضوح دَلالة اللَّفظ على المَعنى الذي يُوردُه المُتكلِّم لم تكُن الوَضعيّة منها تَصلُح لهذا الفَن لعدم اختِلافها في الوُضوح والخَفاء. لأنّ السامع إذا كان عالِمًا بوَضْع الألفاظ لذلك المَعنى لم يَكُن بعضها أوضح من بعض في الدَّلالة عليه. وإلّا فلا دَلالة لواحد منها. وإنّما تَصلُح له العقلِيّة لجَواز أن تَختلِف في الوُضوح مَراتب لُزوم الأجزاء للكُلّ في التَّضمُّن ولُزوم اللَّوازم للمَلزوم في الالتِزام. (فقد يَكون للشيءِ أجزاءٌ متَعدِّدة بعضها أدلُّ عليه من بعض أو لوازم مُتعدِّدة بعضها أشدّ اتِّصالًا به أو أقوى دَلالة عليه من بعضها الآخَر).

واعْلَم أنّ اللَّفْظ الذي يُراد به لازم ما وُضِع له إمّا **مَجازٌ** وهو ما قامت قَرينةٌ على عدم إرادة معناه الذي وُضِع له. وإمّا **كِنايةٌ** وهو ما لا قَرينة معه على ذلك.

والمَجاز إمّا **استِعارةٌ** وهو ما بُنيَ على التَّشبيه. وإمّا **مُرسَل** وهو ما ليس كذلك. ولا بُدَّ في البَيان من رِعاية المُطابَقة لمُقتضى الحال المُعتبَرة في فنّ المَعاني. فتَكون مَنزِلة المَعاني من البَيان مَنزِلة الفصاحة التي هي سَلامة اللَّفْظ من تلك الشَّوائب المَعهودة من البَلاغة التي هي مطابقتُه لمُقتضى الحال مع فصاحتِه كما عَلِمْت. وعلى ذلك فكُلّ فريق منهما يَتنزَّل من الفَريق الآخَر مَنزِلة المُفرَد من المُركَّب.

الباب الأوّل

التشبيه

الفصل الأوّل حقيقة هذا الباب ومتعلّقاته

التّشبيه هو الدَّلالة على مُشارَكة أمر لآخر في مَعنًى على غير استِعارة ولا تَجريد. كما إذا قيل «زيدٌ كالأسَد» فإنّه يَدُلُّ على أنّ زيدًا قد شارك الأسَد في الشَّجاعة. واحتَرَزْنا بقولنا «على غير استِعارة» عن نحو «رأيتُ أسَدًا يَرمي النّبال» وبقولنا «لا تَجريد» عن نحو «لَقِيتُ من زَيدٍ أسَدًا» فإنّهما مَبنيّان على تَشبيه الرَّجُل بالأسَد ولكنّ الأوّل من باب الاستِعارة والثاني من باب التَّجريد الطّبيعيّ كما ستَعْلَم.

وللتَّشبيه أربَعةُ أركان وهي طرفاه ووجهُه وأَداتُه. ففي قولنا «زَيْدٌ كالأسَد في الشَّجاعة»:

زيدٌ هو المُشبَّه والأسَد المُشبَّه به ويُقال لهما طَرَفا التَّشبيه، والشَّجاعة وَجْه الشَّبَه، والكاف أداة التَّشبيه. وفي كُلٍّ من ذلك كلام سيُذكَر.

الفصل الثاني طَرَفا التَّشبيه

طَرَفا التَّشبيه هُما المُشبَّه والمُشبَّه به وهما إمّا:

حِسّيّان أي ممّا يُدرَك بإحدى الحَواسّ الخَمْس الظّاهرة (وهي البَصَر والسَّمْع والشَّمّ والذَّوْق واللَّمْس) كما في تَشبيهِ الرَّجُل الشُّجاع بالأسَد فإنَّ الرَّجُل والأسَد مِمّا يُدرَك بالنَّظَر أو **عقليّان** أي مِمّا يُدرَك بالعَقْل دون الحِسّ كما في تَشبيه العِلْم بالحَياة فإنّهما مِمّا يُدرَك بالعَقْل لا بالحِسّ أو **مُختلِفان** أي أحَدُهما حِسّيّ والآخَر عَقْليّ كما في تَشبيه الشُّجاع بالمَنيّة (فإنّ المَشبَّه حِسّيّ والمَشَّبه بهِ عَقليّ) وفي تَشبيه العِلْم بالنُّور (فالمُشبَّه عَقليّ والمُشبَّه به حِسّيّ).

واعْلَم أنّ من الحِسّيّ ما لا تُدرِكه الحَواسّ بنَفْسه ولكن تُدرِك مادَّته فقط كما في قَوله:

كأَنّ الحُبابَ المُستديرَ برأسِها كَواكبُ دُرٍّ في سَماءِ عَقيقِ(١)

فإنّ هذه الكواكِب والسَّماء لا يُدرِكها الحِسُّ لأنّها غير مَوجودةٍ. ولكن يُدرِك مادَّتها التي هي الدُّرُّ والعَقيقُ. وهذا يُقال له **الخَياليُّ**.

ومن العَقليّ ما تُدرِكُه الحَواسّ لو وَقَع تحت الإدراك كما في قولِه:

أَيَقتُلُني والمَشرَفيُّ مُضاجِعي ومَسنونةٌ زُرْقٌ كأَنيابِ أغوالِ(٢)

فإنّ أنياب الأغوال لو دُرِكَت لأدرَكَها الحِسُّ ولكنّها لا تُدرَكُ لأنّها لا تُوجد. وهذا يُقال له **الوَهمِيُّ**.

الفصل الثالث وَجه التَّشبيه

وَجْه التَّشبيه ما يَشترِك فيه طَرفاه **تَحقيقًا** كما في تَشبيه الرَّجُل الشُّجاع بالأَسَد لوُجود الشَّجاعة وُجودًا حقيقيًّا في المُشبَّه والمُشبَّه به أو **تَخييلًا** كما في قولِه:

يا مَنْ له شَعْرٌ كحَظّي أسْودٌ جِسمي نحيلٌ من فِراقك أصغَرُ

فإنّ وَجْه الشَّبهَ فيه بين الشَّعْر والحَظّ هو السَّواد وهُما يَشترِكان فيه لكنّه يوجَد في المُشبَّه تَحقيقًا ولا يُوجَد في المُشبَّه به إلّا على سَبيل التَّخييل لأنّه ليس من ذَوات الألوان.

ووَجْه الشَّبَه إمّا داخل في حقيقة الطَّرفَيْن وإمّا خارج عنها. فالداخل في حقيقة الطرفَيْن هو ما كان تَمام ماهيّتهما أو جُزءًا منها كالإنسانيّة أو النُّطْق في تَشبيه العالِم بالجاهل.

(أي إنّه يَكون نَفْس ماهيّتهما بتَمامها كالإنسانيّة بالنِّسْبة إلى الإنسان. أو جُزءًا من ماهيّتهما كالنُّطْق بالنِّسبة إليه أيضًا من حيث كونِه حَيوانًا ناطقًا. فإنّ الحيوانيّة جُزءُ ماهيّتِه والنُّطْق جُزؤُها الآخَر. فإذا شُبّهنا رَجُلًا عالِمًا برَجُلٍ جاهلٍ في كَوْن كُلٍّ منهما إنسانًا أو

(١) الحبُاب ما يَعلو الماءَ من الفَقاقيع والضمير في «برأسها» للخَمْر.

(٢) المَشرَفيُّ: السيف. المَسنونة: يُراد بها السِّهام. الأغوال: (جمع غول) كانوا يَزعمون أنّها وُحوش هائلة المَنْظر.

في كون كُلٍّ منهما ناطقًا وإن تَفاوت أمرهما في حَقّ الإنسان أو النُّطْق؛ فالأوَّل داخلٌ في حقيقة الطَّرفَيْن بتَمامها والثاني جُزءٌ منها كما لا يَخفى).

والخارج عن حقيقة الطّرفَيْن هو ما كان **صِفةً** لهما وهذه الصِّفة إمّا **حقيقيّة** أو **إضافِيّة**.

فالحقيقيّة قد تكون **حِسّيّة** كالحُمْرَة في تَشبيه الخَدّ بالوَرْد وقد تكون **عقليّة** كالشَّجاعة في تَشبيه الرَّجُل بالأسَد.

والإضافيّة هي ما ليست هيئة مُتقرِّرة في الذّات بل مَعنًى مُتعلِّقًا بها كالجَلاءِ في تَشبيه البيِّنَة بالصُّبْح. فإنّنا إذا شَبَّهنا البَيِّنَة بالصُّبْح في كَوْنها تَجلو الشَّكّ كما أنّ الصُّبْح يَجلو الظَّلام فهذا الجَلاءُ ليس هَيئةً مُستقرّةً في ذات الطّرفَيْن بل هو أمرٌ خارجيٌّ صادرٌ عنهما.

ثمّ إنّ وَجْه الشّبه قد يَكون **واحدًا** وقد يَكون بمَنزلة الواحد لكونِه **مُركَّبًا** من مُتعدِّدٍ. وقد يَكون **مُتعدِّدًا** وكُلٌّ من ذلك قد يَكون **حِسِّيًّا** وقد يَكون **عَقليًّا**.

(١) إذا كان وَجه الشَّبَه واحدًا **فالحِسّيّ** منه كالحُمْرة في تَشبيه الخَدِّ بالوَرْد **والعَقليّ** كالشَّجاعة في تَشبيه الرَّجُل بالأسَد.

(٢) إذا كان وَجْه الشَّبَه مُركَّبًا **فالحِسّيُّ** منه قد يَكون:

١- مُفرَد الطّرفَيْن كما في قوله:

وقد لاح في الصُّبْح الثُّريَّا كما تُرى   كعُنقود مُلَّاحيّةٍ[1] حين نَوَّرا

فإنّ وَجْه الشَّبَه فيه هو الهيئة الحاصِلة من التِئام الحَبَب البِيض الصَّغيرة المُستديرة المَرصوف بعضها فوق بعضٍ على الشَّكل المَعلوم وكلا الطّرفَيْن مُفردٌ وهما الثُّريَّا والعُنقود.

٢- مُركَّب الطّرفَيْن كما في قولِه:

والبَدْرُ في كَبدِ السَّماءِ كدِرْهَم   مُلقًى على دِيباجةٍ زَرقاءِ

فإنّ وَجه الشَّبَه فيه هو الهيئة الحاصلة من طُلوع صُورةٍ بيضاءَ مُشرقة مُستديرة في رُقعةٍ زَرقاءَ مَبسوطة. وكِلا الطَّرفَيْن مُركَّبٌ أوّلهما من البَدْر والسَّماءِ والثاني من الدِّرْهَم والدِّيباجة وقد يكون:

٣- مُختلِف الطَّرفَيْن كقولِه:

---

(١) المُلّاحيّة: عِنَب أبيض مُستطيل الحَبّ.

وحَدائقٍ[1] لَبِسَ الشَّقيقَ نباتُها   كالأُرجوانِ[2] مُنقَّطًا بالعنبرِ

فإنّ وَجْه الشَّبَه فيه هو الهيئة الحاصلة من انبِساط رُقعةٍ حَمراءَ قد نُقِّطَتْ بالسَّواد مَنثورًا عليها. والمُشبَّه مُفرَدٌ وهو الشَّقيق. والمشبَّه به مُركَّبٌ من الأُرجوان والعَنْبَر - وكقوله:

لا تَعجبوا من خالِهِ في خَدِّهِ   كُلُّ الشَّقيق بنُقطَةٍ سوداءِ

فإنّ وَجْه الشَّبَه فيه هو الهيئة الحاصلة من طُلوع نُقطة سَوداء مُستديرة في وَسَط رُقعةٍ حَمراء مَبسوطة. والمُشبَّه مُركَّبٌ من الخال والخَدّ. والمُشبَّه به مُفردٌ. وهو الشَّقيق **والعَقليّ** من المُركَّب كما في قولِه:

المُستجيرُ بعمرٍو[3] عند كُربَتِهِ   كالمُستجير من الرَّمضاء[4] بالنّارِ

فإنّ وَجْه الشَّبَه فيه هو الحالة الحاصلة من الالتجاءِ من الضّارّ إلى ما هو أضرُّ منه طَمَعًا في الانتِفاع به. ووَجْه الشَّبَه مُرَكَّبٌ من هذهِ المُتعدِّدات في الجَميع كما رأيت.

(٣) إذا كان وَجْه التَّشبيه مُتعدِّدًا **فالحِسّيُّ** منه كما في قولِه:

مُهَفْهَفٌ وَجْنَتاه   كالخَمْرِ لَونًا وطَعْما

والعَقليّ كما في قولِه:

طَلْقٌ شَديدُ البَأْس راحتُه   كالبَحْر فيه النَّفْع والضَّرَرُ

فإنّ وَجْه الشَّبَه فيه مُتعدِّدٌ وهو اللَّوْن والطَّعم في الأوَّل والنَّفْع والضَّرَر في الثاني.

وقد يَجيءُ المُتعدِّد مُختلِفًا كما في قولِه:

هذا أبو الهيجاءِ في الهيجاءِ   كالسَّيْف في الرَّونقِ والمَضاءِ

فإنّ وَجْه الشَّبَه فيه الرَّونق وهو حِسّيٌّ والمَضاءُ وهو عَقْليٌّ (الفَرْق بين وَجْه الشَّبَه المُرَكَّب والمُتعدِّد أنّ المُركَّب يُقصَد فيه اشتِراك الطَّرفَيْن في الهيئة الحاصلة من مَجموع تلك الأُمور بجُملتها ولذلك يُنزَّل مَنزِلة الواحد. والمُتعدِّد يُقصَد فيه اشتِراكهما في كُلّ واحدٍ من أفرادها على حِدتِه).

---

(١) الحدائق: الرِّياض ذات الشجر.
(٢) الأُرجوان صَبْغ أحمَر وهو يُستعمَل أيضًا للثّوب المَصبوغ به.
(٣) المُراد بعمرو هنا جَسّاس بن مُرَّة البَكْريّ. ويُقال إنّه لمّا رمَى كُليب بن رَبيعة التّغلبيّ وَقَف على رأسِه فقال يا عَمْرو أَغِثني بشرْبَة ماءٍ فأتمّ قَتْلَهُ فقيل البيت.
(٤) الرَّمضاءُ: الأرض التي أسخنَتْها شِدّة حَرارة الشَّمس.

واعْلَم أنّ وَجْه الشَّبَه الحِسّيّ لا يَكون طَرفاه إلّا حِسِّيَّيْن. وأمّا العَقليّ فلا يَلزَمُه كَوْنهما عَقليَّيْن لأنّ الحِسّيّ يُدرَك بالعقل خِلافًا للعَقليّ فإنّه لا يُدرَك بالحِسّ. وحُكْم وَجْه الشَّبَه أن يَكون في المُشبَّه به أقوى منهُ في المشبَّه وإلّا فلا فائدة في التشبيه لأنّ المُراد منهُ إلحاق المُشبَّه بالمشبَّه بِهِ في تلك الصفة. فإن لم يَكُن وَجْه الشَّبَه أقوى في المُشبَّه به لم يَحصُلِ الغَرَض المَقصود منه.

تمرين

في الأمثِلة الآتية بَيِّن (١) طَرَفي التَّشبيه بالتَّفصيل (أي بَيِّن العَقليّ والحِسّيّ منهما) (٢) أداة التَّشبيه (٣) وَجهُه (مُفرَدًا أم مُرَكَّبًا أم مُتعدِّدًا):

كأنَّ سُهَيلًا والنُّجوم وراءَهُ ... صُفوفُ صَلاةٍ قام فيها إمامها

وكأنَّ أجرامَ النُّجوم لَوامعًا ... دُرَرٌ نُثِرْنَ على بِساطٍ أزرقِ

كأنَّ عُيونَ النَّرجسِ الغَضُّ بَيننا ... مَداهنُ دُرٌّ حَشوُهنَّ عقيقُ[(١)]

كأنَّ انتِضاءَ البَدْر من تحت غَيْمِهِ ... نَجاةٌ من البَأساءِ بعد وُقوعِ[(٢)]

له خالٌ على صَفَحاتِ خَدٍّ ... كنُقطةِ عَنْبَرٍ في صَحْن مَرْمَرْ

والعُمْر كالكأسِ تُستحلى أوائلُهُ ... لكنّه رُبّما مُجَّت أواخرُهُ[(٣)]

وحَديقةٌ غَنّاءُ يَنتظِم النَّدى ... بفُروعها كالدُّرِ في الأَسلاكِ

والبَدْرُ يُشرِقُ من خِلال غُصونِها ... مِثْلَ المَليحِ يُطِلُّ من شُبّاكِ

كأنَّما الفِضَّةُ البَيضاءُ سائلةً ... من السَّبائكِ تَجري في مَجاريها[(٤)]

الفصل الرابع أداة التَّشبيه

أدوات التَّشبيه الكاف وكأنَّ ومِثْل وما هو في مَعناها. وهي قد تُحذَف نحو «تَمرُّ مَرَّ السَّحابِ» أي كمرِّه وقد يُغني عنها فِعْلٌ يَدُلُّ على التّشبيه. فإن كان لليَقين أفاد قُرْب المُشابهة نحو «فلمّا رَأَوهُ عارِضًا مُستقبَل أودِيَتهم». وإن كان للشّكّ أفاد بُعدَها نحو «إذا

---

(١) المَداهن جمع مُدْهُن وهو آلة الدُّهْن وقارورتُه.
(٢) انتِضاء: خُروج كانسلال السيف من غمدهِ. البأساءُ: الداهية.
(٣) مُجَّت: استُكرِهَت.
(٤) هذا البيت من قَصيدة للبُحتُريّ يَصِفُ بها بِركَة يَتدفَّق الماءُ فيها.

رأيتَهم حَسِبْتهم لُؤلؤًا مَنثورًا». فإنّ الفِعل فيهما وهو رأى في الأوّل وحَسِبَ في الثاني دَلَّ على التّشبيه فأغنى عن أداتِه كما رَأيت.

الفصل الخامس التّشبيه باعتِبار طَرَفَيْه

التّشبيه باعتِبار طَرَفَيْه يَكون:

(١) تَشبيه مُفرَد بمُفرَد (أي يَكون طَرفاه مُفرَدَين) وهما إمّا:

مُطلَقان أي غير مُقيَّدَين بوَصْف أو نَحوِه كتَشبيه الوَجْه بالبَدْر. أو مُقيَّدَين كتَشبيه الغُلام الأغْيَد[١] بالظَّبي[٢] المُلتَفِت أو أوّلهما مُطلَق والثاني مُقيَّد كتَشبيه الثَّغْر[٣] باللؤلؤ المَنظوم. أو أوّلهما مُقيّد والثاني مُطلَق كتَشبيه العَين الزَّرقاء بالسِّنان[٤].

(٢) تَشبيه مُفرَد **بمُركَّب** كما في تَشبيه الشَّقيق بالأُرجوان مُنقَّطًا بالعَنْبَر.

(٣) تَشبيه مُركَّب بمُفرَد كما في تَشبيه الخال في الخَدِّ بالشَّقيق.

(٤) تَشبيه مُتعدِّد بمُتعدِّد. فإذا تَعدَّد الطَّرَفان فإمَّا:

(أ)- ان يُجمَع كُلّ فَريقٍ منهما مع مِثْلِه (أي المُشبَّه مع المُشبَّه والمُشبَّه به مع المُشبَّه به) ويُقال له التَّشبيه **المَلفوف**. كقول الشّاعر:

وَضَوْءُ الشُّهْبِ فوق اللّيلِ بادٍ كأطرافِ الأَسِنّة في الدُّروعِ

فهُنا قد جَمَع ضَوءَ الشُّهُب واللّيل وهُما المُشبَّهان في الشَّطْر الأوّل وجَمَع أطراف الأسِنّة والدُّروع وهُما المُشبَّه بهما في الشَّطْر الثاني. وإمَّا

(ب)- أن يَجمع كُلّ فريق مع صاحبِهِ (أي كُلّ مُشبَّهٍ مع ما شُبّه به) ويُقال له التشبيه المَفروق كقول الشّاعر:

بطُلولٍ[٥] كأنّهنّ نُجومٌ في عِراصٍ[٦] كأنّهنّ ليالي

(١) الأغْيَد: المائل العُنُق.
(٢) الظَّبي: الغزال.
(٣) الثَّغر: مُقدَّم الأسنان.
(٤) السِّنان: نَصْل الرُّمح.
(٥) الطّلول: رُسوم الدار.
(٦) العِراص: جمع عَرْصة وهي ساحة الدار.

فقد جَمَع هُنا الطُّلول وهي المُشبَّه مع النُّجوم وهي المُشبَّه به. وكذلك جَمَع العِراص مع اللَّيالي.

(٥) تَشبيه مُتعدِّد بمُفرَد ويُقال له تَشبيه التَّسوِيَة كقولِه:

صَدْغُ الحَبيب وحالي ... كِلاهما كاللَّيالي

(٦) تَشبيه مُفرَد بمُتعدِّد ويُقال له تَشبيه الجَمْع كقولِه:

مَرَّت بنا رَأْدَ الضُّحى[1] ... تحكي[2] الغَزالةَ[3] والغَزالا

(تنبيه: يَجِب على الطالب أن يُميِّز بين التّشبيه الذي يَكون وَجه الشَّبْه فيه مُرَكَّبًا أو مُتعدِّدًا وبين الذي يَكون فيه الطَّرفان مُرَكَّبَيْن أو مُتعدِّدَيْن).

الفصل السادس — التَّشبيه باعتِبار وَجْهِه

يَنقَسم التَّشبيه باعتبار وَجهه:

(١) إلى **تَمثيل**. وهو ما كان وَجهُهُ مُنتَزَعًا من مُتعدِّدٍ كما مَرَّ في تَشبيه الثُّرَيَّا بالعُنقود. و**غير تَمثيل** وهو ما ليس كذلك.

(٢) إلى **مُجمَل** وهو ما لم يُذكر فيه وَجه الشَّبَهِ كقولهم «النَّحْو في الكَلام كالمِلْحِ في الطعام». و**مُفصَّلٍ** وهو ما ذُكِرَ فيه الوَجه «نحو زيدٌ كالأَسَد في الشَّجاعة».

(٣) إلى **قريبٍ مُبتذَل**. وهو ما كان ظاهرَ الوَجْهِ يُنتقَل فيه من المُشبَّه إلى المُشبَّه به من غير تَدقيق نَظَرٍ. إمّا لكَوْن وَجهِه لا تَفصيل فيه كتَشبيه الخَدِّ بالوَرْد في الحُمْرَة. أو قليل التَّفصيل كتَشبيه الوَجه بالبَدْر في الإشراق والاستِدارة.

(٤) **بَعيدٍ غَريب** وهو ما لا يُنتقَل فيه إلّا بعد إمعان النَّظَر لخَفاءِ وجهِه في بادي الرأْي. وخَفاءُ وجهِه يَكون إمَّا **لكَثْرة التَّفصيل** كما في تَشبيه الشَّمس بالمرآة في كَفِّ الأشلِّ[4].

---

(١) رَأْدَ الضحى: ارتِفاع النّهار.

(٢) تحكي: تُشبِه.

(٣) الغَزالة: الشمس عند طُلوعها.

(٤) الأَشلّ من في يدِه اختِلال أو يَبَسٌ أو فَساد فيَضطَرِب ما يُمسكُهُ لأنّه لا يَقدِر على ضَبطِه (والعبارة من قَوْل أبي النَّجْم العجليّ) «والشَّمْس كالمرآة في كَفِّ الأشلّ».

فإنّ الوَجه فيه هو الهيئة الحاصلة من الاستِدارة مع الإشراق والحَرَكة السريعة المُتَّصلة مع تَموُّج الإشراق حتّى يُرى الشُّعاع كأنّه يَهُمُّ بأن يَنبسِط حتّى يَفيض من جَوانب الدائرة ثُمّ يَبدو له فيَرجع إلى الانقباض.

وإمّا لنُدور خُطور المُشَّبه به بالبال كما في قول بعضهم في هَجْو بعض الوُزراء:

من آلَة الدَّسْتِ ما عند الوَزير سِوى ... تَحريك لِحيتِهِ في حال إيماءِ

فهوَ الوَزيرُ ولا أَزْرٌ يَشدُّ به ... مِثْل العروضِ له بَحْرٌ بلا ماءِ

والمُراد بالدَّسْت في البَيْت الأوَّل المَنْصِب أي الوزارة. وقوله في البيت الثاني «ولا أَزرٌ يَشدُّ به» من قولهم شَدَدْت به أَزري أي ظَهْري. ووَجْه الشَّبَه بين الوزير المَهجوّ والعروض أنّ اسْمهُ لا يَنطبِق على حَقيقتِه. وقد يُتصرَّف في القريب ما يُخرجُه عن ابتذالِه إلى الغَرابة كقولِه:

جَمْرةُ الخَدِّ أَحْرَقَتْ عَنْبرَ الخا ... لِ فمِنْ ذلك العِذارُ دُخانُ[1]

فإنّ تَشبيه الخَدّ بالنّار والخال بالعَنْبَر مُبتَذَلٌ إلّا أنّ حديث الدُّخان أَخْرَجَهُ إلى الغَرابة.

الفصل السابع — التَّشبيه باعتِبار أداتِه

التّشبيه باعتِبار أداتِه:

(١) **مُرسَلٌ** وهو ما ذُكِرَت فيه الأداة.

(٢) **مُؤَكّد** وهو ما حُذِفَت فيه، إمّا:

١- على حُكْمِه نحو «تَمرُّ مرَّ السَّحاب» أي كمَرِّه، وإمّا:

٢- بإضافة المُشبَّه به إلى المُشبَّه كقولِه:

والرّيحُ تَعْبَثُ[2] بالغُصون وقد جَرى ... ذَهَبُ الأصيل[3] على لُجَينِ[4] الماءِ

أي أصيلٌ كالذَّهَب على ماءٍ كاللُّجَين.

---

(١) العِذار مَرفوع بالابتداء أي فالعِذار دُخانٌ من ذلك الحريق.

(٢) تَعْبَث: تَلعب.

(٣) الأصيل: الوَقْت بعد العَصْر إلى المَغْرِب.

(٤) اللجَين: الفِضّة.

الفَصْل الثامن الغَرَض المَقصود من التَّشبيه

الغَرَض المَقصود من التَّشبيه يَعود في أكثر الأمر إلى المُشبَّه وهو:

(١) إمّا **بَيان حالِه** كما في قولِه:

إذا قامت لحاجتها تَثنَّت كأنّ عِظامَها من خَيْزُران

شَبَّه عِظامها بالخَيْزُران بَيانًا لِما فيها من اللِّين

(٢) أو **بَيان إمكان حالِه** كقولِه:

وَيْلاهُ إن نَظَرتْ وإن هي أعْرَضَتْ وَقْعُ السِّهام ونَزْعُهُنَّ أليمُ

شَبَّه نَظَرها بوَقْع السِّهام وإعراضَها بنَزْعِها بَيانًا لإمكان إيلامها فيها جميعًا.

(٣) أو **بَيان مِقدار حالِه** كقولِه:

فيها اثنتان وأربعون حَلوبةً سُودًا كخافية[1] الغُرابِ الأسْحَمِ[2]

شَبَّه النِّياق السُّود بخافِيَة الغُراب بَيانًا لمِقْدار سَوادها.

(٤) أو **تَقرير حالِه** كقولِه:

إنّ القُلوب إذا تَنافَرَ وُدُّها مِثْلُ الزُّجاجَةِ كَسْرُها لا يُجبَرُ

شَبَّه تَنافُر القُلوب بكَسْر الزُّجاجة تَقريرًا لتَعذُّر عَوْدَتها إلى ما كانت عليه من الأُنس.

(٥) أو **تَزيينُه** كقولِه:

سَمْراءُ واضِحَةُ الجَبينِ كمُقْلَةِ الظَّبْيِ الغَريرِ[3]

(٦) أو **تَهجينُه** كقولِه:

وإذا أشار مُحدِّثًا فكأنّه قِرْدٌ يُقهقِه أو عَجوزٌ تَلطِمُ

وقد يُعكَس على التَّشبيه فيَعود الغَرَض منه إلى المُشبَّه به كقولِه:

وبدا الصَّباحُ كأنَّ غُرَّتَهُ وَجْهُ الخَليفة حينَ يُمتدَحُ

شَبَّه غُرَّة الصَّباح بوَجْه الخَليفة إيهامًا لكونِه أتمَّ منها في وَجْه الشَّبَه. وقد يُراد الجَمْع بين الشيئَيْن في أمرٍ يَستويان فيه فيُترَك التَّشبيه قَضاءً بالتَّساوي دون التَّرجيح كقولِه:

---

(١) خافية الغراب: ما دون الرِّيشات العَشر من مُقدَّم جَناحِه.

(٢) الأسْحم: الأسْوَد أو الشَّديد السَّواد.

(٣) الغَرير: الحَسَن الخُلق.

إنْ لُحْنَ والشُّهُبُ الثَّواقِبُ في الدُّجى ... لـم يَـدْرِ سـارٍ أَيُّـهـنَّ الأنْـجُـمُ

فإنّ هذا يَدُلُّ على استِواءِ الطَّرفَيْن في الضياءِ. ولو ذَكَر التَّشبيه لَزِم منه تَرجيح المُشبَّه به على المُشبَّه كما علمت.

واعْلَم أنّ المَقبول من التَّشبيه ما كان وافيًا بإفادة الغَرَض وخِلافُه مَردودٌ.

وأعلى مَراتب التَّشبيه في قُوَّة المُبالغة[1]:

(١) ما حُذِفَ وَجهُه وأداتُه:

(أ) مع ذِكْر المُشبَّه نحو «زيدٌ أسَدٌ» لأنّ حَذْف الوَجه يقتَضي عُمومُه بخِلاف ذِكْره فإنّه يُعيّنهُ بخُصوصِه. وحَذْفُ الأداة يقتَضي اتِّحاد الطَّرفَيْن بخِلاف ذِكْرها فإنّه يَقتضي المُغايرة بينهما.

(ب) مع حَذْف المُشبَّه كقولك «أسَدٌ» في مَقام الحديث عن زيد كما إذا قيل «فتَك زيدٌ بفلان» فيُقال «أسدٌ» أي هو أسَدٌ على سَبيل التَّشبيه.

(٢) وبعدهما في الرُّتبة ما حُذِف فيه وَجْه التَّشبيه فقط نحو «زيدٌ كالأسَد» أو أداة التَّشبيه فقط نحو «زَيدٌ أسَدٌ في الشَّجاعة» ويَكون ذلك مع ذِكْر المُشبَّه أو بدونِه.

ولا قُوّة في المُبالغة لغير هاتين المَرتبتَيْن (أي ما حُذِف وَجْهُه وأداتُه جَميعًا أو أحَدهما فقط) نحو «زيدٌ كالأسَد في الشَّجاعة» أو «كالأسَد في الشَّجاعة» عند الإخبار عنه.

تمرين

حَلِّل الأبيات الآتية تَحليلًا بَيانيًّا وبَيِّن بوَجْه الخُصوص ما فيها من التَّشبيه بأنواعِه وذلك باعتِبار (١) طَرَفيه (٢) وجهِه (٣) أداتِه (٤) الغَرَض المَقصود منه:

١- كـأنّـمـا الـمِـرِّيـخ والـمُـشـتـري ... قُـدَّامَـهُ فـي شـامِـخِ الـرِّفـعَـةْ

مُـنْـصَـرِفٌ بـالـلَّـيْـل مـن دَعْـوَةٍ ... قـد أُسـرِجـت[2] قُـدَّامَـهُ شَـمْـعـة

٢- لله طِـرْسٌ عـن سُـطـورٍ جـادهـا ... الفِكْرُ السَّليمُ بصَوْبٍ[3] مِسْكٍ أَذْفَرِ[4]

---

(١) في التَّشبيه مَعنى المُبالغة بادِّعائِه اِلتِحاق الأدنى بالأعلى.

(٢) أسْرِجت: أنيرت.

(٣) صَوْب: انصِباب كانصباب المَطَر.

(٤) مِسْك أذفر أي جَيِّد للغاية.

فكأنّما هي رَوْضةٌ أو جدولٌ أو سِمْطُ دُرٍّ أو قِلادةُ عَنْبَرِ
٣- كأنَّ قُلوبَ الطَّيْر رَطْبًا ويابسًا لدى وَكْرِها العنَّابُ والحَشَفُ[1] البالي
٤- ليلٌ وبَدْرٌ وغُصْنٌ شَعْرٌ ووَجْهٌ وقَدُّ
خَمْرٌ ودُرٌّ وَوَرْدٌ رِيقٌ وثَغْرٌ وخَدُّ
٥- كأَنَّ الدَّراري والهِلالَ ودارةً حَوَتهُ وقد زانَ الثريَّا التِئامها
حَبابٌ طفا من حَول زورقِ فِضَّةٍ بكَفِّ فتاةٍ طافَ بالرّاحِ جامُها
٦- يُريك إذا بَدا وَجْهَها حَكاهُ الشَّمْس والقَمَرُ
٧- أشْبَهَكِ المِسْكُ وأشبهتِهِ قائمةً في لَوْنِه قاعدهْ
لا شَكَّ إذ لَونُكما واحدٌ أنّكما من طينةٍ واحِدهْ[2]
٨- هَزِجًا يَحُكُّ ذِراعَهُ بذراعِهِ قَدْحَ المُكِبِّ على الزِّنادِ الأَجْذَمِ[3]
٩- آراؤُكم ووجُوهُكم وسُيوفكُمْ في الحادثاتِ إذا دَجَوْنَ[4] نُجومُ
١٠- وإنَّ صِخْرًا لَتَأتَمُّ الهداةُ به كأنّه عَلَمٌ في رأسِهِ نارُ

---

(١) الحَشَف: أردأُ التَّمْر أو اليابِس الفاسِد.
(٢) هذان البيتان وَصْف لفَتاة سَوْداءَ.
(٣) هَزِجًا: مُترنّمًا. المُكِبُّ: المُقبِل. الزِّناد: آلة لقَدْح النار. الأَجْذَم مَقطوع اليَد (نعت للمُكِبِّ).
(٤) دَجَوْنَ: أظلَمنَ.

الباب الثاني
المجاز

الفصل الأوّل تَقسيم هذا الباب وأحكامُه

يَنقسِم المَجاز الى مُفرَدٍ ومُركَّبٍ. أمّا المُرَكَّب فسيأتي الكلام عليه في مكانِه وأمّا **المُفرَد** فهو الكلمة المُستعمَلَة في غير ما وُضِعَت له في اصطلاحٍ به التخاطُبُ على وَجهٍ يَصُحُّ مع قَرينة عَدَم إرادة المَعنى الذي وُضِعَت له. يَشمُل هذا التعريف أربع نِقاط:

(١) استِعمال اللَّفظة في غير ما وُضِعت له وذلك احتِرازًا عن الحقيقة.

(٢) أن يَكون المَعنى المَوضوعة له في اصطلاحٍ به التّخاطُب. والمُراد به إدخال المَجاز المُستعمَل في ما وُضع له في اصطلاحٍ آخرَ كالصلوٰة اذا استَعْمَلها المُخاطب بعُرْف الشَّرْع في الدُّعاءِ فإنّها تكون مَجازًا فيه وإن كانت قد وُضِعت له في الاصطِلاح اللُّغَويّ.

(٣) استِعمالها على وَجْه يَصُحّ - احتِرازًا عمّا لا يَصُحّ كما إذا قلت «خُذ هذا الفَرَس» مُشيرًا إلى كتاب.

(٤) وُجود قرينة تَدُلُّ على عَدَم إرادة المَعنى المَوضوعة له اللَّفظة. احتِرازًا عن الكناية لأنّ فيها جَواز إرادتِه أيضًا كما ستَعْلَم.

فتَحرير العبارة إذًا أنّ المَجاز المُفرد هو الكَلِمة المُستعمَلة في غير المَعنى الذي وُضِعت له في الاصطلاح الذي يَقع به التّخاطُب. وهذا الاستِعمال مُقيَّدٌ بكونِه على وَجْهٍ يَصُحُّ مَصحوبًا بقَرينةٍ تَدُلّ على عدم إرادة المَعنى الذي وُضِعَت له تلك الكلمة.

ولا بُدَّ للمَجاز المُفرَد من عَلاقةٍ بين المَعنى المُستعمَل فيه والمَعنى الموضوع له لِيَصُحَّ استعماله لأنّه إن لم يَكُن بين المَعنيَيْن عَلاقة لم يَصُحّ الاستِعمال كما مَرَّ قَبْل هذا في مسأَلة الفَرَس والكِتاب. فإن كانت العَلاقة غيرَ المُشابَهة فهو مُرسَلٌ وإلّا فهو استِعارة.

الفصل الثاني أحكام المَجاز المُرسَل

قد تَكون عَلاقة المَجاز المُرسَل:

(١) من حيث **التَّضمُّن** فيُسمَّى الشيءُ:

(أ) باسْم جُزئِه نحو «ومَنْ قَتَل مُؤمنًا خطأً فتَحريرُ رَقَبَةٍ مؤمنةٍ» أي عَبْدٍ مؤمنٍ فإنّ الرَّقَبَة جُزءٌ منه. (ب)- وبالعكس أي يُسمَّى الجُزءُ باسْم الكُلّ نحو «يَجعلون أصابعهم في آذانهم» أي أناملهم وهي أطراف الأصابع فإنّها جُزءٌ منها.

(٢) وقد تَكون من حيث **الالتِزام** فيُسمَّى:

١- باسْم **فاعلِه** نحو «فَرَجَعوا إلى أنفسهم» أي إلى آرائهم فإنّ الأنفُس فاعلةٌ لها.

٢- أو **مَفعولِه** كقولهم «شَربنا الحُمَيَّا» أي الخَمْر فإنّ الحُميَّا وهي سَوْرَة الخَمْر مَفعولةٌ لها.

٣- أو باسْم **سببِه** نحو «يُرسِلُ الرِّياحَ بُشْرًا بين يدي رحمتِه» أي غيثِهِ فإنّ الرَّحمة سَبَبٌ له.

٤- أو **مُسبَّبِه** كقولهم «أمطَرتِ السَّماءُ نَباتًا» أي مَطرًا فإنّ النَّبات مُسبَّبٌ عنه.

٥- أو باسْم **محلِّهِ** نحو «فليَدْعُ نادِيَهُ» أي أهل ناديه فإنّه مَحلٌّ لهم.

٦- أو **الحالَ** فيه نحو «ونادى أصحابُ الجَنَّة أصحابَ النار» أي جَهنَّم فإنّ النار حالّةٌ فيها.

٧- أو باسْم **آلَتِه** نحو «فأْتَوا به على أَعيُنِ الناس» أي على نَظَرهم فإنّ الأعين آلةٌ له.

٨- أو باسْم **ما كان عليه** نحو «وآتوا اليَتامى أموالهم». أي الذين كانوا يَتامى لأنّهم لا يُؤْتَون أموالهم حتّى يَبلغوا ولا يُتْمَ بعد البُلوغ.

٩- أو **ما يصير إليه** نحو «إنّي أراني أعصُرُ خَمْرًا» أي عصيرًا يَصير إلى الخَمْر لأنّه حال عصرِه لا يَكون خَمْرًا.

فإنّ العَلاقة بين هذه المَذكورات الجُزئيّة والكُلّيّة والفاعِليّة والمَفعوليّة وهَلُمَّ جرًّا. والقَرينة على مَجازيَّتها ذِكْر ما يَمْنَع إرادة المَعنى المَوضوعة له كنِسْبَة التَّحرير إلى الرَّقَبَة فإنّها تَمنع إرادة العُنُق بها. وقِس على ذلك بَقيّة المُلابسات.

واعْلَم أنّه كما يُطلَق المَجاز على الكلمة باعتِبار تَحويلها عن مَعناها إلى معنًى آخر يُطلَق عليها باعتِبار تَحويلها عن إعرابها إلى إعراب آخرَ. وهذا التحويل يَكون إمّا بحذف شيءٍ من اللَّفظ نحو «واختار موسى قومَهُ سبعين رَجُلًا» أي من قومِه. وإمّا بزيادة شيءٍ فيه نحو «يَغفِر لكم من ذُنوبِكم» أي يَغفِر ذُنوبَكم فإنّ الأصل في إعرابهما

الجرُّ في الأوّل والنَّصْب في الثاني فتَغيَّر إلى عكسِه كما ترى.

الفصل الثالث أحكام الاستِعارة

لمّا كانتِ الاستِعارة مَبنيَّةً على التَّشبيه كان فيها المُستعار له عِبارةً عن المُشبَّه والمُستعار منه عِبارة عن المُشبَّه به. ويُقال لهما الطَّرَفان أيضًا. والمُستعار به عِبارة عن وَجْه الشَّبَه ويُقال له الجامِع ويُراد بالمُستعار به ما استُعير اللَّفْظ بسببِه كالشَّجاعة في استِعارة الأسَد للرَّجُل الشُّجاع.

غير أنّه لا يُذكَر فيها من ذلك إلّا المُستعار منه ويُراد به المُستعار له كقولك «رأيتُ أسَدًا يَرمي النِّبال» تُريد به رَجُلًا شُجاعًا. فإنّ المُستعار له وهو الرَّجُل مَتروكٌ والمُستعار منه وهو الأسَد مَذكورٌ. وهو مَجازٌ لاستعمالِه في غير ما وُضِع له. والقَرينة عليه الرَّمي لأنّه لا يُتصوَّر من الأسَد الحقيقيّ. وعَلاقتُه المُشابَهة في الشَّجاعة (فقولنا «يَرمي» دليل على أنّ المُراد بالأسَد غير ما وُضِع له بِخلاف ما إذا قيل «رأيتُ أسَدًا يَمشي»).

واعْلَم أنّ الاستِعارة (أي اللَّفْظ المُستعار) لا تكون عَلَمًا لأنّها تَقضي إدخال المُشبَّه في جِنْس المُشبَّه به لأنّك إذا قُلتَ «رأيتُ أسَدًا» تُريد به رَجُلًا شُجاعًا فقد ادَّعيتَ أنّ هذا الرَّجُل هو من جِنْس الأسَد لا شبيهٌ به فقط. والعَلَم لا يَحتمِل ذلك لأنّه ينافي الجِنسيّة بما فيه التَّشخُّص

فإن تَضمَّن العَلَم وَصفيَّةً قد اشتَهَر بها كحاتم المُشتهِر بالكرَم جازت استعارتُه على تأويلِه بالكَريم. أي على جَعْل حاتم كأنّه مَوضوع للرَّجُل الكريم فيَستفيد الجِنسيَّة من الصِّفة إذ يَتناول جِنْس الكِرام كـ «رأيتُ اليومَ حاتمًا». أي رأيتُ اليوم رَجُلًا كَريمًا (وأُريد بذِكْر اليوم نَصْب القَرينة على المَجاز إذ حاتم الحقيقيُّ لا يُمكِن أن يُرى في يومنا هذا).

الفصل الرابع أحكام الطّرفَيْن والجامع

(١) قد يَكون كُلٌّ من **الطَّرَفَيْن والجامع حِسِّيًّا** نحو «يَومَ تأْتي السَّماءُ بدُخانٍ». فإنّ المُستعار منه قَتام النّار والمُستعار له السَّحاب. والجامع الهيئة المَنظورة من السَّواد والتَّلبُّد. وكُلّ ذلك حِسِّيٌّ.

(٢) وقد يَكون كُلّ من الثّلاثة **عَقْليًّا** نحو «إنَّ من البَيان لَسِحْرًا» فإنّ المُستعار منه العِرافة.

والمُستعار له البَلاغة. والجامع الإغراب أي الاتيان بالأُمور الغريبة. وكُلّ ذلك عَقْليٌّ.

(٣) وقد يَختلِف الطَّرَفان فيَكون **المُستعار منه حِسِّيًّا والمُستعار له عَقليًّا** نحو «فهو على نُور من رَبِّه». فإنّ المستعار منه الضياءُ وهو حسِّيّ. والمُستعار له الهُدى وهو عَقْليٌّ.

(٤) وقد يَختلِف الطَّرَفان بالعَكْس أي يَكون **المُستعار منه عَقليًّا والمُستعار له حِسِّيًّا** نحو «إنّا لمّا طَغَى الماءُ حَمَلْناكم في الجارية[1]».

أي لمّا ارتَفع. فإنّ المُستعار منه التكَبُّر وهو عَقْليٌّ والمُستعار له كَثْرة الماء وهو حِسِّيٌّ.

(٥) وقد يَختلِف الجامع فيَكون **بعضُه حِسِّيًّا وبعضُه عَقْليًّا** نحو «ولا تُكرِهوا فَتيَاتِكم على البَغاءِ[2] إن أردْن تَحصُّنًا» أي تعفُّفًا.

فإنّ المُستعار هنا التَّحصُّن والمُستعار له التَّعفُّف والجامع بينهما:

١- اعتِراض الحِجاب وهو حِسِّيٌّ و٢- مَنْع الطّالب وهو عَقْليٌّ.

(٦) وقد يَختلِف الطَّرَفان والجامع **فيَكونان حِسِّيَّيْن** وهو **عَقْليٌّ** نحو «كَتَب في قُلوبكم الإيمان» أي رَسَمه. فإنّ طَرَفَيْه الكِتابة والرَّسْم وهُما حِسِّيّان. وجامعُه التَّقرير وهو عَقْليٌّ.

(٧) وقد عَلِمَت أنّ الجامع عِبارةٌ عن وَجْه الشَّبه فلا بُدَّ من كونِه **أقوى في المُستعار منه** كالشَّجاعة في استِعارة الأسَد للرَّجُل.

(٨) وهو أيضًا إمّا **داخلٌ في مَفهومِ الطَّرفَيْن** نحو «ومَزَّقناهم كُلَّ مُمزَّقٍ» أي شَتَّتناهم. فإنّ الجامع فيه تَفريق الإتِّصال وهو داخلٌ في مَفهومهما. وإمّا **خارجٌ عنه** نحو «خَتَمَ الله على قُلوبهم» أي أغْلَقها. فإنّ الجامع فيه مَنْع الدُّخول وهو من عَوارض الطَّرفَيْن (أي الخَتْم والإغلاق) لا داخِل في مَفهومهما.

تمرين

بَيِّن ما في الأمثِلة الآتية من مَجاز مُرسَل أو استِعارة وبَيِّن العَلاقة بين مَعنى الألفاظ الأصليّ ومَعناها المَجازِيّ. وفَصِّل ما يَتعلَّق بالاستِعارة مِمّا تَقدَّم بيانُه في الفُصول السّابقة.

---

(١) المُراد بالجارية هُنا السَّفينة.

(٢) البَغاءُ: الفجور.

إنّ هذا الحادث أقام المَدينة وأقعدها.

وشَكَكْتُ بالرُّمْح الأصَمّ ثِيابهُ[١] ليس الكَريم على القَنا بمُحَرَّم

إذا نَزَل السَّماءُ بأرضِ قوم رَعَيناهُ وإن كانوا غِضابا

لا تُكثِرَنَّ تأمُّلاً واحبِس عليك عِنانَ طَرْفِك

واستَمْطَرَت لؤلوءًا من نَرْجِسٍ وَسَقَتْ وَرْدًا وعَضَّت على العُنَّابِ بالبَرَدِ

بأبي الشُّموسُ الجانحاتُ غَواربا اللّابساتُ من الحَرير جلاببا

في الخَدِّ إنْ عَزَم الخَليطُ رحيلا مَطَرٌ تَزيدُ به الخُدودُ مُحولا

فليتَ طالعةَ الشَّمْسَينِ غائبةٌ وليتَ غائبةَ الشَّمْسَيْن لم تَغِبِ

الفصل الخامس الاستِعارة باعتِبار الطّرَفَيْن

(١) إن كان المُستعار له مُتحقِّقًا **حِسًّا** كالرَّجُل إذا استُعير له الأسَد. أو **عَقْلًا** كالهُدى إذا استُعير له النُّور فالاستِعارة تَحقيقيَّة.

(٢) وإن لم يَكُن المُستعار له مُتحقِّقًا فهي تَخيُّليّة (وسيأُتي بَيانها).

(٣) وإن كان اجتِماع الطّرَفَيْن مَعًا في شيءٍ مُمكِنًا كاجتِماع النُّور والهُدى فالاستِعارة **وِفاقيّةٌ**.

(٤) وإن لم يَكُنِ اجتِماعهما مُمكِنًا فهي **عِناديَّةٌ** كاجتِماع الأسَد والرَّجُل.

(٥) ومن العِناديَّة ما استُعمِل في ضِدِّهِ نحو «وَبشِّر الذين كَفَروا بعَذاب أليم». أي أنذِرْهم ويُقال لها **الاستِعارة التَّهكُّمِيَّة**.

الفصل السادس الاستِعارة باعتِبار الجامع

الاستِعارة باعتبار الجامع إمّا:

(١) **مُبتذَلَة** وهي ما كان الجامع فيها ظاهرًا نحو «رأيتُ أسدًا يَرمي». ويُقال لها **العامِّيَّة**.

(٢) وإمّا **غَريبةٌ** ويُقال لها **الخاصّيَّة** وهي ما كان الجامع فيها غامضًا كقولهم «فلانٌ غَمْرُ

---

(١) يُراد بها قلبهُ.

الرِّداءِ[١]» أي كَثير المَعروف. استعاروا الرِّداء للمَعروف لأنّه يَصون عِرْض صاحِبِه، كما يَصون الرِّداءُ لابِسَهُ. ولذلك أضافوا إليه الغَمْر وهو مِمّا لا يَصلُح أن يُوصَف به الرِّداءُ بل هو وَصْف للمَعروف المُستعار له لفظ الرِّداءِ وهذا الوصف هو القَرينة على عَدَم إرادة مَعنى الثَّوْب.

(٣) وقد يُتصرَّف في المُبتذَلة بما يُخرجها إلى الغَرابة كقول كُثيِّر عِزّة:

ولمّا قَضينا من مِنى[٢] كُلَّ حاجةٍ ... ومَسَّحَ بالأركانِ[٣] مَنْ هو ماسحُ
وشُدَّت على حُدْبِ[٤] المَهارى[٥] رِحالنا ... ولم يَنظُرِ الغادي الذي هو رائحُ
أخَذْنا بأطراف الأحاديث بيننا ... وسالت بإعناق المَطيِّ الأباطِحُ[٦]

ففي البيت الأخير استِعارة سَيَلان الأمطار في الأباطح لسَيْر المَطِيّ سَيْرًا حَثيثًا مع اللِّين والسَّلاسة.

وهي استِعارة مُبتذلَة لظُهور الجامع فيها. إلّا أنّه أسنَد الفِعْل إلى الأباطح دون أعناقِ المَطِيّ أي قال سالَتِ الأباطحُ ولم يَقُل سالتْ أعناقُ المطيّ ليُفيدَ أنّ الأباطح قد امتَلأَتْ مِنَ الإبْل كما تَمتلئُ من الماءِ حتّى سالت بها كما تَسيل به. فأفاد الاستِعارة غَرابةً.

الفصل السابع الاستِعارة باعتِبار اللَّفظ المُستعار

الاستعارة إمّا أصلِيّة أو تَبَعيّة.

(١) فالاستِعارة **الأصليّة** هي ما كان فيها اللفظ المُستعار اسْم جِنسٍ:
١- **حَقيقةً** لذاتٍ كالأسَد إذا استُعير للرَّجل الشُّجاع. أو لمعنًى كالقَتل إذا استُعير للضَّرْب الشديد. ٢- أو **تأويلًا** كحاتِم إذا أستُعير للرجل الكريم.

(٢) والاستِعارة **التَّبعيّة** هي ما كان اللَّفظ المُستعار فيها غير ذلك أي كان فِعلًا أو اسْمًا مُشتقًّا من الفِعل (كاسْم الفاعل ونحوِه) أو حرفًا:

---

(١) غمر: كثير. الرداءُ: الثوب.
(٢) مِنى: مَوضِع بمكّة.
(٣) الأركان: يُراد بها أركان الكَعْبة.
(٤) حُدب: جمع حَدباء وهي التي بَدَت حَراقِفها.
(٥) المَهارى جمع مَهرِيّة وهي الإبْل التي تَسبقُ الخَيل.
(٦) المَطيّ: جمع مَطيّة عنى بها الإبل. والأباطح: جمع أبطَح وهو مَسيل واسِع فيه حَصًى دَقيقة.

١- فإن كان فِعلًا أو ما يُشتقُّ منه قُدِّر التَّشبيه لمَعنى المَصدر فيُستَعار أوَّلًا ثمّ يُستعار الفِعل أو ما يُشتقُّ منه تِبعًا لاستعارتِه. كما إذا قيل «رَقَد فلانٌ» بمعنى أنّه مات. فيُقدَّر تَشبيه الموت بالرُّقاد أوَّلًا. ثُمّ يُستعار رَقَدَ لمات تِبعًا لاستِعارة الرُّقاد للموت. فتكون استِعارة المَصدر أصليّة واستِعارة الفعل وما يُشتقُّ منه تَبعيّة لها. وكذلك قولهم «نَطَقتِ الحالُ بكذا» أي دَلّت عليه فإنّ التَّشبيه هُنا يُقدَّر لا للفِعل «دَلَّت» بالفِعل «نطقت» بل للدَّلالة (مصدر الفِعل الأوّل) بالنُّطق (مَصدر الفِعل الثاني). فالدَّلالة هي المُشبَّه. والنُّطق مُشبَّه به. وإيضاح المَعنى وجه الشَّبَه. ثُمّ يَستتبع الفعل بالمصدر. وكذلك يُستتبَع به اسْم الفاعل ونحوُه. نحو «الحالُ ناطقة».

٢- إن كان اللَّفظ المُستعار حَرفًا قُدِّر التَّشبيه لمُتعلَّق مَعناه. وهو ما يُعبَّر به عند تَفسير معناه كالظَّرفيَّة والمُجاوَزة والانتِهاءِ ونحوهما على حُكْم ما قرَّرناه في الفِعل (أي يُستعار مُتعلَّق مَعنى الحرف أوَّلًا. ثُمّ يُستعار الحَرف تِبعًا له كما مَرَّ في استِعارة الفعل) نحو «فالتَقَطَه آل فرعون ليكونَ لهم عدوًّا». ووجه الاستِعارة أنّ آل فرعون التَقطوا موسى ليَكون لهم ابنًا فإذا هو قد صار لهم عدوًّا. ولمّا كانت العَداوة نتيجة الالتِقاط شُبِّهت بالبُنوَّة التي كان الالتقاط لأجلها (أي كانت عِلّته الغائيّة) بجامع أنّ كُلّ واحدةٍ منهما مُترتِّبةٌ على الالتِقاط فاستُعيرَت هذه الغاية لتلك العاقبة. ثُمّ استُعيرَت اللام تِبعًا لها. فالعِلَّة الغائبة وهي كونُه ابنًا لهم هي المُشبَّه به. والعاقبة وهي كونُه لهم عدوًّا هي المُشبَّه. ووَجْه الشَّبَه ينهما هو التَّرتُّب على الالتِقاط. أمّا القرينة على المَجاز فهي استِحالة الالتِقاط لأجل العَداوة.

الفصل الثامن الاستِعارة باعتِبار ما يَتّصل بها

الاستعارة إمّا:

(١) أن لا تَقترِن بشيءٍ مِمّا يُناسب طرفيها ويُقال لها **المُطلَقة** نحو «والسماءِ وما بَناها». استعار البِناءَ للإقامة ولم يَذكُر شيئًا مِمّا يُناسب أحدهما.

(٢) وإمّا أن تَقترن بما يُناسب المُستعار له. ويُقال لها **المجُرَّدة** نحو «رأيت أسدًا يَرمي» وهو ظاهرٌ.

(٣) أو بما يُناسب المُستعار منه ويُقال لها **المُرشَّحة** نحو «واعتصِموا[١] بحَبْل الله».

استَعار الحَبْل للعَهْد فذَكَر ما يُناسِب المُستعار منه وهو الاعتِصام وقد يَجتمع التَّجريد والتَّشريح كما في قولِه:

لدى أسَدٍ شاكٍ[٢] السِّلاح مُقذَّفٍ[٣] لهُ لَبَدٌ[٤] أظفارُه لم تُقلَّمِ[٥]

استَعار الأسد للرَّجل فذَكَر ما يُناسب المُستعار له في صدر البيت (وهو وَصْفه بأنّه شاكّ السلاح ومُقذَّف) وهذا تَجريد الاستِعارة وذَكَر ما يُناسب المُستعار منه في عَجز البيت (أي وَصَفه بأنّ له لَبَدًا وأنّ أظفارَهُ لم تُقلَّم). وهذا تَرشيح الاستِعارة.

واعلَمْ أنّ الإطلاق أبلغ من التَّجريد لأنّه في الإطلاق يُترَك ما يُناسب الطَّرفَيْن بِناءً على دَعوى التساوي بينهما دون التجريد الذي يُذكَر فيه ما يُناسب المُستعار له بناء على تَشبيهِه بالمُستعار منه فيَكون مُنحطًّا عنه في الرُّتبة. والتَّرشيح أبلغ من كليهما لذِكْر ما يُناسب المُستعار منه. فيه بِناءً على تَناسي التَّشبيه والدَّعوى بأَنَّ المُستعار له هو عين المُستعار منه.

الفصل التاسع الاستِعارة باعتبار ما يُذكَر من الطّرفَيْن

تُقسَم الاستِعارة باعتبار ما يُذكَر من طَرفَيْها إلى ثلاثة أنواع: استِعارة مُصرَّحة واستِعارة بالكِناية واستِعارة تَخيليّة.

(١) **الاستِعارة المُصرَّحة** يُذكَر فيها المُشبَّه به (المُستعار منه) ويُترَك المُشبَّه (أو المُستعار له).

(٢و٣) قد يَختلِف حُكْم الاستعارة فيُذكَر المُشبَّه ويُترَك المُشبَّه به غير أنّه يُكنّى عنه بإثبات شيءٍ من لوازمِه للمُشبَّه دَلالةً على التَّشبيه الذي أضمرَهُ المُتكلِّم في نَفْسِه فبنى الاستِعارة عليه نحو «الذين يَنقُضون عَهْد الله من بَعْد ميثاقِه». شبَّه العَهْد في نَفْسِه بالحَبْل في كونِه وَسيلةً لرَبْط شيءٍ بآخَر فكنّى عنه بأَن أثبَت له النَّقض الذي هو من

(١) اعتصموا: تمسَّكوا.
(٢) شاكّ السلاح: حادُّهُ.
(٣) المُقذَّف: من رُمي به في الوقائع والغارات.
(٤) اللبد: شعر الأسد المتراكب بين كتفيه.
(٥) لم تُقلَّم: لم تقطع.

لوازمِه. ويُسمَّى هذا التَّشبيه المُضمَر في النَّفْس استعارة بالكِناية. وإثبات لازم المُشبَّه به كذِكْر النَّقْض هُنا يُسمَّى **استعارةً تخيليَّة.**

وقد يجتَمع كُلّ ذلك نحو «فأَذاقها الله لِباسَ الجُوع والخَوْف». استَعار اللِّباس لِما غَشِيها بسبب الجُوع والخَوف تَشبيهًا له به في اشتمالِه فهي الاستِعارة المُصرَّحة. وَشبَّه ذلك اللِّباس في نَفْسِه بالطَّعام الخَبيث في كَراهتِه. فهي الاستِعارة بالكِناية. وأثبت له الإذاقة التي هي من لوازم الطعام. فهي الاستعارة التّخيليَّة.

[**حاشية.** اعْلَم أنّ بعض أمثِلة الاستعارة التبعيّة يُمكنِ اعتبارها استعارة بالكناية. ففي قولنا «نَطقتِ الحالُ بكذا» (انظر الفصل الثامن) استَعَرْنا النُّطْق للدَّلالة واعتبَرْنا الفِعل «نَطَقت» مُستعارًا استعارة تَبعيَّة. إلّا أنّه يُمكننا أيضًا اعتبار هذه الاستعارة استعارة بالكناية إذا شبَّهنا الحال بالشَّخص العاقل المُتكلِّم وأثبَتْنا لها النُّطْق الذي هو من لَوازمِه.]

الفصل العاشر المَجاز المُرَكَّب

المَجاز المُرَكَّب هو اللَّفظ المُستعمَل في ما يُشبَّه بمعناهُ الأصليّ تَشبيه التمثيل كما يُقال للمُتردِّد في أمرٍ «إنّي أراك تُقدِّم رِجْلًا وتُؤَخِّر أُخرى». تُشبَّه صورة تَردُّدِه في ذلك الأمر بصُورة تَردُّد مَنْ شَكَّ في إقبالِه وإدبارِه. فيُستعمَل في تَردُّد الفِكْر ما يُستعمَل في تَردُّد الرِّجل. وهذا المَجاز يُقال له التمثيل على سبيل الاستعارة لانتزاع وَجهِه من مُتعدِّد كما في تَشبيه التمثيل وذِكْر المُشبَّه به وإرادة المُشبَّه كما في الاستِعارة.

واعْلَم أنّ هذا المجاز متى شاع استعمالهُ على سبيل الاستعارة سُمِّي مَثَلًا. وهو يُستعمَل بلفظٍ واحدٍ.

مُطلقًا مع المُذكَّر والمُؤَنَّث مُفردًا ومثنًّى ومَجموعًا فلا يُغيَّر عن مَوردِه الأوَّل أو وَضعِه الأصليّ.

وإن لم يُطابِق المَضروب له (وذلك كما يُعلِّلُه البَيانيّون لأنّه إنّما استُعمِل على سبيل الاستِعارة. والاستعارة يجب أن تَكون بلفظ المُشبَّه به مُستعارًا للمُشبَّه. فلو تَطرَّق إليه التَّغيير لم يَكُن هو لفظ المُشبَّه به بعينِه فلم يَكُن استعارةً ومن ثَمّ لا يكون مَثَلًا). كما يُقال للرَّجُل الذي قَطَع أسباب الإحسان ثُمّ عاد يطلبُه «في الصَّيفِ ضَيَّعتِ اللَّبَن» بكسر تاءِ الخِطاب لأنّه في أصلِه قيل لامرأةٍ. (هي دَختَنوس بنت لقيط بن زُرارة الدارميّ كانت

زوجةً لعمرٍو بن عدس التّميميّ وكان قد شاخ فضاجرتهُ فَطلَّقها وتزوَّجت بفتًى جَميل الوَجْه. ثُمَّ أجدَبَتِ البلاد فبَعَثَتْ إلى عَمرو تَطلُب منه حَلُوبةً تَقتاتُ بلَبَنها. فأرسل إليها يَقول«في الصَّيف ضَيَّعتِ اللَّبَن». وذلك لأنّ سُؤَالها للطَّلاق كان في أيّام الصَّيف. فذَهَب قَولُه مَثَلًا.)

الفصل الحادي عشر شَرائط حُسْن الاستعارة والتَّمثيل

شَرْط حُسْن الاستعارة التّحقيقيَّة والتَّمثيل على سَبيل الاستعارة:

(١) أن تُراعى فيهما جهات حُسْن التَّشبيه كشُمول وجه الشَّبَه للطَّرفين وكَوْن التَّشبيه وافيًا بإفادة الغَرَض ونحو ذلك.

(٢) أن لا تُشَمّ فيهما رائحة التَّشبيه لفظًا[١] لأنّ الاستِعارة تُؤْذِن بادِّعاء كَوْن المُشبَّه من جِنْس المُشبَّه به فهما في طبقةٍ واحدة. والتَّشبيه يُؤْذِن بمُشاركتِه له في ما هو دونه فيه فالمُشبَّه به أعلى. وحيث إنّه اشتُرِط أن لا تُشَمَّ رائحة التَّشبيه يجب أن يَكون وَجْه الشَّبَه الذي تُبنى عليه الاستِعارة واضحًا بنفسِه أو بواسطة عُرْف أو اصطلاحٍ خاصّ. وإلَّا فقد صارت الاستعارة لُغزًا كما إذا قيل «رأيت أسَدًا» وأريد به رَجلٌ بَخْرُ أي خَبيث رائحة الفَمّ كالأسَد.

وشَرْط حُسْن الاستعارة بالكناية شرط حَسْن التّحقيقيَّة إذ الأصل فيهما واحدٌ لأنّ استعارة الحَبْل للعَهْد (في المِثال المذكور في الفصل التاسع) استعارة تَحقيقيّة في الأصل. ولكن تُرِك المُشبَّه به وذُكِر المُشبَّه. وأمّا التخيليّة فحُسْنها بحَسَب حُسْن المكنيِّ عنها لأنّها لا تكون إلَّا تابعةً لها كما عَلِمت.

واعْلَم أنّ التَّشبيه أعمّ من الاستعارة لأنّ كُلّ ما يَصلُح لها يَصلُح له من غير عَكْس أي ليس كُلّ ما يَصلُح للتّشبيه يَصلُح للاستعارة لأنّ وجه الشَّبَه قد يَكون خَفيًّا فتكون الاستِعارة معه إلغازًا كما مرَّ إلَّا أنّه إذا قَوِي الشَّبَه بين الطَّرفَيْن حتّى جَعَلهما كالواحِد فإنّه لا يُحسِن التَّشبيه بينهما لِئلَّا يَكون كتشبيه الشيءِ بنَفْسِه وتَتعيَّن الاستِعارة لاقتضائها اتِّحادهما في الحَقيقة نحو «العلم كالنّور» فإذا فَهِمْتَ مَسأَلةً تَقول «حصل في قلبي نور» ولا تقول «عِلْم كالنور» وقِسْ عليه.

(١) كما إذا قيل «رأيتُ أسدًا في الشّجاعة». فإنّ ذِكْر وَجْه الشَّبَه يُشعِر بالتَّشبيه فيُفسِد الاستعارة.

تمرين

أمثلة يُطلَب تحليلها وتَبيان أنواع الاستِعارة فيها:

لِدوا للمَوْتِ وابنوا للخَرابِ ... فكُلُّكُمُ يَصيرُ إلى تَبابِ
مَنْ للمحافِل والجَحافل والسُّرى ... فَقَدَتْ بفَقْدِكَ نَيِّرًا لا يَطلُعُ
والطَّلُّ في سِلْكِ الغُصون كلُؤْلوءٍ ... رَطْبٍ يُصافِحُه النَّسيم فيَسقُطُ
والطَّيرُ تَقرأُ والغَدير صَحيفةٌ ... والرِّيحُ تَكتُبُ والغَمام يَنقُط
ولَئِن نَطقتُ بشُكْرِ بِرِّكَ مُفْصِحًا ... فلِسان حالي بالشِّكاية أنْطَقُ
ولَرُبَّما طَعَنَ الفَتى أقرانَهُ ... بالرَّأي قبل تَطاعُنِ الأقرانِ
ونَرتَبِط السَّوابقَ مُقرَباتٍ ... وما ينَجينَ من خَبَبِ الليالي
رَماني الدَّهرُ بالأرزاءِ حتّى ... فؤادي في غِشاءٍ من نِبالِ
فصِرْتُ إذا أصابتني سِهامٌ ... تَكسَّرَتِ النِّصالُ على النِّصالِ
أيْنَ المعيزُ من الآرام ناظرةً ... وغير ناظرةٍ في الحُسْن والطِّيبِ[1]
وإذا المَنيّةُ أنشَبَتْ أظفارها ... ألفَيْتَ كُلَّ تَميمةٍ[2] لا تَنفَعُ
على سابحٍ مَوْجَ المَنايا بنَحْرِهِ ... غَداة كأنَّ النَّبْلَ في صَدْرِه وَبْلُ

---

(١) هذا البيت للمُتنبّي من أبيات يُفضِّل بها النساء البَدويّات على الحَضَريّات.

(٢) التّمائِم: خرَزَات كان الأعراب يُعلِّقونها على أولادهم يتّقون بها العَين بزَعمِهم.

الباب الثالث

الكِناية

الفصل الأوّل حَقيقة الكِناية

الكِناية لَفظٌ أُريد به لازِم معناه مع جَواز إرادتِه معه كقولهم «فُلانٌ طويل النِّجاد[1]». فإنّ المُراد به لازم معناه وهو كونُه طويل القامة لأنّ طول حَمائل السيف يَستلزِم طُول حامِلِه. ويَجوز أيضًا أن يُراد كونُه طَويل النِّجاد على حَقيقة معناه. وهذا بِخلاف ما في المَجاز فإنّه يُمتنَع فيه إرادة المَعنى الحقيقيّ. ولذلك يَجب في المجاز نَصْب قَرينة على عَدَم إرادة المَعنى الحقيقيّ ويُمتنَع نَصبها هُنا. والمَطلوب بالكِناية قد يَكون موصوفًا وقد يَكون صِفةً وقد يَكون نِسبةً. وفي ذلك تَفصيلٌ ستَقِف عليه.

الفصل الثاني أقسام الكِناية

الكِناية المَطلوب بها صِفةٌ:

(١) إمّا قَريبةٌ وهي ما يُنتقَل فيها إلى المَطلوب بغير واسطةٍ كطَويل النِّجاد.

(٢) وإمّا بَعيدةٌ وهي ما يُنتقَل فيها إليه بواسطةٍ ككثير الرَّماد كِنايةً عن المِضياف فإنّه يُنتقَل فيه من كثرة الرَّماد إلى كَثرة النار ومنها إلى كَثرة الطَّبائخ. ومنها إلى كَثرة الأَضياف. ومنها إلى المَطلوب وهو المِضياف.

الكِناية المَطلوب بها مَوصوفٌ:

(١) إمّا مَعنًى واحدٌ نحو «قال أبنَ أُمَّ إنّ القومَ استَضعفوني» أي يا ابْنَ أُمّي كِناية عن أخيه. والكِناية هُنا تتَضمَّن مَعنًى واحدًا كونه ابنَ أمِّهِ.

(٢) وإمّا مَجموع مَعانٍ كقولك «حَيٌّ مستوي القامة عَريض الأظفار» كِناية عن الإنسان

---

(١) النِّجاد حَمائل السيّف.

فالكِنايَة هُنا تَشمُل ثَلاثة مَعانٍ. ويُشترَط في الكِناية عن المَوصوف أن تَكون الصِّفات مُختصّةً بالمَوصوف لِئلّا يُشكِل الانتِقال منها إليه.

الكِناية المَطلوبِ بها نِسبةٌ قد يَكون ذو النِّسبة:

(١) مَذكورًا فيها نحو «وابيضَّت عَيناهُ من الحُزْن» أي يَعقوب المَذكور آنفًا. فابيِضاض عينيه كِنايةٌ عن إثبات العَمى له.

(٢) وقد يَكون غَير مَذكور كقولك في مَن لا يَهتَمُّ بغيرِه «خَيرُ الناس مَن نَفَعَ النّاس» كِناية عن نَفي الخَيريَّة عَمَّن لا يَنفعهم وهو غَير مَذكورٍ في العِبارة.

واعْلَم أنّ المَجاز أبلغ من الحَقيقة والكِناية أبلغ من التَّصريح لأنّ الانتِقال فيهما يَكون من المَلزوم إلى اللازم فهو كالدَّعوى ببيِّنة. كما إذا قيل «أمطرتِ السَّماءُ نَباتًا» فإنّ استِعمال المَجاز هُنا أبلغ من استِعمال الحَقيقة فيما لو قُلنا «أمطَرتِ السَّماءُ غَيثًا يَصدُر عنه النَّبات». وكذلك إذا قُلنا «زيدٌ طَويل النِّجاد» فهي أبلغ من قولنا «إنّه طَويل القامة بدَليل كونِه طَويل النِّجاد».

والاستِعارة أبلغ من التَّشبيه لأنّها نَوع من المَجاز والتَّشبيه نَوْعٌ من الحَقيقة.

تمرين

بَيِّن ما في الأمثِلة الآتية من الكِنايات وأنواعها والمَعاني المَطلوبة بها:

رَفيعِ العِمادِ طَويلِ النِّجا ... دِ سادَ عَشيرتَهُ أَمرَدا

أقيموا بَني أُمّي صُدورَ مَطيِّكُم ... فإنّي إلى قَومٍ سِواكُم لأَمْيَلُ

بِيضُ المَطابخِ لا تَشكو إماؤُهُمُ ... طَبْخَ القُدُورِ ولا غَسْلَ المَناديلِ

ثِيابُ بَني عَوْفٍ طَهارى نَقيَّةٌ ... وأَوجُهُهم عند المَشاهد غَرّاتُ

رأيتُ ابنَ أُمِّ المَوتِ لو أنّ بأسَهُ ... فَشا بين أهلِ الأرضِ لانقطَعَ النَّسْلُ

وما يَكُ فيَّ من عَيبٍ فإنّي ... جَبانُ الكَلْبِ مَهزولُ الفَصيلِ[١]

طَلْقُ اليَدينِ بفِعْلِ الخَيرِ مُعتَمَدٌ ... ضَخمُ الدَّسيعةِ[٢] بالخَيراتِ أَمّارُ

وتُضحي فَتيتُ المِسْكِ فوقَ فِراشها ... نَؤُوم الضُّحى لم تَنتَطِقْ[٣] عن تَفَضُّلِ[٤]

إنَّ المُروءَةَ والسَّماحَة والنَّدَى ... في قُبَّةٍ ضُرِبَتْ على ابْنِ الحَشْرَجِ

---

(١) وَلَد النّاقة إذا فُصِل عن أُمِّهِ.

(٢) القَصْعَة الكبيرة.

(٣) تَلْبَس المِنْطَق أو النِّطاق.

(٤) تَفضُّل: لُبْس الثَّوْب الواحد (وعن هُنا بمعنى بَعْد) والمُراد هُنا إنّها لم تكتسِ بَعد عُرْي.

عِلْمُ البَدِيع

حقيقة هذا الفَن

البَديع عِلمٌ تُعرَف به وجوهُ تَحسين الكَلام. وهو قِسمان أحدهما **مَعنويٌّ** والتَّحسين فيه راجع إلى المَعنى والآخَر **لَفظيٌّ** والتَّحسين فيه راجِع إلى اللَّفظ.

واعْلَم أنّ هذا التَّحسين إنّما يَتِمُّ بَعْد رِعاية المُطابَقة المُعتبرَة في عِلْم المَعاني. ورِعاية وُضوح الدَّلالة المُعتَبرة في عِلْم البَيان وإلَّا فهو مِمّا لا يُلتَفَتُ إليه. وقد ذَكَر المُصنِّفون أنواعًا عَديدة من البَديع المَعنويّ واللَّفظيّ أبلغها بعضهم إلى ما يَقرُب من مِئتي نَوْع وسيأْتي الكَلام على أهمّ أنواع كُلٍّ منهما في بابه.

الباب الأول

البَديع المَعنويّ

وفيه بَيان أفضل المُحسِّنات المَعنويّة.

الفصل الأوّل

الطِّباق

من البَديع المَعنويّ **الطِّباق**. وهو أن يُجمَع بين مُتضادَّين في الجُملة. وهما قد يَكونان:

(١) **اسمَيْن** نحو «هو الأوَّل والآخِر».

(٢) أو **فِعْلَيْن** نحو «أَضحَكَ وأبكى».

(٣) أو **حَرفَيْن** نحو «ولهنَّ مِثْلُ الذي عليهنَّ بالمَعروف».

(٤) أو **مُخالفَيْن** نحو «ومَن يُضلِلِ الله فما له من هادٍ». والطِّباق ضَربان أحدهما **طِباق الإيجاب** وهو كما ذكرناه. والآخر طِباق **السَّلْب** وهو أن يُجمَع بين فِعلَيْن من مَصْدَرٍ واحدٍ أحدهما مُثبتٌ والآخَر مَنفيٌّ نحو «يَسْتَخْفُونَ من النّاس ولا يَستخفونَ من الله». أو أحدهما أمرٌ والآخَر نَهيٌ نحو «اتَّبعوا ما أُنزِل إليكم من ربِّكم ولا تتَّبعوا من دونِه أولياءَ».

إيهام التَّضادّ:

ويُلحَق بالطِّباق ما بُنيَ على المُضادَّة تأْويلًا **في المَعنى** نحو «يَغفِرُ لمن يَشاءُ ويُعذِّب مَن يَشاءُ». فإنّ التعذيب لا يُقابِل المَغفِرة صريحًا لكن على تأْويل كونه صادرًا عن المُؤَاخَذة التي هي ضِدُّ المَغفِرة. أو **تَخييلًا في اللَّفظ** باعتِبار أصل معناه نحو «مَنْ وَلَّاهُ فإنّه يُضِلُّهُ ويَهدِيه إلى عَذاب السَّعير». أي يَقودُه فلا يُقابِل الضَّلالة بهذا الاعتِبار ولكن لفظهُ يُقابلها في أصل مَعناه وهذا يُقال له إيهام التَّضادّ.

المُقابلة:

ومِنَ الطِّباق ما يُقال له المُقابَلة. وهو أن يؤتى بمُتعدِّدٍ من المُتوافِقات ثُمّ يُؤتى بما يُقابلُه على الترتيب. وذلك قد يَكون في اثنين نحو «فليَضحَكوا قَليلًا وليَبكوا كثيرًا». وقد يَكون في أكثر نحو «يُحِلُّ لهم الطيِّباتِ ويُحرِّم عليهم الخَبائث».

الفصل الثاني مُراعاة النَّظير

مُراعاة النَّظير هي أن يُجمَع بين أمرٍ وما يُناسِبُه على غَير تَضادٍّ. وذلك إمّا بين اثنين نحو «وهو السَّميع البَصير» أو أكثر نحو «أُولئك الذين اشتَرَوا الضَّلالة بالهُدَى فما رَبِحَتْ تِجارَتهم».

ويُلحَق بمُراعاة النَّظير ما بُني:

(١) على المُناسبة في المَعنى بين طرَفي الكَلام نحو «لا تُدرِكهُ الأبصار وهو يُدرِكُ الأبصار وهو اللَّطيف الخبَير». فإنّ اللَّطيف يُناسبُ عَدَم إدراك الأبصار له والخَبير يُناسب إدراكهُ للأبصار.

(٢) ما بُني على المُناسَبة في اللَّفظ باعتِبار مَعنًى له غير المَعنى المَقصود في العِبارة نحو «الشَّمس والقَمَر يُحسَبان والنَّجم والشَّجَر يَسجُدان». فإنّ المُراد بالنَّجم هُنا النَّبات فلا يُناسب الشَّمس والقَمَر ولكنّ لفظهُ يُناسِبهما باعتِبار دلالتِه على الكواكب أيضًا. وهذا يُقال له **إيهام التَّناسُب**.

الفصل الثالث الإرصاد

الإرصاد هو أن يُذكَر قَبْل الفاصلة من الفِقرة أو القافية من البيت ما يَدُلُّ عليها إذا عُرِف الرَّوِيّ نحو «وسَبِّحْ بحَمْد رَبِّك قبل طُلوع الشَّمس وقَبْل الغُروب». ونحو قولِه:

أَحَلَّت دَمي من غَيْر جُرْمٍ وحَرَّمتْ ... بِلا سببٍ عند اللقاءِ كلامي

فليس الذي حلَّلتِه بمحلَّلٍ ... وليس الذي حرَّمتِهِ بحرامِ

فإنّ السامع إذا عَرَف الرَّويَّ عَلِم أنّ الفاصِلة الغُروب والقافية حَرام. وإلّا فرُبَّما تَوهَّم أنّ الأُولى غُروبها والثانية مُحرَّم.

التَّوشيح

وقد يُستغنى عن مَعرفة الرّويّ نحو «ولكُلّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فإذا جاءَ أجَلهم لا يَستأخرون ساعةً ولا يَستقدمون». ونحو قولِه:

فإنّ قَليل الحُبّ بالعَقْل صالحٌ وإنّ كَثير الحبُّ بالجَهْل فاسِد

وهذا يُقال له **التَّوشيح**.

الفصل الرابع المُشاكَلَة

المُشاكَلة هي أن يُذكَر الشيءُ بلَفْظ غيرِه لوُقوعِه في صُحبتِه نحو «نَسُوا الله فَنَسِيَهُم» أي أهمَلَهم. ذَكَر الإهمال بلَفْظ النِّسيان لوُقوعِه في صُحبتِه.

ومن ذلك ما حُكي عن أبي الرّقْعمق أنّ أصحابًا له أرسلوا يَدعونَهُ إلى الصَّبوح في يوم باردٍ ويَقولون له ماذا تُريد أن نَصنع طعامًا. وكان فقيرًا ليس له كُسوةٌ تَقيهِ من البَرْد فكَتَب إليهم يَقول:

أصحابنا قَصدوا الصَّبوحَ بسُحرةٍ وأتى رَسولُهمُ إليَّ خِصيصا
قالوا اقتَرِحْ شيئًا نُجِدْ لك طَبْخَهُ قُلْتُ اطبُخوا لي جُبّةً وقَميصا

الفصل الخامس المُزاوَجة

المُزاوَجة هي أن يُزاوَج بين مَعنيَيْن في الشَّرْط والجَزاءِ بأن يُرتَّب على كُلٍّ منهما مَعنًى رُتِّب على الآخَر كقولِه:

إذا ما نَهى الناهي فَلَجَّ بيَ الهَوى أصاخت إلى الواشي فَلَجَّ بها الهَجْرُ

زَواج بين النَّهي والإصاخة في الشَّرْط والجَزاءِ بتَرتيب اللَّجاج عليهما.

الفصل السادس العَكْس

العَكْس هو أن يُقدَّم جُزءٌ من الكلام على آخَر ثُمّ يُؤَخَّر ما قُدِّم فينعكِس التَّرتيب وهو قد يَقع:

(١) بين أحد طرَفَيْ جُملةٍ وما أُضيفَ إليه كقولهم «كلامُ المُلوك مُلوك الكَلام».
(٢) وقد يَقع بين مُتعلِّقَي فعلَيْن في جُملتين نحو «جَعَلَ من بَعْد ضَعفٍ قوّةً ثُمّ جَعَل من بَعْد قوّةٍ ضَعفًا».
(٣) وقد يَقع بين لفظَيْن في طَرَفَي جُملتَيْن نحو «لا أَعبُدُ ما تَعبُدُون ولا تَعبُدُون ما أَعبُد».

الفصل السابع — الطّيّ والنَّشْر

الطّيّ والنَّشْر هو أن يُذكَر مُتعدِّد ثُمّ يُذكَر ما لكُلٍّ من أفرادِه شائعًا من غير تَعيين اعتمادًا على تَصرُّف السامع في ردِّهِ إليه وهو:

١- إمّا أن يَكون النَّشْر فيه على تَرتيب الطّيّ نحو «ومن رحمتِه جعَلَ لكُمُ اللَّيْل والنَّهار لتَسكُنوا فيه ولتَبتَغوا من فضلِه». ذَكَر السُّكون للأوّل والابتِغاءَ للثاني على التّرتيب.

٢- وإمّا أن يَكون على خِلاف تَرتيبِه نحو «فمَحَوْنا آيَةَ اللَّيْل وجَعَلنا آية النَّهار مُبصِرةً لتَبتغوا فَضْلًا من رَبّكم ولِتَعْلَموا عَدَد السِّنين والحِساب». ذكَر ابتِغاءَ الفضل للثّاني وعِلْم الحِساب للأوّل على خِلاف التَّرتيب.

الفصل الثامن — الجَمْع

الجَمْع هو أن يجُمَع بين مُتعدِّدٍ تحت حُكْم واحِدٍ. وذلك قد يَكون في اثنين نحو «واعلَموا أنَّ أموالَكم وأولادَكم فِتنةٌ». أو أكثرَ نحو «إنّما الخَمْر والمَيسِر والأنصاب والأزلام رِجْسٌ من عَمَلِ الشَّيطان».

الفصل التاسع — التَّفريق

التَّفريق هو أن يُفرَّق بين أمرَيْن من نَوعٍ واحِدٍ في اختِلاف حُكْمهما نحو «وما يَستوي البَحْران هذا عَذْبٌ فُراتٌ سائغٌ شَرابهُ وهذا مِلْحٌ أُجاجٌ».

الفصل العاشر التَّقسيم

التَّقسيم هو أن يُذكَر مُتعدِّدٌ ثُمَّ يُضاف إلى كُلٍّ من أفرادِهِ ما له على التَّعيين نحو «كذَّبَت ثَمود وعادٌ بالقارِعة. فأَمَّا ثَمودُ فأُهلِكوا بالطَّاغية. وأمّا عادٌ فأُهلِكوا بريحٍ صَرْصَرٍ عاتية».

وقد يُطلَق التَّقسيم على أمرَيْن آخرَيْن **أحدهما** أن تُستوفَى أقسام الشيءِ نحو «له ما في السَّموات وما في الأرض وما بَينهما وما تَحت الثَّرَى». **والآخر** أن تُذكَر أحوالُه مُضافًا إلى كُلٍّ منها ما يَليق به نحو «فسوف يَأْتي الله بقومٍ يُحِبُّهُم ويُحِبُّونه أَذِلَّةٍ على المُؤْمنين أَعِزَّةٍ على الكافرين يُجاهدون في سَبيل الله ولا يَخافون لَوْمَةَ لائِم».

الفصل الحادي عشر الجَمْع مع التَّفريق

الجَمْع مع التَّفريق هو أن يُدخَل شيئان في معنًى ويُفرَّق بين جِهَتَيْ إدخالهما نحو «خَلَقْتَني من نار وخَلقتَهُ من طين».

الفصل الثاني عشر الجَمْع مع التَّقسيم

الجَمْع مع التَّقسيم هو أنْ يُجمَع مُتعدِّدٌ تحت حُكْمٍ واحدٍ ثُمّ يُقسَّم نحو «الله يَتوفَّى الأَنْفُس حينَ مَوْتها والتي لم تَمُت في مَنامها فيُمسكُ التي قَضى عليها الموت ويُرسلُ الأُخرى إلى أجَلٍ غير مُسمًّى».

الفصل الثالث عشر التَّجريد

التَّجريد هو أن يُنتزَع من أمر ذي صِفةٍ أمرٌ آخَر مِثلهُ في تلك الصِّفة مُبالغةً لكَمالها في المُنتزَع منه حتّى إنّه قد صار منها بحيث يُمكِن أن يُنتزَع مَوصوفٌ آخرَ بها. وهو قد يَكون (١) بواسطة حَرْفٍ نحو «إنَّ من أزواجكم وأولادكم عَدُوًّا لكم». وقد يَكون (٢) بدون واسِطة نحو «وإن نَكثُوا أيمانهم من بعد عَهْدهم وطَعَنوا في دِينكم فقاتِلوا أَيمَّةَ الكُفْر».

جَرَّد من الأوّلين عَدُوًّا بواسطة حرف الجَر. ومن الآخَرين أيمَّةَ الكُفر بغير واسطة

(٣) من التَّجريد ما يَكون بمُخاطبةِ الإنسان نَفْسَه كقولِه:

تَطاوَلَ لَيلُكَ بالإثمِدِ ونامَ الخَليُّ ولم تَرقُدِ

انتزَع من نَفْسِه شخصًا آخَر مِثْلهُ في تَطاول اللَّيْل عليه فخاطبَهُ.

الفصل الرابع عشر — المُبالغة

المُبالغة هي أن يُدَّعى لوَصْفٍ بُلوغهُ حَدًّا بَعيدًا. وذلك:

(١) إمّا أن يَكون مُمكِنًا في العَقل والعادة نحو «ظُلُماتٌ بعضها فوق بعض إذا أخرَجَ يَدهُ لم يكَدْ يَراها» ويُقال لهُ **التَّبليغ**.

(٢) وإمّا أن يَكون مُمكِنًا في العَقْل دون العادة نحو «فكيف تَتَّقون إنْ كَفرتُم يومًا يَجعل الوِلْدان شِيبًا» ويُقال له **الإغراق**.

(٣) وإمّا أن يَكون غير مُمكَنٍ كقولِه:

يُقبِلُهُمْ وَجْهَ كلِّ سابحةٍ أربَعها قَبْلَ طَرْفها تَصلُ

ويُقال له **الغلُوّ**. والمَقبول من الغُلوّ:

١- ما أُدخِل عليه ما يُقرِّبُه إلى الصِّحَّة كفِعل مُقارَبةٍ نحو «تَكاد السَّموات يَتفطَّرْنَ منه وتنشَقُّ الأرض وتخرُّ الجِبالُ هَدًّا».

٢- ما أُدخِل عليه أداة فَرْضٍ نحو «ولو أنزَلْنا هذا القُرآن على جَبَلٍ لرأَيتَهُ خاشعًا مُتصدِّعًا من خَشيةِ الله».

٣- ما جاءَ في مَعرِض الهَزْل كقولِه:

أُنبِئتُ أَنَّ فتاةً كنتُ أَخطُبها عُرقوبها مِثْل شَهْر الصَّوْم في الطُّول

قيل إنّ ابن سيرين كان يَتمثّل بهذا البيت فيَضحكُ حتّى يَسيل لُعابُهُ. ومن هذا القَبيل قول بعضهم في رَجُل طَويل الأنف:

لكَ أنْفٌ يا ابنَ حَرْبٍ أَنِفَتْ منه الأُنوفُ

أنتَ في القُدسِ تُصلّي وهْوَ في البَيْت يَطوفُ

الفصل الخامس عشر المذهب الكلامي

المَذهَب الكَلاميّ هو أن يُورَد للمَطلوب حُجَّةٌ قاطعةٌ مُسلَّمةٌ عند المُخاطَب نحو «يا أيّها الناس إن كُنتم في رَيْبٍ من البَعْث فإنّا خَلقناكم من تُراب». ومنه قول الفرزدق:

لُكلِّ امرئٍ نَفسانِ نَفْسٌ كريمةٌ ونَفْسٌ يُعاصيها الفتى ويُطيعُها
ونَفْسكَ من نَفْسيكَ تَشفَعُ للنّدى إذا قلَّ من إحرارهنَّ شَفيعُها

الفصل السادس عشر التّورِيَة

التَّورِيَة هي أن يُطلَق لَفظٌ له مَعنيان أحدهما قَريبٌ والآخَر بَعيدٌ فيُراد البَعيد مِنهما ويُورَّى عنه بالقريب. وهي:

(١) إمّا أن تَقترن بشيءٍ ممّا يُلائِم المَعنى القَريب ويُقال لها **المُرشَّحة** نحو «حتّى يُعطَوا الجِزيَة عن يدٍ». أراد باليَدِ مَعناها البَعيد وهو الذِّلَّة. وقد اقتُرِنت بالإعطاءِ الذي يُلائِم المَعنى القَريب وهو العُضو المَعلوم.

(٢) وإمّا أن لا تقترن ويُقال لها **المُجرَّدة** نحو «وهو الذي يَتوفّاكم باللّيل ويَعلَم ما جَرَحْتم بالنّهار». أراد بقولِه جَرَحْتم مَعناهُ البَعيد وهو ارتِكاب الذُّنوب ولم تَقترِن بشيءٍ مِمّا يُلائِم المَعنى القَريب الذي هو تَفريق الاتِّصال بالحَديد ونحوِه.

الفصل السابع عشر الاشتِراك

الاشتِراك هو أن يُذكَر لفظٌ يَشترِك بين معنَيَيْن يَسبَق الذِّهن إلى غَير المُراد منهما فيُؤتى بَعدهُ بِما يَصرِفُه إلى المَعنى المُراد نحو «وله الجَواري المُنشَآت في البَحر كالأعلام» أراد بالجَواري السُّفُن فأتى بما يَصرِفها إليها عن النِّساء.

الفصل الثامن عشر الإبهام

الإبهام هو أن يُذكَر لفظٌ يُوهِم مَعنًى لا يَصِحُّ أن يُراد وإنّما المُراد مَعنًى له آخَر نحو

«ومن كُلِّ شيءٍ خَلقْنا زَوجَيْن». فإنّ لَفظ الزَّوجَيْن يُوهِم أنّ المُراد بهما نَقيض الفَرْدَين. وإنّما المُراد الذَّكَر والأُنثى كُلٌّ منهما زَوْج الآخَر.

الفصل التاسع عشر التّوجيه

التّوجيه هو أن يُؤتى بكلامٍ يَحتمِل وَجهَيْن مُختلفَيْن نحو «إنّا أو إيّاكُم لَعلى هُدًى أو في ضَلالٍ مُبين». فإنّه يَحتمِلُ كَوْن كُلٍّ من الفريقَيْن على الهُدى أو الضَّلال ولكن لا يُدرى أيُّهما على أيّ الأمرَيْن. ولذلك يُقال له الإبهام أيضًا.

الفصل العشرون الاستِخدام

الاستِخدام هو أن يُذكَر لَفظٌ له مَعنيان فيُراد به أحدهما ثُمّ يُراد بضميرِه المَعنى الآخَر نحو «مَنْ شَهِد مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ». أراد بالشَّهْر الهِلال وبضميرِه الزَّمان المَعلوم. وقد يَكون الاستِخدام بذِكْر قَرينةٍ تَستخدِم أَحَد المَعنيَيْن بدون الضَّمير كقولِه:

طاوي الحَشى تَستحي لديهِ غَزالةُ الأرضِ والسَّماءِ

أراد بالغَزالة أوّلًا الحَيوان المَعروف ثُمَّ استخدمها للشَّمس بذِكْر السّماءِ.

الفصل الحادي والعشرون التَّدبيج

التَّدبيج هو أن يُؤتى في أثناءِ الكلام بذِكْر ألوانٍ يُراد بها **التَّورية** أو **الكِناية**. **فالأوّل** (أي الذي يُراد به التَّورية) نحو «كُلوا واشربوا حتّى يَتبيَّن لكمُ الخيطُ الأبيضُ من الخَيطِ الأسْود». أراد بالخَيط الأبيض بياضَ الصُّبْح وبالخيط الأسْوَد سوادَ اللَّيل ووَرَّى عنهما بالخَيطَيْن الملوَّنَيْن بالبَياض والسّواد. **والثاني** (أي الذي يُراد به الكِناية) نحو «يَومَ تَبيضُّ وُجوهٌ وتَسوَدُّ وُجوهٌ». كنّى ببياضِ الوُجوه عن الفَوْز وبِسَوادها عن الخِزي (أدرج أهل البَيان التّدبيج في الطِّباق. وأفردَهُ أهلُ البديع وهو الأَولى لجواز أن لا يَقع التقابل بين الألوان فيَفوت الطِّباق).

الفصل الثاني والعشرون نَفْي الشيء بإيجابِه

نَفي الشيء بإيجابِه هو أن يُنفى مُتعلّق أمرٍ عن أمر فيُوهِم إثباته له. والمُراد نَفيُه عنه أيضًا نحو «لا تُلهيهم تِجارةٌ ولا بَيعٌ عن ذكرِ الله». فإنّ نفي إلهاءَ التِّجارة عنهم يُوهِم إثباتها لهم والمُراد نَفيها أيضًا.

(قولُه لا تُلهيهم تِجارةٌ إلى آخرِه مُقتطَعٌ من الآية التي مَرَّت في بَحْث تَرْك المُسنَد (انظر وجه ٣١) حيث يقول «يُسبِّح له فيها بالغُدُوِّ والآصال رِجالٌ لا تُلهيهم تِجارةٌ ولا بيعٌ عن ذكرِ الله». فإنّ قولَهُ لا تُلهيهم تِجارةٌ يُوهِم أنّ لهم تِجارةً غير أنّهم لا يَلتهون بها. ولكنّ المُراد أنّهم ليس لهم تِجارة حتّى يَلتهوا بها لأنّ رِجال الجَنَّة لا يَتعاطَون التِّجارة.)

الفصل الثالث والعشرون القَوْل بالمُوجَب

القَول بالمُوجَب هو أن تَقع صِفةٌ في كلام الغير كِنايةً عن شيءٍ قد أُثبتَ له حُكمٌ فتُثبِتَ تلك الصِّفة لغير ذلك الشيءِ من غير أن تَتعرَّض لإثبات ذلك الحُكْم له أو نفيه عنه. نحو «يَقولون لَئِن رَجَعنا إلى المدينة لَيُخْرِجَنَّ الأعزُّ منها الأذلَّ. ولله العِزَّة ولرسولِه وللمؤمنين» فإنّ الأعزَّ صِفةٌ وَقعتْ في كلام القائلين كِنايةً عن فَريقهم وقد أثبتوا له إخراج غيرِه. فأَثبتَ العِزَّة لغير فَريقهم من غير أن يَتعرَّض لإثبات الإخراج لمَنْ أثبَت له العِزَّة ولا لنَفيه عنه. (تلخيص العِبارة أنّ الكافرين حَكَموا لأنفُسِهم بالعِزَّة وللمؤمنين بالذِّلة. وقالوا إن رَجَعنا إلى المدينة نُخرِجْهم منها. فحَكَم بالعِزَّة لله ولرسولِه وللمؤمنين ولم يَقُل إنّهم يُخرِجون أُولئك منها ولا إنّهم لا يُخرِجونهم. ولكنْ يُستنتَج من الكلام أنّهم يُخرجونهم). ومن القَول بالمُوجَب أن يَقع لفظٌ في كلام الغير فَيُحمَل على خِلاف مُرادِه بذِكْر مُتعلَّقٍ لهُ كقول الشاعر:

وقـالـوا قـد صَـفَـتْ مِـنّـا قُـلـوبٌ لـقـد صَـدَقـوا ولـكـن عـن وُدادي

أرادوا بصَفْو قُلوبهم الخلوص فحملَهُ على الخُلوّ بذِكْر مُتعلَّقِه وهو قولِه «عن وُدادي».

الفصل الرابع والعشرون التّلميح

التلميح هو أن يُشار في أثناءِ الكلام إلى قِصّةٍ مَعلومةٍ ونَحوها نحو «هل آمنُكُم عليه إلّا كما أَمنتُكُم على أخيه من قَبْل». وهي حِكاية قول يَعقوب لأولادِه في القُرآن حين طَلَبوا أن يَأْخذوا أخاهم بنيامين إلى مصر فأشار إلى خيانتهم السابقة في أمر أخيهم يوسف.

الفصل الخامس والعشرون بَراعة الطَّلَب

بَراعة الطَّلَب هي أن يُشيرَ الطالِبُ إلى ما في نَفْسِه تَلويحًا فلا يُصرِّح بالطَّلَب نحو «ونادى نوحٌ رَبَّهُ فقال ربِّ إنّ ابني من أهلي وإنّ وَعْدك الحقُّ وأنت أَحْكَم الحاكمين». أشار إلى طَلَب النّجاة لابنِه بإذكارِه ما سَبَق له من الوَعْد بنَجاة أهلِه.

الفصل السادس والعشرون الإدماج

الإدماج هو أن يُضمن كلامٌ قد سَبق لمعنًى معنًى آخَر كقوله:

أُقـلِّـب فـيـه أجـفـانـي كـأنّـي   أُعـدُّ بـه عـلـى الـدَّهـر الـذُّنـوبـا

أدمَجَ الشَّكوى من الدَّهْر في وَصْف اللَّيل بالطُّول.

الفصل السابع والعشرون التَّفريع

التَّفريع هو أن يُثبَّت حُكْمٌ لمُتعلَّق أمر بعد إثباتِه لمُتعلَّقٍ له آخَر كقولِه:

فـاضـتْ يـداهُ بـالـنّـضـار كـمـا   فـاضـتْ ظِـبـاهُ فـي الـوَغـى بـدَمِ

وهو ظاهرٌ.

الفصل الثامن والعشرون الاستِتباع

الاستِتباع هو المَدح بأمر على وَجه يَستتبع المَدح بأَمر آخَر كقولِه:

أَلا أَيُّها المال الذي قد أَبادهُ تَسلَّ فهذا فِعْلهُ بالكَتائبِ

وقيل لا يَختصُّ بالمَدح كقول بعضهم في قاضٍ لم تُقبَل شهادتُه برُؤْية هِلال الفِطْر:

أَتُرى القاضيَ أَعمى أم تُراهُ يتَعامى

سَرَقَ العيدَ كأنَّ أل عيدَ أموالُ اليَتامى

فالاستِتباع في البيت الثاني وقد وَقَع في الهَجْو. وعليه مشى الطِّيبيّ وابن حُجّة وغيرُهما وعرَّفوهُ بأنّه الوَصف بشيءٍ على وجهٍ يَستتبع الوَصف بشيءٍ آخَر مَدْحًا كان أو غيرَهُ.

الفصل التاسع والعشرون حُسْن التَّعليل

حُسْنُ التَّعليل هو أن يُدَّعى لصِفةٍ عِلّةٌ مُناسِبةٌ باعتِبار لَطيف غير حَقيقيّ كقولِه:

وما اخضَرَّ ذاك الخال نَبْتًا وإنّما لكَثْرة ما شُقَّت عليه المَرائرُ

والصِّفة المُعلَّلة قد تَكون:

(١) ثابتةً للمَوصوف فيُراد بَيان عِلّتها.

(٢) وقد تَكون غير ثابتةٍ له فيُراد إثباتها.

والثّابتة إمّا:

١- أن لا يَظهر لها عِلّة كقولِه:

بين السُّيوف وعينَيْها مُشارَكةٌ من أجلها قيل للأجفان أجفانُ

٢- وإمّا أن يَظهر لها عِلّةٌ غير العِلّة التي تُذكَر كقولِه:

عينٌ تَنامُ إذا هَجرتَ لعلّها بمُرور طَيفِك في المَنام تَمتَّعُ

فإنّ كُلًا من تَسمية الأجفان والنَّوْم صِفةٌ ثابتةٌ لصاحبها غير أنّ الأُولى لا يَظهر لها عِلّةٌ والثانية يَظهر لها غير العِلّة المَذكورة. فعلّل تلك بما ذُكِر من المُشاركة. وهذهِ بتَوَقُّع الطَّيْف بَيانًا لعِلّتهما.

وغير الثابتة:

١- إمّا مُمكِنةٌ كقولِه:

أمرُّ بالحَجَرِ القاسي فألثِمُهُ لأنّ قلبك قاسٍ يُشبِهِ الحَجَرا

٢- وإمّا غير مُمكِنة كقولِه:

وشَكيَّتي فَقدَ السَّقام لأنّه قد كان لمّا كان لي أعضاءُ

فإنّ كُلًّا من لَثْم الحَجَر والشَّكوى من فَقْد السَّقام صِفةٌ غير ثابتةٍ للمُدَّعي بها. غير أنّ الأُولى مُمكِنةٌ والثانية غير مُمكِنةٍ. فعلّل تلك بما ذَكَر من المُشابَهة. وهذه بفَقْد الأعضاءِ إثباتًا لها.

الفصل الثلاثون تأكيد المَدح بما يُشبِه الذَّمّ

تأكيد المَدح بما يُشبِه الذمّ هو أن تُستثنى صِفة مَدْح من مِثْلِها نحو «أنا أفصحُ العَرَب بَيْدَ أنّي[1] من قُرَيش». أو من **نقيضها** نحو «وما تَنقِمُ منّا[2] إلّا أن آمَنّا بآياتِ ربّنا».

الفصل الحادي والثلاثون تَجاهُل العارف

تَجاهُل العارف هو أن يُساق المَعلوم مَساق المَجهول لنُكتةٍ. كالتَّعجُّب نحو «أَفَسِحرٌ هذا أم أنتم لا تُبصِرون».

تمرين

حَلِّل الأمثِلة الآتية وبيِّن:

(١) ما فيها من أنواع البَديع المَعنوِيّ:

(٢) ما تَجِدهُ فيها من ضُروب التَّشبيه والاستِعارة والكِناية:

وباسطُ خيرٍ فيكمُ بيمينِه وقابضُ شَرٌّ عنكُم بشِماليا

ما أَحسنَ الدِّينَ والدُّنيا إذا اجتَمَعا وأقبحَ الكُفرَ والإفلاسَ في رَجُلِ

---

(١) بيد أنّي: غير أنّي.

(٢) ما تنقم منّا: أي تُعيب منّا.

عَلى رأسِ عَبْدٍ تاجُ عِزٍّ يَزينُهُ   وفي رِجْلِ حُرٍّ قَيْدُ ذُلٍ يُهينُهُ

ألستَ أنتَ الذي من وَرْدِ نعمتِه   ووَرْدِ راحتِه أجني وأغترِفُ

آراؤكم ووُجوهُكُم وسُيوفُكُمْ   في الحادثاتِ إذا دَجونَ نُجومُ

فيها مَعالمُ للهُدى ومَصابحٌ   تَجلو الدُّجى والأُخرياتُ رُجومُ

غَيْثٌ ولَيثٌ فغَيْثٌ حينَ تَسألُهُ   عُرفًا ولَيْثٌ لدى الهيجاءِ ضِرغامُ

لا خيلَ عندَكَ تُهديها ولا مالُ   فليُسعِدِ النُّطقُ إن لم يُسعدِ الحالُ

وَرْدٌ إذا وَرَدَ البُحيرةَ شاربًا   وَرَدَ الفُراتَ زئيرُهُ والنِّيلا

وعادى عِداءً بينَ ثَوْرٍ ونَعجةٍ   دِراكًا ولم يَنْضَحْ بماءٍ فيُغسَلِ

لِكُلِّ امرئٍ نَفسانِ نَفْسٌ كَريمةٌ   ونَفْسٌ يُعاصيها الفتى ويُطيعُها

ونَفْسُكَ من نَفْسيكَ تَشفعُ للنّدى   إذا قَلَّ من أحرارهنَّ شَفيعُها

لله إنّ الشَّهْدَ بعد فَراقهم   ما لذَّ لي فالصَّبْرُ كيفَ يطيبُ

وفقيهًا أفكارُهُ شِدْنَ للنُّـ   ـعمانِ ما لمْ يَشِدْهُ شِعْرُ زيادِ

وإخوانٍ تَخِذناهم دُروعًا   فكانوها ولكنْ للأعادي

وفي النَّفْسِ حاجاتٌ وفيكَ فِطانةٌ   سُكوتي بَيانٌ عندها وخِطابُ

لو لم تَكُنْ نِيّةُ الجوزاءِ خِدْمَتَهُ   لما أَتتْ وعليها عَقْدُ مُنتطِقِ

ولا عَيْبَ فيهم غيرُ أنَّ سيوفَهم   بِهِنَّ فُلولٌ من قِراعِ الكتائبِ

الباب الثاني

البديع اللفظيّ

الفصل الأوّل الجِناس

من البَديع اللّفظيّ **الجِناس** بين اللّفظين وهو أنّ يَتشابَه مَنطوقهما كما سترى. والجِناس إمّا أصلٌ وإمّا مُلحَقٌ به.

الجِناس الأصليّ

هو ما اتَّفق فيه اللّفظان وهو خمسة أنواع:

١- الجِناس التّامّ

فإن اتَّفقا في عَدَد الحُروف وأنواعها وهيئاتها وترتيبها قيل لهُ **التامُّ**:

(١) فإن كانا من قبيلةٍ واحدةٍ نحو «يا مَريم إنّ الله اصطفاكِ وطَهَّركِ واصطفاكِ[1] على نِساءِ العالمين» قيل له **المتماثِل**.

(٢) وإلّا قيل له **المُستوفى** كقولهم «ارعَ الجار ولو جار».

(٣) فإن كان أحد اللّفظين مُركَّبًا قيل له **جِناس التّركيب**.

١- فإن اتَّفقا حينئذٍ في الخَطّ قيل له **المُتشابِه** كقولِه:

إذا مَلِكٌ لم يَكُن ذا هِبَهْ[2] فَدَعْهُ فَدولتُه ذاهِبه

٢- وإلّا قيل له **المَفروق** كقولهم «الشَّرط أَمْلَكَ عليك أم لك».

٣- وإن كان كُلٌّ منهما مُرَكَّبًا قيل له **جِناس التّلفيق** كقولِه:

---

(١) اصطفاكِ الأُولى مَعناها أَخلَصَكِ أو جَعلك صافية والثانية مَعناها اختارك.

(٢) ذا هبه أي صاحب عطاء.

خَبّروها بأنّه ما تَصَدّى[1] لسُلوٍّ عنها ولو ماتَ صَدًّا

٢- الجِناس الناقص

وإن اختَلفا في **أعداد الحُروف** قيل له **الناقص** واختِلافهما يَكون:

(١) إمّا بحَرْفٍ واحد:

١- في الأوّل كقولهم «دَوام الحال من المُحال».

٢- أو في الوَسَط نحو «لم يَخلُق الله داءً إلّا وخَلَق له دواءً».

٣- أو في الآخَر كقولهم «الهَوَى مَطيّةُ الهَوان». وهذا الأخير يُقال له **المُطرَّف**.

(٢) وإمّا بأكثر من حرفٍ:

١- أمّا في الأوّل نحو «في الحَبّة السوداء[2] شِفاءٌ من كُلِّ داءٍ»

ويُقال لهُ **المُتوَّج**.

٢- أو في الآخِر نحو «وانظُر إلى إلهك» ويُقال له **المُذيَّل**.

وقوله «وانظر إلى إلهك» بعض آيةٍ. والعِبرة فيه باللّفظ. فإنّ حَرْف الجرّ مُركَّبٌ من همزةٍ مَكسورة يليها لامٌ وألِفٌ لفظًا. ومَجرورة كذلك مع زيادة الهاءِ والكاف في آخرِه فحَصَل الجِناس المُطرَّف. ولا عِبْرة برَسْم الألِف في الأوّل ياء وإسقاطها من الثاني خَطًّا. ومن ذلك قَوْل الخَنساء:

إنّ البُكاءَ هو الشِفاءُ من الجَوَى بين الجَوانِح

(واعْلَم أنّ التشديد أيضًا لا يُعتَبر في هذا الباب فلا يُخِلُّ بالتّجنيس في نحو من جَدَّ وَجَد والجاهلُ إمّا مُفرِطٌ أو مُفرِّط ونحو ذلك).

٣- الجِناس المُتكافئ

إن اختَلفَ لفظا الجِناس في أنواع الحُروف قيل له المُتكافِئ. ويُشترَط في اختِلافهما أن لا يَكون بأكثر من حَرْف. وهذا الحَرْف:

(١) إن كان مُقارِبًا لِما يُقابِلُهُ في المَخرَج سُمّي الجناس **مُضارِعًا**. وهو إمّا أن يَقع:

١- في الأوّل نحو «وكان الله عليمًا حليمًا».

---

(١) ما تصدّى: ما تعرّض.

(٢) الحَبّة السوداء الشونيز وهي التي يُقال لها حبّة البَرَكة.

٢- أو في الوَسَط نحو «يَنهَوْنَ وينأَوْنَ».

٣- أو في الآخِر نحو «الخَيْل مَعقودٌ بنواصيها الخَير».

(٢) إن لم يَكُن الحَرْف مُقاربًا لِما يُقابِلُهُ في المَخرَج سُمّي الجناس **لاحقًا**. وهو أيضًا:

١- إمّا في الأوّل نحو «والنَّجْم إذا هَوَى ما ضَلَّ صاحِبكم ولا غَوَى».

٢- أو في الوَسَط نحو «مَنْ خالَف الفَرْض عُوقِبَ ومن خالف السُّنَّة عُوتِب».

٣- أو في الآخِر نحو «وَجَدَ من دُونهما قَوْمًا لا يَكادون يفقَهونَ قولًا».

٤- الجِناس المُحرَّف

إن اختَلَف لَفظا الجِناس في هيئات الحُروف قيل لهُ المُحرَّف. والاختِلاف قد يَكون:

(١) في الحَرَكة فقط كقولهم «إذا زَلَّ العالِم زلَّ بزَلَّتِهِ العالَم».

(٢) وقد يكون في الحركة والسُّكون جميعًا كقولهم «البِدعةُ شَرَكُ الشِرْك».

٥- جِناس القَلْب

وإن اختَلَف لَفظا الجِناس في ترتيب الحُروف قيل له **جِناس القَلْب**. وهو:

(١) إمّا قَلْب بعضٍ نحو «لا يَعلمون ما يَعملون».

(٢) وإمّا قَلْب كُلٍّ كقولِه:

حُسامُكَ منهُ للأحباب فَتْحٌ ورُمحُكَ منهُ للأعداءِ حتفُ

(٣) وإذا وَقَع أحدهما في أوّل البيت والآخَر في آخرِه قيل لهُ المَقلوب المُجنَّح كقولِه:

لاحَ أنوارُ الهُدى من كَفِّهِ في كُلِّ حال

(٤) وإذا وَلِيَ أحدُ المُتجانِسَيْن الآخر قيل له المُزدوج نحو «ولا نُطيع فيكم أحَدًا أبدًا».

المُلحَق بالجِناس

أمّا المُلحَق بالجِناس فهو أن يَجمَع بين اللَّفظَيْن الاشتقاقُ نحو «فاقْضِ ما أنت قاضٍ» أو ما يُشبه الاشتِقاق نحو «وجَنَى الجَنَّتَينِ دانٍ».

الفصل الثاني رَدّ العَجز على الصَّدر

ومن البَديع اللَّفظيّ رَدُّ العَجُز على الصَّدْر. وهو في النَّثر أن يُجعَل أحَد الرُكنَيْن في أوّل الفِقْرة والآخَر في آخِرها. وذلك يَكون:

(١) إمّا في المُكرَّرين نحو «فأوحى إلى عبدِه ما أوحى».

(٢) أو في المُتجانِسَيْن (أي اللّذين بينهما جِناس) كقولهم «سالِم النّاسَ فأنتَ سالمٌ»[١].

(٣) أو في المُلحَقين بهما اشتقاقًا نحو «وتَوَكَّل على الله وكَفَى بالله وكيلًا»[٢].

(٤) أو شبهَ اشتِقاق «قال إنّي لِعَمَلكم من القالين»[٣].

وفي النَّظْم أن يُجعَل أحد الفريقَيْن من ذلك في آخِر البيت والآخَر في أوّل صدرِه كقولِه:

بَليغٌ متى يَشكو إلى غيرها الهوى   وإن هُوَ لاقاها فغَيرُ بَليغِ

وقولِه:

دَعاني من مَلامِكما سَفاهًا   فداعي الشوق قَبْلكما دَعاني

(في هذا البيت جِناس تامٌّ فإنّ دَعاني الأُولى أمرٌ بمَعنى اترُكاني ودعاني الثانية فعل ماضٍ بمَعنى ناداني).

وقولِه:

حَكَت لِحاظُكِ ما في الرِّئْم من مَلَحٍ   يَوْم اللِّقاء وكان الفضلُ للحاكي

(وفي هذا البيت جِناس الاشتِقاق بين حَكَت والحاكي).

وقولِه:

ونَوميَ مَفقودٌ وصُبحي لَكَ البَقا   وسُهديَ مَوجودٌ وشَوقيَ نامي

(وفي هذا البيت شِبْهُ الاشتِقاق بين نَومي ونامي).

---

(١) سالِم الأُولى فِعْل أمر من المُسالمة وسالِم الثانية اسم فاعل من السَّلامة بينهما جِناس مُستوفى.

(٢) جناس الاشتِقاق بين لفظتي تَوكَّل وكيلًا وحُكمُهُ أن يَجمَع الاشتِقاقُ بين اللَّفظين باعتبار الأصول فلا فَرْق بين اختِلافهما في التَّجريد والزِّيادة.

(٣) القالين أي المُبغضين (جمع قالٍ) وبين قال وقالين شِبْه اشتِقاق لأنّ «قال» من القَوْل وقالين من القِلى.

الفصل الثالث القَلْب

من البديع اللَّفظيّ **القَلْب** ويُقال له ما لا **يَستحيل بالانعكاس**. وهو أن يُؤتى بكلام تَستوي قراءَتُه طَرْدًا وعَكْسًا. وهو يَجري:

(١) **في النَّثر**

١- إمّا بين كلمتَيْن نحو «رَبَّكَ فَكبِّرْ».

٢- أو بين أكثر من كلمتَيْن نحو «كُلٌّ في فَلَكٍ» و «سورُ حَماهُ بربِّها مَحروس».

(٢) **في النَّظْم** إمّا:

١- في شَطْر البيت كقولِه «أرانا الإله هِلالًا أنارا».

٢- أو في مجموعِه كقولِ الآخَر:

مَـودَّتُـهُ تَـدومُ لـكُـلِّ هَـوْلٍ وَهَـل كُـل مَـودَّتُـهُ تَـدومُ

الفصل الرابع السَّجْع

السَّجْع هو تَواطؤُ الفاصلَتين على حرفٍ واحد وهو:

(١) إمّا أن تَتَّفق فيه الفاصلتان في التَّقفِيَة دون الوزن نحو «أَلم نجعلِ الأرضَ مِهادًا والجبالَ أوتادًا». ويُقال له **المُطرَّف**.

(٢) وإمّا أن تَتَّفقا فيهما جميعًا نحو «رَبِّ اشرحْ لي صَدري ويسِّرْ لي أمري». ويُقال له **المُتوازي**.

(٣) وإمّا أن يَتَّفِق معهما ما في القرينتين نحو «إنّ الأبرارَ لَفي نَعيم وإنّ الفُجّار لَفي جَحيم». أو أكثرهُ نحو «إنَّ إلينا إيابَهم ثُمّ إنّ علينا حِسابَهم». ويُقال له **التَّرصيع**.

قيل وأحْسَن السَّجْع ما تَساوت قرائنُه نحو «إنّا أعطيناكَ الكَوْثَر. فَصَلِّ لِربِّك وانحَرْ». ثُمّ ما طالت قرينتُه الثانية نحو «الذي عَلَّمَ بالقَلَم. عَلَّمَ الإنسانَ ما لم يَعلَم». أو الثالثة نحو «النّار ذات الوَقُود. إذ هم عليها قُعُود. وهم على ما يَفعلون بالمُؤمنين شُهُود». ويُكرَهُ أن يُؤتى بقَرينةٍ أقصر مِمّا قبلها كثيرًا. فإن قَصُرتْ قليلًا فلا بأْس نحو «اقْرأْ باسْم رَبِّك الذي خَلَقَ. خَلَقَ الإنسان من عَلَق».

التَّسميط والتَّشطير:

وقيل السَّجْع لا يَختصُّ بالنَّثر بل يَكون في النَّظم أيضًا إمّا على قافية البيت كقولِه:

فنحنُ في جَذَلٍ والرومُ في وَجَلٍ والبَرُّ في شُغُلٍ والبحرُ في خَجَلِ

وإمّا على غير القافية كقولِه:

غَرامي أَقِمْ صبري أنصرِمْ دَمعيَ أنسجِمْ عَدوّي أنتقِم دَهري أحتكِمْ حاسدي اشْمَتِ

وهذا يُقال له **التَّسميط**.

ومن السَّجْع على هذا القول ما يُعرَف **بالتَّشطير**[1]. وهو أن يَجعَل كُلّ شَطْر من البيت سَجْعةً مُخالِفةً لصاحبتها في الشَّطر الآخَر كقولِه:

ألفاظُه سُوَرٌ أفعالُه غُرَرٌ أقلامُه قُضُبٌ آراؤُهُ شُهُب

الفصل الخامس — المُوازَنة

المُوازنَة هي أن تَتساوى الفاصلتان في الوزن دون التَّقفِيَة نحو «هل أتاكَ حَديث الغاشية. وُجوهٌ يومئذٍ خاشعة». فإن كان ما في إحدى القَرينتين أو أكثرُه مِثْل ما يُقابلُه في القَرينة الأُخرى قيل له المُماثَلة نحو «وآتيناهما الكِتاب المُستَبين. وهَديناهما الصِّراط المُستقيم».

الفصل السادس — التَّشريع

التَّشريع هو أن يُبنى البَيْت على قافيَتَيْن يَصُحّ الوُقوف على كُلٍّ منهما كقولِه:

يا خاطِبَ الدُّنيا الدَّنيَّة إنّها شَرَكُ الرَّدَى وقَرارةُ الأكدارِ

فإنّه يَصُحُّ فيه الوقُوف على الرَّدَى وعلى الأكدار. وكِلاهما مُستقيمٌ في الوَزْن والمَعنى. ومن التشريع ما يكون الإسقاط فيه من آخِرِ العَجُز فقط كما في بيت الحَريريّ الذي أوردَهُ. ومنه ما يكون فيه من آخِرِ الصَّدْر أيضًا كقول الحِلّيّ:

(١) يُطلَق التَّسميط والتَّشطير أيضًا على مَعنًى آخَر وهو أن يَزيد الشّاعر شَطرًا من نَظمِه على الشَّطر من نَظْم غيرِه عَجُزًا لصَدْر وصَدرًا لعَجُز. وهو ليس من هذا الباب.

فَلَو رأيتَ مُصابي عندما رَحلوا رثيتَ لي من عَذابي يوم بينِهم

فإنّه يَصُحُّ فيه الوُقوف على مُصابي وعَذابي فيَكون بيتًا من المُجتثّ. وقد يكون من أوّلهما فيَكون الساقط بيتًا آخَر كقول ابن حُجّة:

طابَ اللِّقا لَذَّ تَشريع الشُّعور لنا على النَّقا فنَعِمْنا في ظِلالِهم

فإنّه يَصُحُّ فيه أن يُقال طابَ اللِّقا على النَّقا فيَكون بيتًا من مَنهوك الرَّجَز. ويَكون الباقي بيتًا من المَديد.

الفصل السابع لُزوم ما لا يَلزَم

لُزوم ما لا يَلزَم هو أن يُؤتى قبل حُروف الرّوِيّ بما ليس بلازمٍ في التَّقفِيَة وهو يَجري في النَّثر والنَّظم نحو «قُل أعوذُ برَبِّ الفَلَق مِنْ شَرِّ ما خَلَق». ونَحو قولِه:

فتًى غير مَحجوب الغِنى عن صديقِه ولا مُظهِر الشَّكوى إذا النَّعْلُ زَلَّتِ

رأى خَلَّتي من حيثُ يَخفى مكانُها فكانت قذَى عينيهِ حتّى تجلَّتِ

التُزمَت فيهما اللّام مع الغِنى عنها لصِحّة التَّقفِيَة بدونها. ومن الالتزام ما يُعرَف بالتوزيع. وهو أن يُلتزَم حرفٌ في كُلّ لَفْظٍ من العِبارة نحو «فسوف يُحاسَبُ حِسابًا يَسيرًا» أو في أكثر الألفاظ نحو «لا حولَ ولا قوّةَ إلّا بالله».

وقد يَكون لزوم ما لا يَلزَم بأكثر من حرفٍ. ومنه قول أبي العَلاء المَعرّي:

كُلْ واشربِ الناسَ على خِبرةٍ فهم يَمرّون ولا يَعذُبونْ

ولا تُصدِّقْهم إذا حَدَّثوا فإنّهم من عَهْدهم يَكذِبونْ

ومن التَّوزيع في كُلِّ لفظٍ قَوْل الحَريريّ في رسالتِه السِّينيّة «باسم القُدُّوس استَفْتِح وبإسعاده استَنْجِح، سَجيّة سَيِّدنا السُّلطان حُرِسَت نَفْسُهُ، وسَطَعَتْ شَمسُهُ، وبَسَقَ غَرسُهُ، واتَّسَقَ أُنسُهُ، استِمالةُ الجَليس، ومُساهمةُ الأنيس، ومؤَاساةُ السَّحيق والنَّسيب، ومُساعَدة الكَسير والسَّليب».

وهكذا إلى آخِرها وهي طويلةٌ.

ومن التَّوزيع في أكثر الألفاظ قَول رجلٍ من البَصْرة كان يَلتزم الضاد في كلامِه. دَخَل يومًا على القاضي فقال «السَّلام عليك أيّها القاضي الفاضل ابْن الأفاضل. إن ضِرار ابْن ضمرة الضبيّ اهتَضمني وغَضَّني لضَعفي وأخذ ضَيعةً لي على الغِياض اعترضَها

ضَمانًا ولم يُعوّضني عنها. وأنت أيّها القاضي غَضبان عليَّ ومُعرِضٌ عنّي. أتضرَّع إليك أن تُحضِرَهُ إلى حَضْرتك وتَفرض عليه أن يُعوِّضني البعض من الضَّمان». فلم يَلتفِت إليه القاضي وصَرَف خَصمَهُ في الضيعة. فتعلَّق بأهداب الخَصْم وأنشد:

أَيـا مـن فَـرَض الـقـاضـي ... لـه أرضـي لـكـي يَـرضـى
أَهـذا فـي الـقَـضـا فَـرْضٌ ... بـأن تَـرضـى ولا أرضـى
قَـضـى قـاضـيـك فـي أرضـي ... قَـضـاءً لـيـت لـم يُـقـضـى
فـأيـن الـعِـوَض الـمَـفـرو ... ض لا كُـلًّا ولا بَـعْـضـا

الفصل الثامن

البَديع اللَّفظي المُتعلِّق بالخَطّ

من البَديع اللفظيّ ما يَتعلَّق بالخَطّ.

(١) فمنه **المُصحَّف** وهو: أن يُؤتى بلفظين يَتَّفِقان في صُورة الحُروف ويَختلِفان في النُّقَط:

١- إمّا مع اتِّفاق الحَرَكات نحو «إنَّا لمَبعوثون خَلقًا جديدًا. قل كُونوا حِجارةً أو حَديدًا».

٢- أو مع اختِلافهما نحو «وهُم يَحسَبون أنّهم يُحسِنون صُنعًا».

(٢) ومنه **العاطل** وهو أن يؤتى بألفاظٍ لا نُقطَة في حُروفها نحو «لا إله إلَّا الله».

(٣) وعَكسُهُ **الحالي** نحو «فقَبَضْتُ قَبْضةً».

(٤) وبينهما **الأرقط** حرفًا فحرفًا (أي حَرْف مُنقَّط وحَرْف غير مُنقَّط) نحو «فصبرٌ جميلٌ».

(٥) **والأخيف** كلمةً فكلمةً نحو «غِيض الماءُ».

(٦) ومنه **المُقطَّع**. وهو أن يُؤتى بكلماتٍ تَنفصل حُروفها عن بعضها في الخطّ نحو «وادٍ ذو زَرْعٍ».

(٧) وعكسُهُ **المُوصَّل** نحو «لا تَمنُنْ تَستكثِر».

(٨) ومن هذا القبيل **الجِناس** المُلمَّع وهو أن يكون أحد الشَّطرَيْن من البيت مَنقوطًا والآخَر غير مَنقوطٍ:

فَـتـنْـتَـنـي بـجـبـيـنٍ ... كـهِـلال الـسَّـعـدِ لاح

تمرين

بَيِّن أنواع البَديع اللفظيّ في كُلٍّ من الأمثلة الآتية:

أحسنُ خَلْقِ اللهِ وَجْهًا وفمًا	إنْ لم يكُنْ أحقَّ بالمدْحِ فمَنْ
عَضَّنا الدَّهرُ بنابِهْ	ليت ما حَلَّ بنا بِه
إنَّ البُكاءَ هو الشِّفا	ءُ مِنَ الجَوى بين الجوانِحْ
تدَبيرُ معتصمٍ باللهِ مُنتَقمٍ	للهِ مُرتَقِبٍ في اللهِ مُرتغبِ
سَريعٍ إلى ابْنِ العمِّ يَشتُمُ عِرْضَهُ	وليس إلى داعي النَّدى بسَريعِ
واستَبدَّت في الهَوى واحِدةً	إنّما العاجِزُ مَنْ لا يَستبِدْ
رَماكَ زمانُ السُّوءِ من حيث لا تَرى	فَوافى ولم يَظفَرْ بما هو راما
قيل إفتح بابَ جارٍ تَلقَهُ	قلتُ راجٍ بابَ حتفٍ أَليقُ
كهِلالِ الشَّكِّ لولا أنَّهُ	أنَّ عيني عينُهُ لم تَتأَيّ
بشجيٍّ يَبيتُ في شَجَنٍ	فِتَنٌ ينتشِبنَ في فِتَنِ
ظَبيةٌ أدماءُ تَشفي العِللا	خَيَّبتْ كُلَّ شجيٍّ سأَلا
لِعيني كُلَّ يومٍ ألف عَبرَهْ	تُصيّرني لأهل الحيّ عِبرَهْ

نُقطة الدّائرة

عِلْمُ العَروض وَالقوافي

بِسْم الله خير الأسماءِ

الحَمد لله الذي قال لخَلْقِهِ كُنْ فكان. وأمَر عِبادَهُ بالقِسط وإقامة الميزان. أمّا بَعدُ فهذه رِسالةٌ لَطيفة وَضَعْتُها في عِلْم العَرُوض والقَوافي مُشتمِلةً على ما جَلَّ وقَلَّ من مُهمَّات هذا الفنِّ تَقريبًا لمَأُخذها فَهمًا وحِفظًا على المبتدئ. وسُمَّيتُها «نُقطَة الدَّائرة» لتَضمُّنها ما عليه مَدار هذه الصِّناعة. وأنا أسأل الله أن يَجعلها مُخلَصةً لوجههِ الكريم. وألتمِس مِمَّن نَظر فيها أن يَرأَبَ صَدْعها بفضلِه ففوقَ كُلِّ ذي عِلْمٍ عَليم. وإنّ الفَضْل بيد الله يؤْتيهِ مَنْ يَشاءُ والله ذو الفَضْل العَظيم.

الباب الأوّل

حقيقة العَروض والشِّعر

الفصل الأوّل — في ماهِيَّة العَروض والشِّعر وأجزائِه

العَرُوض عِلْم بأُصولٍ يُعرَف بها صَحيح أوزان الشِّعر وفاسِدها (وفاسدها يَشْمل ما كان ناقصًا عن القَدْر المَفروض وما كان زائدًا عليه).

الشِّعر كلامٌ يُقصَد به الوَزْن والتَّقفية. أَمَّا إذا اتَّفق ذلك في الكَلام على غَير قَصْدٍ كالأسجاع المَوزونة المُقفَّاة في القُرآن وغيره فلا يُعَدُّ شِعرًا.

وهو يَتأَلَّف من الأجزاءِ ويُقال لها **التّفاعيل** وهي تَتأَلَّف من الأسباب والأوتاد والفَواصل على طَريقٍ مَخصوصة كما ستِقف عليه.

الفصل الثاني — في الأسباب وما يَليها

السَّبَب:

١- إمّا **خَفيفٌ** وهو عِبارةٌ عن حَرْفٍ مُتحرِّكٍ يليه ساكنٌ.

٢- وإمّا **ثَقيلٌ** وهو عبارةٌ عن حرفين مُتحرِّكين.

الوتَد:

١- إمّا **مَجموعٌ** وهو عبارةٌ عن مُتحرِّكين يليهما ساكنٌ.

٢- وإمّا **مَفروق** وهو عِبارة عن مُتحرِّكين بينهما ساكنٌ.

الفاصلة:

١- إمّا **صُغرى** وهي عِبارةٌ عن ثلاثة أَحرُف مُتحرِّكةٍ يَليها ساكنٌ.

٢- وإمّا **كُبرى** وهي عبارةٌ عن أربعة أحرُفٍ مُتحرِّكة يليها ساكنٌ.

وقد اجتَمع كُلّ ذلك على تَرتيبِه في قولك «مَنْ لَكَ تُرَى حَيْثُ نَزَلْتَ عَرَبُكُم». فتكون مَنْ مِثالًا للسَّبَب الخفيف. ولَكَ مِثالًا للسَّبَب الثقيل. وتُرى للوَتَد المجَموع. وحَيْثُ للوَتَد المَفروق. ونَزَلْتَ للفاصِلة الصُّغرى. وعَرَبُكُم للفاصِلة الكُبرى.

الفصل الثالث في أحكام الأجزاءِ

لا بُدَّ في كُلِّ جُزءٍ من وَتَدٍ يَنضمُّ إليه غيرُه من الأسباب أو الفواصل. فيكون :

(١) إمّا خُماسيًّا وهو:

١- فَعُولُنْ مُرَكَّبًا من وَتَدٍ مَجموع (فَعُوْ) فسَبَبٍ خَفيف (لُنْ).

٢- فاعِلُنْ وهو عكسُهُ (أي إنّه مُرَكَّبٌ من سَبَبٍ خَفيفٍ فوَتَد مَجموع بِناءً على أنّ أصلَهُ (لُنْ فَعُو) فنُقِل إلى صيغةٍ مُستعمَلة وهي فَاعِلُنْ).

(٢) وإمّا سُباعيًّا وهو:

١- مفَاعيلُن مُرَكَّبًا من وَتدٍ مَجموع (مَفَا) فسبَبَيْن خَفيفين (عي لُنْ).

٢- مُسْتَفْعِلُنْ وهو عكسهُ (أي عِيلُنْ مَفَا بتَقديم السببَيْن الخَفيفين على الوَتَد المَجموع فتُنقَل إلى صيغة مُستعمَلة وهي مُسْتَفْعِلُنْ).

٣- مُفَاعَلَتُنْ مُرَكَّبًا من وَتَدٍ مَجموع ففاصلةٍ صُغرَى (مُفَا - عَلَتُنْ).

٤- مُتَفَاعِلُنْ وهو عكسُهُ.

٥- فاعِ لا تُنْ مُرَكَّبًا من وَتَدٍ مَفروق فسبَبَين خَفيفين.

٦- مَفْعولاتُ وهو عَكسُهُ.

لما كان الوتد ركنًا يُضَمُّ اليهِ غيرهُ لما علمت جعلوا اول فاعِ لاتن وتدًا مفروقًا ولذلك يفصلون عينهُ عن اللام في الخط لئلَّا يوهم ان طرفيهِ سببانِ خفيفان بينهما وتدٌ مجموع. فاذا أُريد كون وتدِه مجموعًا وصلوهما كما سترى. وهذا الاعتبار يجري في مستفعلن ايضًا. فانهُ اذا أُريد كونهُ مركبًا من وتدٍ مفروق بين سببين خفيفين فصلوهُ خطًّا (مستفعِ لُنْ) والَّا فلا.

وينحصر وقوع فاعلاتن مفروق الوتد في المضارع فقط. ومستفعِلن في الخفيف والمجتّث. وفي غير ذلك لا يكون وتدهما إلّا مجموعًا.

واما الفاصلة الكبرى فلا تقع في تركيب جزء صحيح وانما تقع بعد الزحاف اي بعد حذف شيءً من الجزء كما اذا حُذفَت السين والفاءُ من مستفعلن فأنهُ يبقى متُعِلُن ويُنقل

الى فَعِلَتُن فتحصل الفاصلة المذكورة.

واعلم ان النون اللاحقة الاواخر في هذه الاجزاء هي نون التنوين وانما تُرسمَ حرفًا صريحًا لان العبرة في هذه الصناعة بمجرَّد اللفظ فيكون الرسم بحسبهِ.

أمثلة على الاجزاء

(١) فَعُولُنْ - كَرِيمٌ. رأَيتُم. تَمَطَّى.

(٢ - فَاعِلُنْ - سَابِحٌ. جِئْتُمْ. (تلفظ جِئْتُمُوْ). مُنْتَهٍ.

(٣ - مَفَاعِيلُنْ - مَغَانِيهاَ. تَكَرَّمْتُم.

(٤ - مُسْتَفْعِلُنْ - أَخْبَرْتُهُمْ. هَلْ عِنْدَكُمْ.

(٥ - مُفَاعَلَتُن - تُخَوِّفُنِي. لَهَا طَلَلٌ.

(٦ - مُتَفَاعِلُنْ - مُتَخَضِّبٌ. فَتَشَابَهَا.

(٧ - فَاعِ لاتُنْ (او فَاعِلَاتُنْ) - رامِياتٍ. قَدْ نَزَلْنَا.

(٨ - مَفْعُولَاتُ - أَكْرَمْنَاكَ. لَم يَسْتَغْنِ.

تمرين

ما هو وزن كُلٍّ من الألفاظ او العبارات الآتية:

وَكَم مِنْ - جِبَالٍ - فَإِذاهُمَا مِنَ الدُّنْيَا[1] - فَصِرْتُ إِذَا - قَدْ زُرْتُهُ - صَادِقَةً - تَقْتَضِينِي - فَأَطَعْنَهُ - تَعَالَى - مَالُهُ - خَلِقِهِ - كلُّ بَيْتٍ - مَا الْإِخْوانُ.

الفصل الرابع　　في أبيات الشعر وأحكامها

تتألف الأبيات من هذه الاجزاء. وهي إِما ان تمتزج من الخُماسيّ والسُباعيّ فيخرج منها الطويل والمديد والبسيط (الطويل يتألف من فَعُولُنْ ومَفَاعِيلُنْ. والمديد من فاعلَاتُن وفَاعِلُن. والبسيط من مُسْتَفْعِلُنْ وفَاعِلُنْ).

(١) العبرة باللفظ لا بالكتابة فقولنا مِنَ الدُّنيا كأنها مِنَدْ دُنْيا.

واما ان **تنفرد** فيخرج من **السباعيّ** الوافر والكامل والهَزَج والرَّجَز والرَّمَل والسريع والمُنسرِح والخَفيف والمُضارِع والمُقْتَضَب والمُجتَثّ.

(الوافر يتألَّف من مُفَاعَلَتُن. والكامل من مُتَفَاعِلُنْ. والهَزَج من مَفَاعِيلُنْ. والرَّجَز من مُسْتَفْعِلُنْ. والرَّمَل من فَاعِلَاتُنْ مُكرَّرات. والسَّريع والمُنسرِح والمُقتضَب من مُسْتَفْعِلُنْ ومَفْعُولاتُ. والخَفيف والمُجتثّ من مُسْتَفْعِ لُنْ وفاعِلَاتُنْ. والمُضارع من مَفَاعِيلُنْ وفاع لَاتُنْ).

(ويَخرُج من الخُماسيّ المُتقارَب والمُتدارَك. المُتقارَب يَتألَّف من فَعُولُن والمُتدارَك من فَاعِلُن مُكَرّرين).

فتكون سَبعةٌ من هذهِ الأبحُر بَسيطة وهي الوافِر والكامِل والهَزَج والرَّجَز والرَّمَل والمُتقارَب والمُتدارَك وتِسعة مُركَّبة من جُزءَين وهي الأبحُر الباقية. وسَتَرى صورة تأْليفها في الباب الثالث. واعلم أنّ البيت يَنقسِم إلى شَطرَين مُتساويَيْن أوّلهما يُقال له **الصَدْر** والآخر **العَجُز** وآخِر جُزءٍ من الصَّدْر يُقال له **العَرُوض**. ومن العَجُز يقال له **الضَّرْب**. وما عدا ذلك يُقال له **الحَشْو**.

والبيت قد يَستوفي أجزاءَهُ كُلَّها ويُقال له **التامّ**. وقد يُحذَف جُزءٌ من كُلِّ شَطْرٍ منه ويُقال له **المَجزوءُ**. وقد يُحذَف نِصفُهُ ويُقال له **المَشطور** أو ثُلثاهُ ويُقال له **المَنهوك**. والأجزاءُ على كُلّ حالٍ قد تُستعمَل فيه صَحيحةً وقد يَلحَقها التّغيير كما ستراهُ في مَواضعِهِ.

الباب الثاني

ما يَلحِق الأجزاءَ من التَّغيير

الفصل الأوّل في أنواع هذا التّغيير وأحكامِهِ

من التّغيير اللّاحِق الأجزاء:

(١) ما يَختصُّ بالأسباب ويُقال له **الزِّحاف**.

(٢) ومنه ما يَشترِك بين الأسباب والأوتاد ويُقال له **العِلّة**. غير أنّ العِلّة تَختصُّ بالأعاريض[١] والضُّروب لازمةً لها إلّا في النادر. ويُراد بكَوْنها لازمةً لها أنّها متى وَقَعت في واحدٍ منها لَزِم وُقوعها في غيرِهِ أيضًا. واحتَرز بقولِهِ إلّا في النادر عمّا ليس كذلك مِثْل **الخَرْم والتَّشعيث**. فإنّ الخَرْم حَذْف أوّل الوَتَد المَجموع من صَدْر البيت كقولِه:

أَدّوا مـــا اســـتَـــعـــاروهُ كـــذاك الــعــيــش عــاريّــه

والتَّشعيث حَذْف أحد مُتحرِّكَيْهِ في ضَرْب الخَفيف والمُجتَثّ كقولِه:

ليسَ من ماتَ فاستراحَ بمَيْتٍ إنّــمـا الـمَـيْـت مَـيِّـتُ الأَحـيـاءِ

وقولِه:

تــظـــلُّ عــيــنُــكَ تــبــكــي بـــمـــدْمَـــعٍ مِـــدرارِ

فإنّ الخَرْم لا يَقع في الأعاريض والضُّروب. وكِلاهما (أي الخَرْم والتشعيث) يَجوز وُقوعُهُ ولا يَجِب الاستمرار عليه.

والزِّحاف يَختصُّ بثواني الأسباب مُطلقًا. أي خفيفةً كانت أو ثقيلةً. في أوّل الجُزءِ أو وَسَطه أو آخِرِهِ. واقعةً في الأعاريض والضُّروب أو في غيرها. ولا يَكون الزِّحاف لازِمًا إلّا في مواضِع سَتقِف عليها.

---

(١) الأعاريض جَمْع عَروض على غير القِياس والمُراد بها هُنا آخِر جُزءٍ من صَدْر البَيت (وهي مؤنّثة).

الفصل الثاني في الزِّحاف

من الزِّحاف:

(١) **الخَبْن** وهو حَذْف ثاني الجُزءِ ساكنًا. (مثال ذلك مُستَفْعِلُنْ يُحذَف ثانيها الساكن وهو السين فتَصير مُتَفْعِلُنْ فتُنقَل إلى صيغة مُستعملة وهي مَفَاعِلُنْ).

(٢) **الوَقْص** وهو حَذْف ثاني الجُزءِ مُتحرِّكًا. بالوَقْص مُتَفَاعِلُنْ تَصير مُفَاعِلُنْ. (وسيأتي تفصيل هذا التغيير في الفصل الرابع).

(٣) **الإضمار** وهو تَسكين المُتحرِّك منه.

(٤) **الطَيُّ** وهو حَذْف رابعِهِ الساكن.

(٥) **القَبْض** وهو حَذْف خامسِهِ ساكنًا.

(٦) **العَقْل** وهو حَذفُهُ مُتحرِّكًا.

(٧) **العَصْب** وهو تَسكين المُتحرِّك منه.

(٨) **الكَفّ** وهو حَذْف سابعِهِ السّاكن. ولا زِحاف في غير هذه المَواضع.

(٩) واعْلَم أنّ الطَّيَّ قد يَجتِمع مع الخَبنْ فيُعبَّر عنهما **بالخَبْل**.

(١٠) ومع الإضمار فيُعبَّر عنهما **بالخَزْل**.

(١١) **الكَفُّ** قد يَجتمِع مع الخَبنْ فيُعبَّر عنهما **بالشَّكل**.

(١٢) ومع العَصْب فيُعبَّر عنهما **بالنَّقص**.

والأوّل يُقال له **الزحّاف المُنفرِد** والثاني **الزِّحاف المُزدوِج**.

الفصل الثالث في العِلَّة

من العِلَّة:

(١) ما يَكون **بالزِّيادة**. ومنه:

١- **التَّرفيل** وهو زيادة سَبَب خَفيف على وَتَدٍ مَجموع.

٢- **التَّذييل** وهو زيادة حَرْف ساكِن على وَتَدٍ مَجموع.

٣- **التَّسبيغ** وهو زيادة حَرْفٍ ساكن على سَبَبٍ خَفيف.

(٢) ومن العِلَّة ما يكون **بالنَّقْص**. ومنه:

١- **الحَذْف** وهو إسقاط السَّبَب الخَفيف.

٢- **القَطْف** وهو إسقاطُهُ مع تَسكين ما قَبْلَه.

٣- **القَصْر** وهو إسقاط ساكنِهِ وإسكان مُتحرِّكِهِ.

٤- **التَّشعيث** وهو حَذْف أحد مُتحرِّكَيْهِ.

٥- **الحَذَذ** وهو حَذفُهُ برُمَّتِهِ.

٦- **الصَّلْم** وهو حَذْف الوَتَد المفروق.

٧- **الكَشْف** وهو حَذْف آخرِهِ.

٨- **الوَقف** وهو تَسكين آخرِهِ.

وهذه أشْهَر العِلَل في الاستعمال.

الفصل الرابع — في مَواطِن هذا التغيير

فَعُولُنْ يَدخُلُهُ:

(١) **القَبْض** فيصير فَعُولُ (بضَمّ اللّام).

(٢) **القَصْر** فيصير فَعُوْلْ (بسُكون اللّام).

(٣) **الحَذْف** فيصير فَعُوْ (فتُنقل إلى فَعُلْ).

فَاعِلُن يدخلهُ:

(١) **الخَبْن** فيَصير فَعِلُنْ.

(٢) **القَطْع** فيَصير فَاعِلْ بسُكون اللّام (فيُنقَل إلى فِعْلُنْ بسُكون العين).

مَفَاعِيلُنْ يَدخُلُهُ:

(١) **القَبْض** فيَصير مَفَاعِلُنْ.

(٢) **الكَفُّ** فيَصير مَفَاعِيلُ (بضَمّ اللّام).

(٣) **القَصْر** فيَصير مَفَاعِيلْ (بسُكون اللّام).

(٤) **الحَذْف** فيَصير مَفَاعِي (فيُنقَل إلى فَعُوْلُنْ).

مُسْتَفْعِلُنْ يَدخُلُهُ:

(١) **الخَبْن** فيَصير مُتَفعِلُنْ (فيُنقَل إلى مَفَاعِلُنْ).
(٢) **الطَّيّ** فيَصير مُسْتَعِلُنْ (فيُنقَل إلى مُفْتَعِلُنْ).
(٣) **الكَفّ** فيَصير مُسْتَفْعِلُ (بضَمّ اللّام).
(٤) **الخَبْل** فيَصير مُتَعِلُن (فيُنقل إلى فَعِلَتُنْ).
(٥) **الشَّكْل** فيَصير مُتَفْعِلُ (بضَمّ اللّام. فيُنقَل إلى مَفَاعِلُ).
(٦) **القَطْع** فيَصير مُسْتَفْعِلْ (بسُكون اللّام فيُنقَل إلى مَفْعُولُنْ).

مُفَاعَلَتُن يَدْخُلُهُ:

(١) **العَصْب** فيَصير مُفَاعَلْتُن (فيُنقَل إلى مَفَاعِيلُنْ).
(٢) **العَقْل** فيَصير مُفَاعَتُنْ (فيُنقَل إلى مَفَاعِلُنْ).
(٣) **النَّقْص** فيَصير مُفَاعَلْتُ (بسُكون اللّام فيُنقَل إلى مَفَاعِيلُ).
(٤) **القطف** فيَصير مُفَاعَلْ (فيُنقَل إلى فَعُولُنْ).

مُتَفَاعِلُنْ يَدخُلهُ:

(١) **الإِضمار** فيَصير مُتْفَاعِلُنْ (بسُكون التّاءِ فيُنقَل إلى مُسْتَفْعِلُنْ).
(٢) **الوَقْص** فيَصير مُفَاعِلُنْ.
(٣) **الخَزْل** فيَصير مُتْفَعِلُنْ (فيُنقَل إلى مُفْتَعِلُنْ).
(٤) **القَطْع** فيَصير مُتَفَاعِلْ (فيُنقَل إلى فَعِلَاتُنْ).
(٥) **الحَذَذ** فيَصير مُتَفَا (فيُنقَل إلى فَعِلُنْ).
(٦) **التّذييل** فيَصير مُتَفَاعِلانْ.
(٧) **التَّرفيل** فيَصير مُتَفَاعِلاتُنْ.

فَاعِلاتُنْ يَدخُلهُ:

(١) **الخَبْن** فيَصير فَعِلاتُنْ.
(٢) **الكَفُّ** فيَصير فَاعِلاتُ.
(٣) **الشَّكْل** فيَصير فَعِلاتُ.
(٤) **القَصْر** فيَصير فَاعِلاتْ (بسُكون التاءِ).

(٥) **التَّشعيث** فيَصير فَالاتُنْ أو فَاعَاتُنْ (فيُنقَل إلى مَفْعُولُنْ).

(٦) **الحَذْف** فيَصير فَاعِلا (فيُنقَل إلى فَاعِلُنْ).

(٧) **التَّسبيغ** فيَصير فَاعِلاتَانْ.

مَفعُولاتُ يَدخُلهُ:

(١) **الخَبْن** فيَصير مَعُولاتُ (فيُنقَل إلى فَعُولاتُ).

(٢) **الطَّيّ** فيَصير مَفْعُلاتُ (فيُنقَل إلى فَاعِلاتُ).

(٣) **الخَبْل** فيَصير مَعُلاتُ (فيُنقَل إلى فَعِلاتُ).

(٤) **الوَقْف** فيَصير مَفْعُولاتْ (بسُكون التاء).

(٥) **الكَشْف** فيَصير مَفْعَولا (فيُنقَل إلى مَفعولُنْ).

(٦) **الصَّلْم** فيَصير مَفْعُو (فيُنقَل إلى فِعْلُنْ).

وكُلُّهُ كما رأيت إذا صَحَّ لَفظُهُ بعد دُخول الزِّحاف أو العِلَّة عليه وإلَّا نُقِل إلى ما يُوازِنُهُ مِمّا يَصُحُّ لفظُهُ.

الباب الثالث

أبحر الشِّعر وأحكامها

الفصل الأوّل في بِناء هذه الأبحُر ومُتعلّقاتها

الشِّعر سِتَّة عَشَر بحرًا. ولِكُلٍّ منها أجزاءٌ مَفروضةٌ يَجري عليها بحيث لا يَخِلُّ منها بحَرْف ولا حَرَكة إلَّا ما ثَبَتَ استعمالُهُ من زِحاف أو عِلَّةٍ.

أي لا يَجوز الإخلال بشيءٍ من ذلك إلَّا ما ثَبُت عند العَروضيّين استِعمالُهُ من الزِّحافات والعِلَل كقَبْض الضَّرْب الثاني من الطَّويل وحَذْف الثالث منه كما سترى. فإنّ الأجزاءَ المَفروضة لها هي فَعولن مَفاعيلن مُكرَّرَيْن في كُلِّ شَطْر من البيت. ولكنّ العَرَب تَصرَّفت فيه بالتّغيير عن أصلِه فإن لم يَكُن كذلك امتنع الإخلال بها مُطلقًا.

فإذا أردتَ اعتِبار جَريِ البَيْت على الأجزاءِ المَفروضة لهُ تُحلِّلُهُ أو تُقطِّعُهُ إلى أجزاءٍ تُوافِق تلك الأجزاءَ في وزنها مُقابِلًا حرفًا بحرف وحَرَكةً بحَرَكةٍ وسُكونًا بسُكونٍ. فإن طابَقَتْها فهو صحيحٌ وإلَّا فلا. ويُقال له **التَّقطيع**.

واعلَم أنّ التَّقطيع إنّما يُنظَر فيه إلى صُورة اللَّفْظ دون الخَطّ. فلا يُعتدُّ بِما سَقَط لَفْظًا وإن ثَبَت خطًّا كهَمْزَة الوَصْل. ويُعتدُّ بِما ثَبَت لفظًا وإن سَقَط خطًّا كنون التنوين. فإنّها تُحسَب نونًا ساكنة ويُحسَبُ الحَرْف المُشدَّد حرفَيْن. وتُحسَب الحَرَكات المُشبَعة حُروفًا. كما في قولِه «فلا مَجدَ في الدُّنيا لِمَنْ قَلَّ مالُهُ». فإنّ همزة الوصل واللّام في «الدُّنيا» لا يُعتدُّ بهما لأنّهما لا تُلفَظان. والدال في الدُّنيا تُحسَب دالَين ولام قلَّ كذلك تُحسَب لامَين. وضَمّة الهاء تُحسَب واوًا. ويُعتدُّ بالألِف في نحو ذلك ولا يُعتدُّ بها في نحو ضَربوا. ويُعتدُّ بالواو في نحو داود ولا يُعتدُّ بها في نحو عَمْرو. وقِسْ على ذلك نظائرَهُ.

الفصل الثاني في صورة الأبحُر المُمتزَجة وتفَعيلها

يُراد بالأبحُر المُمتزَجة الأبحُر المُرَكَّبة من الأجزاءِ الخُماسيّة والسُّباعيّة (انظر الباب الأوّل - الفصل الرابع) وهي ثَلاثة الطويل والمَديد والبسيط.

فالطويل له عَرُوضٌ واحدةٌ مَقبوضة وثلاثة أَضرُب أوّلها صَحيحٌ والثاني مَقبوضٌ والثالث مَحذوف مع قَبْض الجُزءِ الذي قَبْلهُ. وبيتهُ:

أَطَالَتْ. بَلايانا. سُلَيْمَى. فَدَيْتُهَا فَعُذْنَا. بِمَغْنَاهَا. وَطَالَتْ. مَعَاذِيرِي

تَفعيلُهُ:

فَعُولُنْ. مَفَاعِيلُنْ. فعُولُنْ. مَفَاعِلُنْ فَعُولُنْ. مَفَاعِيلُنْ. فَعُولُنْ. مَفَاعِيلُنْ

فإنّ العَروض فيه فَدَيتُها والضَّرْب الأوّل مَعَاذِيري. فإن أردتَ الثاني فقُل معاذِرِي. أو الثالث فقُلْ وطالَ مَعَاذِي.

فيكون البيت في الصُّورتين الأخيرتين هكذا:

أَطالت. بَلايانا. سُليمى. فَدَيتها فعذنا. بمغناها وطالت. معاذري

أَطالت. بَلايانا. سليمى. فَدَيتها فعذنا. بمغناها وطالَ. معاذِي

وتفَعيلهُ:

فَعُولُنْ. مَفَاعِيلُنْ. فعُولُنْ. مَفَاعِلُنْ فَعُولُنْ. مَفَاعِيلُنْ. فَعُولُنْ. مَفَاعِلُن

فَعُولُنْ. مَفَاعِيلُنْ. فَعُولُنْ. مَفَاعِلُنْ فَعُولُنْ. مَفَاعِيلُنْ. فَعُولُ فَعُولُنْ

المَديد لهُ ثلاث أعاريض وخَمْسة أَضرُب:

(١) عَروض صَحيحة وضَربُها صَحيح.

(٢) عَروض مَحذوفة وضَربها مَقصور.

(٣) عَروض مَحذوفة وضَرْبها مَحذوف.

(٤) عَروض مَحذوفة وضَرْبها مَقطوع مع الحَذْف (ويُقال لهُ أَبْتَرَ).

(٥) عَروض مَحذوفة مَخبونة وضَرْبها مِثْلها. وبيتهُ كما يَأْتي (مع كُلٍّ من هذه التَّغييرات):

١- قدْ مَدَدْتُمْ. في مِنَى. طَالِبِينَا هَلْ تَرَوْنِي. أَبْتَغِي. طَالِبَاتِي

٢- قَدْ مَدَدْتُمْ. في مِنَى. طَالِبِي هَلْ تَرَوْنِي. أَبْتَغِي. طَالِبَاتْ

٣- قَدْ مَدَدْتُمْ. في مِنَى. طَالِبِي   هَلْ تَرَوْنِي. أَبْتَغِي. طَالِبَا
٤- قَدْ مَدَدْتُمْ. في مِنَى. طَالِبِي   هَلْ تَرَوْنِي. أَبْتَغِي. طَالِبْ
٥- قَدْ مَدَدْتُمْ. في مِنَى. طَلَبِي   هَلْ تَرَوْنِي. أَبْتَغِي. طَلَبَا

التَّفعيل:

١- فَاعِلَاتُنْ. فَاعِلُنْ. فَاعِلَاتُنْ   فَاعِلَاتُنْ. فَاعِلُنْ. فَاعِلَاتُنْ
٢- فَاعِلَاتُنْ. فَاعِلُنْ. فَاعِلُنْ   فَاعِلَاتُنْ. فَاعِلُنْ. فَاعِلَانْ
٣- فَاعِلَاتُنْ. فَاعِلُنْ. فَاعِلُنْ   فَاعِلَاتُنْ. فَاعِلُنْ. فَاعِلُنْ
٤- فَاعِلَاتُنْ. فَاعِلُنْ. فَاعِلُنْ   فَاعِلَاتُنْ. فَاعِلُنْ. فِعْلُنْ
٥- فَاعِلَاتُنْ. فَاعِلُنْ. فَعِلُنْ   فَاعِلَاتُنْ. فَاعِلُنْ. فَعِلُنْ

البَسيط له عَروض واحدة مَخبونة وضَرْبان:

(١) مَخبون مثلها.

(٢) مَقطوع.

بيت البَسيط:

١- أُبْسُطْ لَنَا . يَا فَتَى. أَعْذَارَكُمْ. فإذَا   لَاقَتْ لَنَا . لَمْ ندَعْ. في قَوْمِكُمْ عِوَجَا
٢- أُبْسُطْ لَنَا . يَا فَتَى. أَعْذَارَكُمْ. فإذَا   لَاقَتْ لَنَا . لَمْ ندَعْ. في قَوْمِكُمْ عُوجَا

التَّفعيل:

١ - مُسْتَفْعِلُنْ. فَاعِلُنْ. مُسْتَفْعِلُنْ. فَعِلُنْ   مُسْتَفْعِلُنْ. فَاعِلُنْ. مُسْتَفْعِلُنْ. فَعِلُنْ
٢- مُسْتَفْعِلُنْ. فَاعِلُنْ. مُسْتَفْعِلُنْ. فَعِلُنْ   مُسْتَفْعِلُنْ. فَاعِلُنْ. مُسْتَفْعِلُنْ. فِعْلُنْ

الفصل الثالث   في الأبحُر السُّباعيّة

الوافِر له عَروضان وثَلاثة أضرُب :

(١) عَروض مَقطوفة وضَربها مَقطوف مِثْلها.

(٢) عَروض مَجزوءَة صَحيحة وضَربها مِثْلها.

(٣) عَروض مَجزوءَة صحيحة وضَرْبها مَعصوب.

بيت الوافر:

١- لَقَدْ وَفَرَتْ. مَوَاهِبُنَا. عَلَيْكُمْ   كَمَا كَثُرَتْ. مَسَاوِئُكُمْ. إِلَيْنَا
٢- لَقَدْ وَفَرَتْ. مَوَاهِبُنَا. عَلَيْكُمْ   كَمَا كَثُرَتْ. مَسَاوِئُكُمْ.
٣- لَقَدْ وَفَرَتْ. مَوَاهِبُنَا. عَلَيْكُمْ   كَمَا كَثُرَتْ. مَسَاوِيكُمْ

التَّفعيل:

١- مُفَاعَلَتُنْ. مُفَاعَلَتُنْ. فَعُولُنْ   مُفَاعَلَتُنْ. مُفَاعَلَتُنْ. فَعُولُنْ
٢- مُفَاعَلَتُنْ. مُفَاعَلَتُنْ. فَعُولُنْ   مُفَاعَلَتُنْ. مُفَاعَلَتُنْ.
٣- مُفَاعَلَتُنْ. مُفَاعَلَتُنْ. فَعُولُنْ   مُفَاعَلَتُنْ. مَفَاعِيلُنْ

الكامِل له ثلاث أعاريض وسبعة أضرُب:

١- عَروض صَحيحة وضَرب صحيح مِثْلها.
٢- عَروض صَحيحة وضَرب مَقطوع.
٣- عَروض حَذَّاء وضَرب أَحذُّ.
٤- عَروض حَذَّاء وضَرب أَحَذُّ مُضْمرٌ.
٥- عَروض مَجزوءَة صَحيحة وضَرب مِثْلها.
٦- عَروض مَجزوءَة صَحيحة وضَرْب مُذيَّل.
٧- عَروض مَجزوءَة وضَرْب مُرفَّلُ.

بيت الكامل:

١- كَمَلَتْ لَكُمْ. خطَرَاتُ ذِي. وَصَفَتْ لَكُمْ   وَأَفَادَنِي. خَطَرَانُ ذَا. وَصَفَا لِيَا
٢- كَمَلَتْ لَكُمْ. خطَرَاتُ ذِي. وَصَفَتْ لَكُمْ   وَأَفَادَنِي. خَطَرَانُ ذَا. وَصَفَا لِي
٣- كَمَلَتْ لَكُمْ. خطَرَاتُ ذِي. وَصَفَتْ   وَأَفَادَنِي. خَطَرَانُ ذَا. وَصَفَا
٤- كَمَلَتْ لَكُمْ. خطَرَاتُ ذِي. وَصَفَتْ لَكُمْ   وَأَفَادَنِي. خَطَرَانُ ذَا. وَصْفَا
٥- كَمَلَتْ لَكُمْ. خطَرَاتُ ذِي. وَصَفَتْ لَكُمْ   وَأَفَادَنِي. خَطَرَانُ ذَا. وَصَفَا لِيَا
٦- كَمَلَتْ لَكُمْ. خطَرَاتُ ذِي. وَصَفَتْ لَكُمْ   وَأَفَادَنِي. خَطَرَانُ ذَاكْ
٧- كَمَلَتْ لَكُمْ. خطَرَاتُ ذِي. وَصَفَتْ لَكُمْ   وَأَفَادَنِي. خَطَرَانُ ذَاكَا

التَّفعيل:

١- مُتَفَاعِلُنْ. مُتَفَاعِلُنْ. مُتَفَاعِلُنْ   مُتَفَاعِلُنْ. مُتَفَاعِلُنْ. مُتَفَاعِلُنْ
٢- مُتَفَاعِلُنْ. مُتَفَاعِلُنْ. مُتَفَاعِلُنْ   مُتَفَاعِلُنْ. مُتَفَاعِلُنْ. فَعِلَاتُنْ
٣- مُتَفَاعِلُنْ. مُتَفَاعِلُنْ. فَعِلُنْ   مُتَفَاعِلُنْ. مُتَفَاعِلُنْ. فَعِلُنْ

٤- مُتَفَاعِلُنْ. مُتَفَاعِلُنْ. مُتَفَاعِلُنْ مُتَفَاعِلُنْ. مُتَفَاعِلُنْ. فَعِلُنْ
٥- مُتَفَاعِلُنْ. مُتَفَاعِلُنْ. مُتَفَاعِلُنْ مُتَفَاعِلُنْ. مُتَفَاعِلُنْ. مُتَفَاعِلُنْ
٦- مُتَفَاعِلُنْ. مُتَفَاعِلُنْ. مُتَفَاعِلُنْ مُتَفَاعِلُنْ. مُتَفَاعِلَانْ
٧- مُتَفَاعِلُنْ. مُتَفَاعِلُنْ. مُتَفَاعِلُنْ مُتَفَاعِلُنْ. مُتَفَاعِلَاتُنْ

الهَزَج لهُ عَروض واحدة وضَربان:

(١) عَروض صَحيحة وضَرب صَحيح.

(٢) عَروض صَحيحة وضَرب مَحذوف (وهذا غير مَأنوس ولا مَألوف).

بيت الهَزَج:

١- هَزَجْنَا فِي. بَوادِيكُم فَأَجْزَلْتُمْ. عَطَايَانَا
٢- هَزَجْنَا فِي. بَوادِيكُم فَأَجْزَلْتُمْ. عَطَايَا

التفعيل:

١- مَفَاعِيلُنْ مَفَاعِيلُنْ مَفَاعِيلُنْ مَفَاعِيلُنْ
٢- مَفَاعِيلُنْ مَفَاعِيلُنْ مَفَاعِيلُنْ فَعولُن

الرَّجَز له أربع أعاريض وخمسة أضرُب:

(١) عَروض صَحيحة وضَربها صَحيح.

(٢) عَروض صَحيحة وضَربها مَقطوع.

(٣) عَروض مَجزوءَة صَحيحة وضَربها مِثْلها.

(٤) عَروض مَشطورة وضَربها مِثلها.

(٥) عَروض منَهوكة وضَربها مِثْلها.

بيت الرَّجَز:

١- أُرْجُزْ لَنَا. يَا صَاحِبِي. إِنْ زُرْتَنَا لا تَنْتَحِلْ. مِنْ شِعْرِنَا. مُخْتَارِيَا
٢- أُرْجُزْ لَنَا. يَا صَاحِبِي. إِنْ زُرْتَنَا لا تَنْتَحِلْ. مِنْ شِعْرِنَا. مُخْتَارِي
٣- أُرْجُزْ لَنَا. يَا صَاحِبِي. إِنْ زُرْتَنَا لا تَنْتَحِلْ. مِنْ شِعْرِنَا.
٤- أُرْجُزْ لَنَا. يَا صَاحِبِي. إِنْ زُرْتَنَا (صَدْر وعَجُز مؤلَّفان من ٣ أجزاءِ)
٥- أُرْجُزْ لَنَا لا تَنْتَحِلْ (كُلّ شَطْر من جُزءٍ واحد)

التفعيل:

١- مُسْتَفْعِلُنْ. مُسْتَفْعِلُنْ. مُسْتَفْعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ. مُسْتَفْعِلُنْ. مُسْتَفْعِلُنْ
٢- مُسْتَفْعِلُنْ. مُسْتَفْعِلُنْ. مُسْتَفْعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ. مُسْتَفْعِلُنْ. مَفْعُولُنْ
٣- مُسْتَفْعِلُنْ. مُسْتَفْعِلُنْ. مُسْتَفْعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ. مُسْتَفْعِلُنْ.
٤- مُسْتَفْعِلُنْ. مُسْتَفْعِلُنْ. مُسْتَفْعِلُنْ
٥- مُسْتَفْعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ

الرَّمَل له عروضان وستّة أَضْرُب:

(١) عَروض مَحذوفة وضَربها صَحيح.
(٢) عَروض مَحذوفة وضربها مَقصور.
(٣) عَروض مَحذوفة وضَربها مَحذوف.
(٤) عَروض مَجزوءَة صَحيحة وضَربها مِثْلها.
(٥) عَروض مَجزوءَة صَحيحة وضَربها مُسَبَّغ.
(٦) عَروض مَجزوءَة صَحيحة وضَربها مَحذوف.

بيت الرَّمَل:

١- كَيْفَ لَاقَتْ. رامِلَاتِي. إذْ جَرَت عِنْدَ يحيى. مَا لَقِينَا. مِنْ هنَاكا
٢- كَيْفَ لَاقَتْ. رامِلَاتِي. إذْ جَرَت عِنْدَ يحيى. مَا لَقِينَا. مِنْ هُنَاكْ
٣- كَيْفَ لَاقَتْ. رامِلَاتِي. إذْ جَرَت عِنْدَ يحيى. مَا لَقِينَا. مِنْ هُنا
٤- كَيْفَ لَاقَتْ. رامِلَاتِي. إذْ جَرَت عِنْدَ يحيى. مَا لَقِينَا
٥- كَيْفَ لَاقَتْ. رامِلَاتِي. إذْ جَرَت عِنْدَ يحيى. مَا لَقِينَاهْ
٦- كَيْفَ لَاقَتْ. رامِلَاتِي. إذْ جَرَت عِنْدَ يحيى. ما لَقِي

التفعيل:

١- فَاعِلَاتُنْ. فَاعِلَاتُنْ. فَاعِلُنْ فَاعِلَاتُنْ. فَاعِلَاتُنْ. فَاعِلَاتُنْ
٢- فَاعِلَاتُنْ. فَاعِلَاتُنْ. فَاعِلُنْ فَاعِلَاتُنْ. فَاعِلَاتُنْ. فَاعِلَانْ
٣- فَاعِلَاتُنْ. فَاعِلَاتُنْ. فَاعِلُنْ فَاعِلَاتُنْ. فَاعِلَاتُنْ. فَاعِلُنْ
٤- فَاعِلَاتُنْ. فَاعِلَاتُنْ. فَاعِلُنْ فَاعِلَاتُنْ. فَاعِلَاتُنْ
٥- فَاعِلَاتُنْ. فَاعِلَاتُنْ. فَاعِلُنْ فَاعِلَاتُنْ. فَاعِلَاتَانْ

٦- فَاعِلَاتُنْ. فَاعِلَاتُنْ. فَاعِلُنْ   فَاعِلَاتُنْ. فَاعِلُنْ

السَّريع ولهُ ثَلاث أعاريض وخَمسة أضرُب:

(١) عَروض مَطوِيّة مَكشوفة وضَربها مَطوِيّ مَوقوف.

(٢) عَروض مَطوِيّة مَكشوفة وضَربُها مِثْلها مَطويّ مَكشوف.

(٣) عَروض مَطوِيّة مَكشوفة وضَرْبها أَصلَمْ.

(٤) عَروض مَخبولة مَكشوفة وضَربها مِثْلها.

(٥) عَروض مَشطورة مَوقوفة وضَربها مِثْلها.

بيت السريع:

١- قَدْ أَسْرَعَتْ. في عَتْبِهَا. لَا تَفِي   مِنْ بَعْدِهَا. لَا أَخْتَشي. عَاذِلَاتْ
٢- قَدْ أَسْرَعَتْ. في عَتْبِهَا. لَا تَفِي   مِنْ بَعْدِهَا. لَا أَخْتَشي. عَاذِلَا
٣- قَدْ أَسْرَعَتْ. في عَتْبِهَا. لَا تَفِي   مِنْ بَعْدِهَا. لَا أَخْتَشي. عَذْلَا
٤- قَدْ أَسْرَعَتْ. في عَتْبِهَا. لِتَفِي   مِنْ بَعْدِهَا. لَا أَخْتَشي. عَذَلَا
٥- قَدْ أَسْرَعَتْ. في عَتْبِهَا. لا تُوفِيكْ (صدر وعَجُز معًا)

التفعيل:

١- مُسْتَفْعِلُنْ. مُسْتَفْعِلُنْ. فَاعِلُنْ   مُسْتَفْعِلُنْ. مُسْتَفْعِلُنْ. فَاعِلَانْ
٢- مُسْتَفْعِلُنْ. مُسْتَفْعِلُنْ. فَاعِلُنْ   مُسْتَفْعِلُنْ. مُسْتَفْعِلُنْ. فَاعِلُنْ
٣- مُسْتَفْعِلُنْ. مُسْتَفْعِلُنْ. فَاعِلُنْ   مُسْتَفْعِلُنْ. مُسْتَفْعِلُنْ. فِعْلُنْ
٤- مُسْتَفْعِلُنْ. مُسْتَفْعِلُنْ. فَعِلُنْ   مُسْتَفْعِلُنْ. مُسْتَفْعِلُنْ. فَعِلُنْ
٥- مُسْتَفْعِلُنْ. مُسْتَفْعِلُنْ. مَفْعُولَانْ (فقط)

المُنسرِح له عَروض واحدة وضَربان:

(١) عَروض مَطوِيّة وضَربها مَطوِيّ.

(٢) عَروض مَطوِيّة وضَربها مَقطوع.

بيت المُنسرِح:

١- لا تسْرَحِي. يا نياقُ. في بَلَدِي   أَنْعَامُنَا. في عُكَاظَ. مَسْرَحُهَا
٢- لا تسْرَحِي. يا نياقُ. في بَلَدِي   أَنْعَامُنَا. في عُكَاظَ. مَسْراها

التفعيل:

١- مُسْتَفْعِلُنْ. فاعِلاتُ. مُفْتَعِلُنْ - مُسْتَفْعِلُنْ. فاعِلاتُ. مُفْتَعِلُنْ

٢- مُسْتَفْعِلُنْ. فاعِلاتُ. مُفْتَعِلُنْ - مُسْتَفْعِلُنْ. فاعِلاتُ. مَفْعُولُنْ

لِلْمُنسرح عَروض أخرى سالمة كقولِه:

إنّ ابنَ زيدٍ لا زالَ مُستعمِلًا   للخيرِ يَنشي في مِصرِهِ المُرُفا

تَفعيلُهُ:

مُستَفْعِلُنْ. مَفعولاتُ. مُستفعِلُنْ   مُستفعِلُنْ. مفعولاتُ. مُفْتَعِلُنْ

ولكنّها غير مأنوسة ولا مَألوفة في الاستِعمال. وكذلك عَروضةُ المَنهوكة كقولِه: «صَبْرًا بني عبد الدار».

الخَفيف له عَروضان:

(١) عَروض صَحيحة وضَربها مِثْلها.

(٢) عَروض مَجزوءَة صَحيحة وضَرْبها مثلها.

بيت الخفيف:

١- لَسْتُ أَرْجُو. تَخْفِيفَهَا مِنْ عَذَابِي   عَنْ فُؤَادي. وَالوعَتِي. مِنْ هَوَاها

٢- لَسْتُ أَرْجُو. تَخْفِيفَهَا   عَنْ فُؤَادِي وَالوْعَتِي

التَّفعيل:

١- فَاعِلَاتُنْ. مُسْتَفْعِ لُنْ. فاعِلَاتُن   فَاعِلَاتُنْ. مُسْتَفْعِ لُنْ. فَاعِلَاتُنْ

٢- فَاعِلَاتُنْ. مُسْتَفْعِ لُنْ.   فَاعِلَاتُنْ. مُسْتَفْعِ لُنْ.

المُضارع له عَروض وضَرْب صَحيحان.

بيت المضارع:

يُضارِعْنَ. رِدْفَ سَلْمَى   وَأَغْصَانَ. مَعْطِفَيْهَا

التفعيل:

مَفَاعِيلُ. فَاعِ لَاتُنْ   مَفَاعِيلُ. فَاعِلَاتُنْ

المُقتضَب له عَروض مَطويّة وضَربها مَطوِيٌّ.

بيت المقتضب:

يَـا قـضِـيـبَ. قَـامَـتِـهَـا   قَـدْ خَـطَـرْتَ. فـي كَـبِـدِي

التفعيل:

فَـاعِـلَاتُ. مُـفْـتَـعِـلُـنْ   فَـاعِـلَاتُ. مُـفْـتَـعِـلُـنْ

المُجتَثّ له عروض صَحيحة وضَربها صَحيح.

أُجْـثُـثْ يَـدِي. إنْ أَصَـابَـتْ   مِـنْ مَـالِـكُـمْ. بَـعْـضَ حَـاجَـهْ

التفعيل:

مُـسْـتَـفْـعِ لُـنْ. فَـاعِـلَاتُـنْ   مُـسْـتَـفْـعِ لُـنْ. فَـاعِـلَاتُـنْ

الفصل الرابع — في البَحرَيْن الخُماسيَّين

المُتقارَب له عَروض واحدة وثَلاثة أضرُب :

(١) عَروض صَحيحة وضَربها صَحيح.

(٢) عَروض صَحيحة وضَربها مَقصور.

(٣) عَروض صَحيحة وضَربها مَحذوف.

بيت المُتقارَب:

١- سَلَامِي. عَلَى مَنْ. قَرِبْنَا. حِمَاهَا   فَـأَمْـسَـى فُـؤَادِي. يُـعَـانِـي بَـلَاهَـا

٢- سَلَامِي. عَلَى مَنْ. قَرِبْنَا. حِمَاهَا   فَـأَمْـسَـى فُـؤَادِي. يُـعَـانِـي بِـلَاهْ

٣- سَلَامِي. عَلَى مَنْ. قَرِبْنَا. حِمَاهَا   فَـأَمْـسَـى فُـؤَادِي. يُـعَـانِـي بَـلَا

التفعيل:

١- فَعُولُنْ. فَعُولُنْ. فَعُولُنْ. فَعُولُنْ   فَعُولُنْ. فَعُولُنْ. فَعُولُنْ. فَعُولُنْ

٢- فَعُولُنْ. فَعُولُنْ. فَعُولُنْ. فَعُولُنْ   فَعُولُنْ. فَعُولُنْ. فَعُولُنْ. فَعُولْ

٣- فَعُولُنْ. فَعُولُنْ. فَعُولُنْ. فَعُولُنْ   فَعُولُنْ. فَعُولُنْ. فَعُولُنْ. فَعُلْ

واعلم أنّ العَروض من هذا البَحْر تأْتي صَحيحة كما رأيت وهي الأصل ويَجوز فيها:

(١) القَبْض كما في قوله:

فَـلَا تُـلْـزِمَـنِّـي ذُنُـوبَ الـزَّمَـانِ   إلَـيَّ أَسَـاءَ ...

(٢) والحَذْف كما في قَوْل الآخَر:

ويــأوي إلــى نِـسْـوةٍ عُـطَّـلٍ وشُعْثٍ مَراضيعَ مِثْلِ السَّعالي

وقِس على ذلك مع الضّرْب المَحذوف

وكُلّ ذلك جائزٌ في القَصيدة الواحدة فلا يُلتزَم منه شيءٌ بعينِه. وقد بَقي لهذا البحر عَروضٌ أخرى وضُروبٌ أُخَر لم تُذكَر لأنّها غير مأنوسة.

المُتدارَك له عَروض مَخبونة وضَربها مِثْلها.

بيت المتدارك:

سَبَقَتْ. دَرَكِي. فَإِذَا. نَفَرَتْ سَبَقَتْ. أَجَلِيْ. فَدَنَا. تَلَفِي

التفعيل:

فَعِلُنْ. فَعِلُنْ. فَعِلُنْ. فَعِلُنْ فَعِلُنْ. فَعِلُنْ. فَعِلُنْ. فَعِلُنْ

(**تنبيه**). إنّ أجزاءَ المُتدارَك كُلَّها مَخبونة[١] ولكن خُصَّ العَروض والضَّرْب بالذِّكْر لأنّه لم يُنَصّ في هذه النّبذة إلّا على التغيير اللّاحق الأعاريض والضُّروب. ولم يُتعرَّض لِما يَلحَق الحَشو اكتفاءً بصُورتِه التي يُذكر عليها. وبها يُعلَم أصلُهُ قياسًا على الواقع منه في الأعاريض والضُّروب.

واعلم أنّي اقتصرتُ من صُوَر هذه الأبحُر وفروعها على ما هو **الحاصل**[٢] من أجزائها و**المأنوس في الاستِعمال**[٣]. ووضعت لها هذه الأبيات مُحتمَلَة التَّحويل إلى صُوَر شتّى كما رأَيت. وقد التزمتُ فيها أن تكون أجزاؤُها مُستقِلَّةً لا يُضطُّر في تَقطيعها إلى تغيير شيءٍ منها لفظًا وخطًّا [وقد أثبتنا تحت كُلِّ بحر بيتَهُ في صُورِهِ المُختلفِة ثُمّ

(١) فَعَلُنْ اصلها فاعِلُنْ. حذِف ثانيها الساكن فاصبحت فَعِلُنْ

(٢) يراد بالحاصل من الاجزاء الصورة الحاصلة منها أو التي وردت أمثلة منها في الشعر العربي كما في المديد فإن الأصل في أجزائه فاعلاتن. فاعِلُنْ أربع مرات. ثم حذفوا من آخر كل شطر جزءًا فصار فاعلاتُنْ. فاعِلنْ. فاعلاتنْ ومثلها. والحاصل من الأجزاء يشمل الحاصل في العدد كما في أجزاء المديد والحاصل في الهيئة كما في عروض البسيط فإن أصلها فاعلن فخبن فصارت فَعِلن وهو الحاصل بعد الخبن.

(٣) كما في الضرب الثالث من الطويل فإن الأصل في أجزائهِ فعولنْ. مفاعيلن. فعولن. فعولن وعليهِ قولهُ:

اقيموا بني النعمان عنا صدوركم وإلّا نـقـيـموا صـاغـريـن الـرؤوسـا

لكنهم استحسنوا قبض فعولن الواقع قبل الضرب فصار لفظهما فعولُ. فعولن.

تَفاعيلهُ مُفصَّلة]. كُلّ ذلك للاختِصار والتّسهيل على المُبتدئ في هذه الصِّناعة.

الفصل الخامس في التغيير اللّاحق هذه الأجزاء

أمّا التغيير اللّاحق الأعاريض والضُّروب فقد ذكرناهُ. وبِه تُعلَم أصول الأجزاءِ التي لَحِقها. فإنّ القَبْض في عَروض الطويل يَدُلّ على أنّ أصلها مفاعيلن لأنّ القَبْض هو حَذْف الخامس الساكن وهذا الخامس من مفاعيلن هو الياءُ فأصبحت مَفَاعِلُنْ. والخُبْن في ضَرْب المُتدارَك يَدُلُّ على أنّ أصلَهُ فاعلن لأنّ الخَبْن هو حَذْف الثاني الساكن. وهذا الثاني من فاعِلُن هو الألِف فصار فَعِلُنْ. وقِس ما بينهما أي بين عَروض الطويل التي هي أوّل الأعاريض وضَرْب المُتدارَك آخِر الضُّروب في الأبيات ومِن ثَمَّ تَنطبِق على الأجزاءِ المَفروضة لها في أوّل الرِّسالة.

وأمّا التغيير اللّاحق سائر الأجزاء (أي الحشو أو غير الأعاريض والضُّروب) فمنه ما هو مُلتزَم أي يَجب استعمالُهُ في كُلّ بيت من القصيدة ومنه ما هو جائز غير مُلتزَم.

فمن المُلتزَم

(١) القَبْض قَبْل ضَرب الطويل المَحذوف وهو فَعُولُنْ فيصير فَعُولُ كما علمتَ وذلك في قولِه «**فَعُذْنا** بمَغناها **وطالَ مَعاذي**».

(٢) طيّ مَفْعُولاتُ في المُنسرِح حتّى صار فاعِلَاتُ وذلك في قولِه «لا تَسْرَحي **يا نِياقُ** في بَلَدي» إلى آخرِه.

(٣) كَفّ مَفاعيلن في المُضارِع حتّى صار مَفاعيلُ نحو: **يُضارِعنَ** رِدْفَ سَلْمَى الخ.

(٤) كَفّ فاعلاتُن في المُقتضَب حتّى صار فاعلاتُ نحو: **يا قضيبَ** قامتها الخ.

(٥) خَبْن فاعِلُنْ في المُتدارَك حتّى صار فَعِلُنْ. نحو: سَبَقَت دَرَكي فإذا نَفَرت الخ. وهو حينئذٍ يُسمّى الخَبَب.

ومن الجائز المَقبول

١- قَبْض فَعُولُنْ في الطويل فيَصير فَعولُ كقولِه:

أتَحسَبُ بِيضُ الهِنْدِ أصلكِ أصلَها ... وأَنَّـك مـنـهـا سـاءَ مـا تَـتـوهَّـمُ

٢- قَبْض فَعولن في المُتقارَب كقولِه:

أغـارَ فـصـالَ وجـالَ عـلـيـنـا ... فـقـالَ هَـلُـمَّ وعـادَ فـولَّـى

٣- خَبْن فاعلَاتن في المَديد فيصير فَعِلَاتُنْ كقولِه:

فَتَنَتْنِي بالجُفون المِراضِ ظَبَيَاتٌ ترتَعي في الرِّياض

٤- خَبْن فاعِلُنْ في البَسيط فيصير فَعِلُنْ كقولِه:

حتّى انتهى الفَرَسُ الجاري وما وَقَعَتْ في الأرضِ من جِيَفِ القَتلى حوافِره

٥- خَبْن مُستفعِلن الأوّل في البَسيط فتَصير مُتَفْعِلُنْ (تُنقَل إلى مَفَاعِلُنْ) كقولِه:

أَجاب دَمعي وما الدّاعي سوى طَلَلٍ دَعَا فلبَّاهُ قبلَ الرَّكبِ والإبلِ

٦- خَبْن مُستفعِلن في المُنسرِح كقولِه:

قِفا قليلًا بها عليَّ فلا أَقلَّ من نَظرةٍ أُزوِّدُها

٧- خَبْن مُستفعِلن مُطلقًا في الرَّجَز كقولِه:

وليلةٍ سَهِرْتُها تحت الدُّجى لمأزِقٍ أرومُ منهُ المَخرَجا

٨- خَبْن فاعلاتُنْ أيضًا في الرَّمَل كقولِه:

فلقد أَسرعَ ركبٌ لم يَعُجْ ولقد أَدْبَرَ يومٌ لم يَعُدْ

٩- خَبْن مُستفعِلن في السّريع كقولِه:

أَرِدْ من الأُمور ما ينبغي وما تُطيقهُ وما يَستقيمْ

١٠- خَبْن مُستفعِلن وفاعلاتنْ في الخَفيف كقولِه:

فَتَنَتْني بقامةٍ ذات لينٍ كقضيبٍ على كثيبٍ يَميلُ

١١- خَبْنهما في المُجتثّ كقولِه:

وخَدُّه في صفاءِ وأدمُعي كاللآلي

١٢- عَصْب مُفَاعَلَتُنْ في الوافِر فيَصير مفاعِيلُنْ كقولِه:

إذا لم تستطِعْ شيئًا فدَعْهُ وجاوِزْهُ إلى ما تَستطيعُ

١٣- إضمار مُتَفَاعِلُنْ في الكامل فيَصير مُستفعلنْ كقولِه:

أَمسى الذي أمسى بِربِّكَ كافرًا من غيرنا مَعَنا بفضلك مُؤمنا

١٤- إضمار فَعِلُنْ في الخَبَب فيَصير فِعْلُنْ كقولِه:

قد بات الحادي يَزجُرُها ما ضَرَّ الحادي لَوْ رَفَقا

١٥- كَفّ مَفاعيلنْ في الهَزَج فيصير مَفاعيلُ كقولِه:

طَلَبتُ الرَّشأَ الأحوى فكان الأسدَ الضاري

١٦- طَيّ مُستفعلُنْ في الرَّجَز فيصير مُفْتَعِلُنْ كقولِه:

إنَّ بني الأَبردِ أَصحابَ الجَمَلْ يقتَنصونَ البَطَلَ المُرْدي البَطَلْ

١٧- طَيّ مُستفعِلن في السريع كقولِه:

قــال لــهــا وهــو بــهــا عــالِــمٌ ويْــحَــكِ أمــثــالُ طَــريــفٍ قــلــيــلْ

١٨- طَيّ مُستفعِلن في المُنسرِح كقولِه:

إنَّ سَــمــيــرًا رأى عــشــيــرتَــهُ قــد حَــدِبــوا دُونــهُ وقــد أَنِــفُــوا

غير أنّ بين الزحافات تَفاوتًا في الحُسْن والقُبول كما يَشهَد بذلك الذَّوقُ السليم. وهي تَقع تارةً في جَميع الأجزاءِ كما رأَيت وتارةً في بعضها دون بعض وكُلّ ذلك سائغٌ مُستَعملٌ وغيرُهُ مَكروهٌ.

خاتمة

القوافي وأحكامها

الفصل الأوّل في حقيقة القافية وأنواعها

تُحسب القافية من آخِر حرفٍ في البيت إلى أوّل ساكنٍ قَبْلَهُ مع المُتحرّك الذي قبل ذلك الساكن. والمُراد بآخِر البيت ما يُلفَظ به في آخِرِهِ ولو لم يُكْتَب. فدَخل فيه نحو ضَمّة الميم من قولِه:

أَلا يـا نَـخْـلَـةً مِـن ذات عِـرْقٍ عَـلـيـكِ ورَحـمـةُ الله الـسّـلامُ

فإنّها تُحسَب واوًا كما مرَّ. وعلى هذا فتكون القافية في هذا البَيت منها إلى لام السّلام (أي «لَامُ »).

والقافية خَمسة أنواع:

- أوّلها **المُترادِف** وهو حَرْفان ساكنان لا فاصل بينهما كقولِه: البُخْل خيرٌ من سؤَال البَخيلْ.

- الثاني **المُتواتِر** وهو حرفٌ مُتحَرّكٌ بين ساكنين[1] كقولِه: سَمِعْتُ بأُذني رَنّةَ السَّهْمِ في قَلْبِي.

- الثالث **المتدارِك** وهو حرفان مُتحرّكان بين ساكنين كقولِه: يا لهُ دِرْعًا مَنيعًا لو جَمَدْ.

- الرابع **المُتراكِب** وهو ثلاثة أحرفٍ مُتحَرّكة بين ساكنين كقولِه: سَلْ في الظّلامِ أخاكَ البدرَ عَنْ سَهرِيْ.

- الخامس **المُتكاوِس** وهو أربعة أحرفٍ مُتحرِّكة بين ساكنين كقولِه: زَلَّت به إلى

(١) قولُهُ مُتحرِّكٌ بين ساكنين يَشمُل ما كان فيه الساكن الأخير حرفًا صريحًا كباء قلبي أو حرفًا إشباعيًّا كالواو المُتولِّدة من ضَمّة ميم السّلام. وعلى هذا تَجري كُلّ قافية فإنّ آخرها لا يَكون إلّا أحَد هذين الساكِنَيْن.

الحَضَيضِ قَدَمُهْ.

وتُقسم القافية أيضًا باعتِبار رَويِّها إلى نوعين:

- أوّلهما **المُطلَقة** وهي التي يَكون رَويّها مُتحرِّكًا كالرّاءِ من سَهَري في قولِه (سَلْ في الظَّلام الخ).

- والثاني **المُقيَّدة** وهي التي يَكون رَويّها ساكنًا كالدّال من جَمَدْ في قولِه: «يا لهُ دِرعًا مَنيعًا لو جَمَدْ».

الفصل الثاني في أجزاء القافية

تَشتَمِل القافية على أجزاء مُعتبَرَة [1] من الحُروف والحَرَكات.

حُروف القافية.

أمّا الحُروف فهي:

(١) **الرّويّ** وهو الحرف الذي تُبنى عليه القَصيدة كاللّام في قولِه:

قِفا نَبكِ من ذِكرى حبيبٍ ومنزِلِ

(٢) **الوَصْل** وهو ما يلي الرّويّ مُتّصلًا به. ويكون

١- حَرف لِين[2] كالألِف بعد الباءِ في «والعِتابا» من قولِه:

أَقلّي اللّومَ عاذِلَ والعِتابا

٢- أو هاءَ ضمير كهاءِ رِجالِهِ في قولِه:

يا مَنْ يُريدُ حياتَهُ لِرِجالِهِ

(٣) **الخروج** وهو حرف لِين يلي هاءَ الوصل كالألِف الأخيرة في مَقامِها في قولِه:

عَفَتِ الديارُ مَحلّها فمقامُها

(٤) **الرّدف** وهو حَرف لينٍ قبل الرّويّ كالألِف في «مالُ» في قولِه:

لا خيلَ عندَكَ تهديها ولا مالُ

(٥) **التأسيس** وهو أَلِفٌ بينها وبين الرّويّ حرفٌ واحدٌ كألِف الجَداول في قولِه:

---

(١) أي أجزاءٍ يُعتَدّ بها ويُحافَظ عليها.

(٢) يُراد بحَرْف اللِّين هنا حَرف المَدّ لأنّه لا يكون هُنا إلّا مسبوقًا بحركة تُجانسهُ. ولم يُقيّد بذلك جَريًا على اصطلاح العَروضيّين فإنّهم يُطلقون حرف اللّين على حَرْف المدّ أيضًا.

يا نخلُ ذات السّروِ والجداولِ

(٦) **الدَّخيل** وهو الحَرْف الفاصل بين التأُسيس والرَّويّ كالواو في الجَداول في المِثال السابق.

حركات القافية.

أمّا الحركات التي تُعتَبر في القافية فهي:

(١) **المَجرى** وهو حَرَكة الرّويّ ككسرة لام «مَنْزِلِ».

(٢) **النَّفاذ** وهو حَرَكة هاء الوصل ككسرة هاء «رجالِهِ».

(٣) **الحَذو** وهو حَرَكة ما قبل الرِّدف كفتحة ميم «مَالُ».

(٤) **الرَّسّ** وهو حركة ما قبل التأُسيس كفتحة دال «الجدَاوِلِ».

(٥) **الإشباع** وهو حركة الدَّخيل أي حركة ما بين التأُسيس والرّويّ ككسرة واو «الجداوِلِ».

(٦) **التَّوجيه** وهو حركة ما قبل الرّويّ الساكن كفتحة ميم «جَمَدْ» في قولِه «يا له دِرعًا منيعًا لو جَمَدْ».

واعْلَم أنّ ألِف التأُسيس لا بُدّ أن تكون من كلمة الرّويّ كما رأيت في قولِه «يا نخلُ ذات السَّروِ والجداولِ» وإلّا فلا تُعدُّ تأسيسًا كما في قولِه:

«وما لي بحَوْل الله لحمٌ ولا دَمٌ»

ولمّا كان المُعتَبر في هذا الفنّ إنّما هو مُجرَّد اللَّفظ اعتَبروا حركة الرّويّ المُشبَعة حرفًا كالضَّمة في قولِه: «سُقيتِ الغَيْث أيَّتها الخِيامُ»، فإنّها عندهم بمَثابة الواو وقِسْ عليه.

الفصل الثالث في حكْم أجزاءِ القافية

لا بُدَّ من المُحافَظة على كُلّ ما ذُكِر من أجزاءِ القافية. فكُلّ ما وَقَع منه في أوّل بيتٍ لَزِم في كُلّ ما يليه من الأبيات ولكن منه:

(١) ما يَلْزَم تكرارهُ **بعينِهِ** في جَميع القوافي التالية وهو الرّويّ والوَصْل والخُروج والتأُسيس والحَرَكات بأسرها ومنه:

(٢) ما لا يَلْزَم تكرارهُ بعينِهِ وهو الرِّدف والدَّخيل فالرِّدف يَجوز أن تَتعاقب فيه الواو

والياء فيكون بعض القوافي مُردَفًا بالواو وبعضها بالياء كما في قولِه:

إن كُنتِ عاذِلتي فسيري نحو العراقِ ولا تَجوري

بخلاف الألِف فإنّه لا يَجوز مَعها غيرها

والدّخيل لا يَلْزَم تكرارهُ بعينِهِ وإنّما يَلْزَم الإتيان بمثلِه من الحُروف المُتحرّكة بحَرَكة نَظائرِهِ السابقة عليه فيَجوز استعمال الجداولِ والجنادلِ والعواملِ مَثَلًا في قَصيدة واحدة.

فإن أخلَّ الشاعر بشيءٍ مِمّا ذُكِر كان شعرُهُ مُعيبًا وفي ذلك تَفصيلٌ طويل لا تَحتمِلُهُ هذه الرِّسالة (وقد استوفاهُ المُؤَلِّف في أرجوزتِهِ المَعروفة بالجامعة).

عُيوب القافية.

من عُيوب القافية عدا ما سبق ذِكْرُهُ الإيطاء والتَّضمين:

(١) الإِيطاء هو تكرار القافية بلَفْظها ومَعناها. أمّا إذا تكرَّر اللّفظ واختَلَف المَعنى فلا يُعدُّ ذلك عيبًا بل جِناسًا من البديع. (أُطلِق الحُكْم بكَوْن التَّكرار مُعيبًا جريًا على إطلاق الخَليل ومن يَليهِ فإنّهم لم يُقيّدوا القافيتَين المُكرَّرتين بكون إحداهما قَريبة من الأُخرى. لأنّ ذلك يَدلُّ على عَجْز الشاعر وإن كانت بَعيدة عنها. وقد اختار بعضهم أنّه إذا كان بينهما سبعة أبياتٍ فليس بإيطاءٍ وعليه جُمهور المُتأخِّرين).

(٢) التَّضمين هو تَعلُّق القافية بعينها بما بعدها في البيت التالي كقولِه:

وهم وَرَدُوا الجِفار على تَميمٍ وهم أصحابُ يومِ عُكاظَ إنّي

شَهِدْتُ لهم مَواطنَ صادِقاتٍ شَهِدْنَ لها بِصْدقِ الوَدِّ منّي

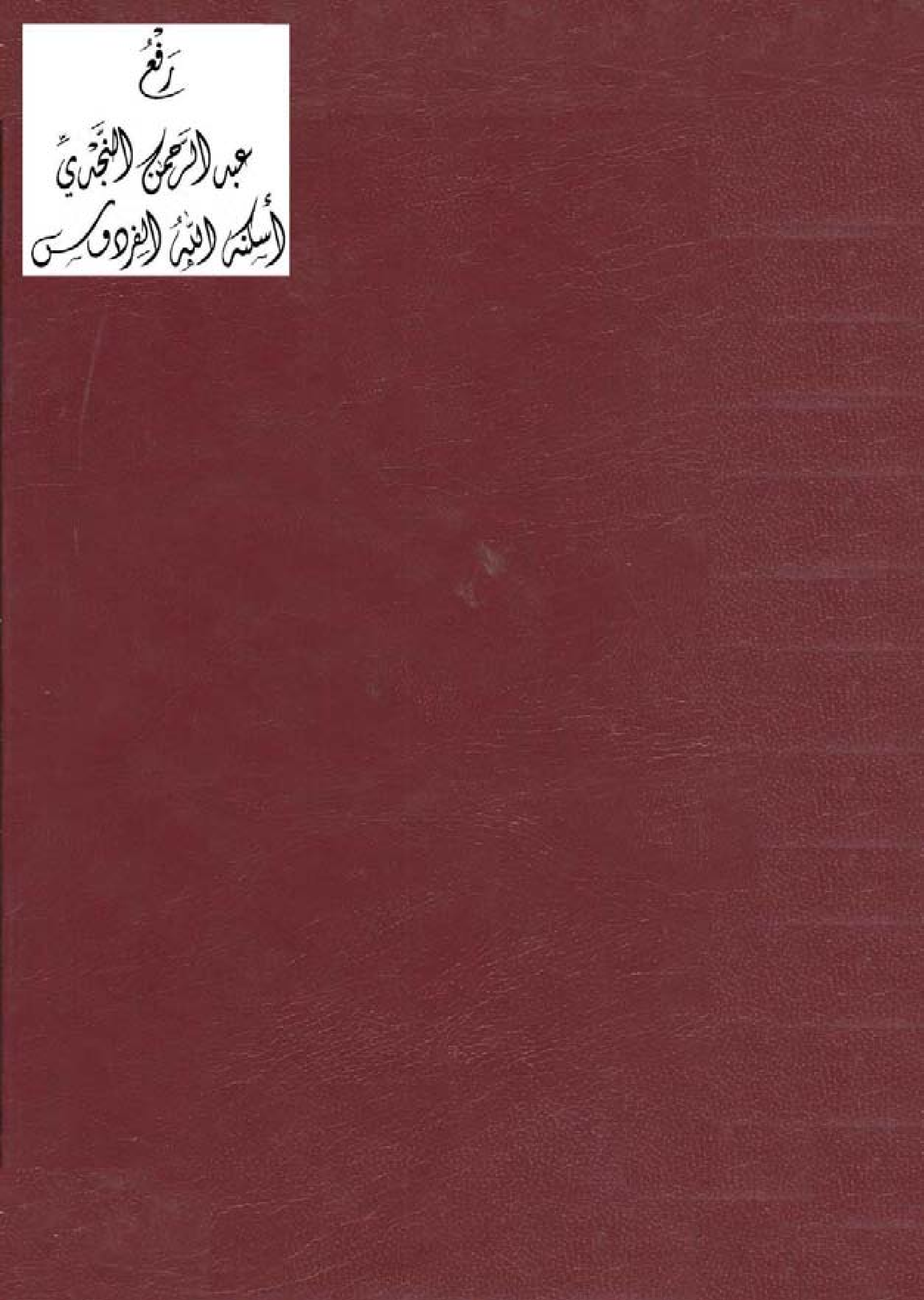
فإنّ قافية البيت الأوّل مُتعَلّقةٌ بأوّل الثاني لوقوعِهِ خبر إنَّ.

الخاتمة

قال الفَقير إليه تَعالى ناصيف بن عبد الله اليازجي اللبنانيّ هذا ما أردت تَعليقهُ من مُهمّاتِ هذا الفنّ تَبصِرةً للمبتَدِئ وتَذكِرَة للمُنتهي. وقد اقتَصَرْت فيه على ما هو أَليَنُ عَريكةً وأَكثَرُ تَداولًا وأقربُ تَناولًا ليَكون أيسر مِرقاةٍ إلى ما فَوقهُ من المُصنّفات المُستوفية وأنا ألتمِس مِمَّن يَقِف عليه أن يُصلِح ما فيه من الخَلَل ويتَجاوز عمّا به من الزَّلل والحمدُ لله رَبّ العالمين.

وكان الفراغ من تبَييضه في شهر آب سنة ١٨٤٨ للمسيح.

فهرس المحتويات


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس